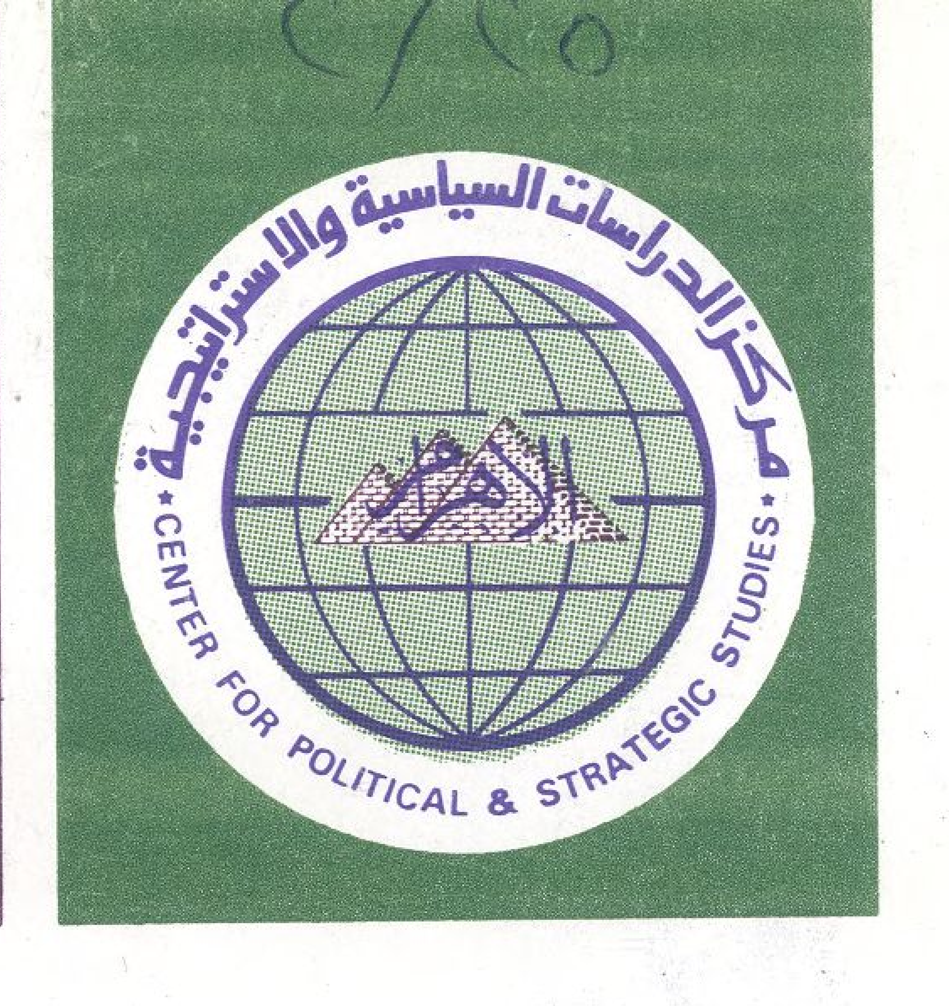


مختارات اسرائيلية

٨٦



هدم المنازل جريمة حرب جديدة

- سفينة السلاح.. محاولة لإنقاذ شارون
- مناظرات إسرائيلية/ فلسطينية حول عملية التسوية
- الصراع الدينى/ العلمانى فى إسرائيل وإيران
- مؤتمر هرتزليا الثانى: رؤى لمستقبل إسرائيل

السنة الثامنة - فبراير ٢٠٠٢ FEB.2002



مختارات إسرائيلية
Israeli Digest

مؤسسة الأهرام شارع الجلاء القاهرة
جمهورية مصر العربية
ت: ٥٧٨٦٣٠٠/٥٧٨٦١٠٠/٥٧٨٦٢٠٠
مطابع الاهرام بكورنيش النيل

مجلة شهرية يصدرها مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية
السنة الثامنة . العدد ٨٦ . فبراير ٢٠٠٢

مقدمة

القضية ليست عودة الجنرال!

في مواجهة "العدوان الإسرائيلي المتواصل على الشعب الفلسطيني وزيادة حدة عمليات القتل والإرهاب التي تمارسها قوات الاحتلال، وسياسة حصار السلطة الوطنية وقتل كوادرها، تكرر السلطة الوطنية الفلسطينية مطالبتها لواشنطن بسرعة إرسال مبعوثها الخاص الجنرال أنتوني زيني من أجل متابعة مهمته بالتوصل إلى اتفاقات أمنية محددة تمهد الطريق أمام الانتقال إلى المرحلة التالية الخاصة بالبحث عن نقطة بداية لإعادة استئناف العملية السياسية.

وبدا واضحا من خطاب السلطة الوطنية الفلسطينية، أن أشياء كثيرة سوف تتغير إلى الأحسن في حال عودة الجنرال إلى استئناف مهمته التي بادرت الإدارة الأمريكية بتعليقها نتيجة ما أعلنته من أن الرئيس ياسر عرفات لا يفعل ما بوسعه من أجل وقف "العمليات الإرهابية". وفي المقابل تمسكت الإدارة الأمريكية بعدم إعادة الجنرال إلى المنطقة مجددا إلا بعد أن تبرهن السلطة الوطنية على قيامها بكل ما يلزم لوقف "الأعمال الإرهابية". وكان هذا الجدل يجري في وقت كانت الطائرات الحربية أمريكية الصنع من طراز إف ١٦، والهليكوبتر من طراز أباتشي، تواصل عمليات القصف والتدمير في كافة أنحاء الأراضي الفلسطينية، وكان التقدير الأمريكي أن ما تقوم به هذه الطائرات، وما تخلفه الدبابات على الأرض من دمار وهدم لمنازل المدنيين، إنما يدخل تحت بند "الدفاع عن النفس "تقوم به القوات الإسرائيلية- والتي هي قوات احتلال- ضد مدنيين فلسطينيين يناضلون من أجل تحرير ترابهم الوطني وإقامة دولتهم المستقلة، أي أنهم يمارسون ما شرعه ميثاق الأمم المتحدة، ذلك الميثاق الذي كانت واشنطن على رأس الدول التي تولت وأشرفت على وضعه بعد الحرب العالمية الثانية.

من هنا يبدو واضحا أن ثمة خللا هيكليا يطول جوهر صيغة التسوية التي وضعت في مدريد وما زال العمل يجري وفقا لأسسها، وأن هذه الصيغة لم تعد صالحة للعمل، ومن ثم لابد من إدخال تعديلات عليها عبر إعادة الاعتبار لفكرة المقاومة المسلحة والانطلاق من أنها حق مشروع لشعب يناضل من أجل تحرير ترابه الوطني. فإعادة الاعتبار لقيمة المقاومة المسلحة ستكون كفيلة بدفع واشنطن إلى "الهرولة "للمنطقة بوسيط على غرار زيني أو أعلى منه، فالقضية ليست في عودة الجنرال زيني إلى المنطقة، وإنما هي في تهيئة الظروف والشروط التي تجعل عودته ملحة في واشنطن قبل فلسطين، وأيضا تلك الظروف التي تجبر الإدارة الأمريكية على إعادة تقويم موقفها وإصلاح الخلل البين في رؤيتها، وأيضا التي توصل رسالة واضحة للرأي العام الإسرائيلي مؤداها أن "خيار شارون "سيحرم المواطن الإسرائيلي من أي شعور بالأمن... إذا ما توافرت هذه الشروط، فسيأتي الجنرال أو من هو أعلى منه رتبة، من تلقاء نفسه وبرؤية مغايرة وتكون المهمة الأولى الموكلة له هي توقيع اتفاق لوقف المواجهات واستئناف المفاوضات من أجل التوصل إلى تسوية سياسية محددة المعالم...

د. عماد جاد

١

فيروس الكراهية
المقارنة بكارثة الإبادة في الفكر المتطرف

أولك نتسر

أولاً، نسوق عدة نماذج لاستخدام الكارثة في الحوار السياسي الموضوعي. بعضها يظهر بالفعل في الجزء الأول كأمثلة لعرض التعصب (فيروس الكراهية):

١- «لو علمت أن هتلر يختبئ في مبنى بصحبة ٤٠ طفلاً ألم تكن تفجره؟» - مناحم بيجين يرد علي دعاوي تتصل بقصف سكان مدنيين في لبنان (١٩٨٢).

٢ - «في تقديري فقط هناك اثنان أو اثنان ونصف مليون يهودي سيلقون حتفهم. لكن الكارثة القادمة ستكون رهيبة بمفهوم اساسي واحد: أن اليهود ساعدوا وجاهدوا قدر استطاعتهم وتقافزوا في الهواء لجلبها». (مائير عوزيئل، معاريف، مارس ١٩٨٩).

٣ - .. أنت تسألني ماذا حدث لأوروبا في اعتقادي؟، أن مؤلف «الزمن الأصفر» ليس لديه منظور صحيح لما هو سيئ أنه ما يمكن أن يحدث لنا، أنه الخطر القائم، فهو لم ير شيئاً .. (نائب وزير الزراعة ميخال دكل، أحد كبار منفذي سياسة الاستيطان، في مقابلة جاءت بعد تصريحاته بشأن عمليات التطهير العرقي أو الترانسفير، أكتوبر ١٩٨٧). والكاتب دفيد جروسمان هو مؤلف رواية «كتاب القواعد الداخلية» عن انطباعات الطفولة في القدس في كنف أبوين هاربين من كارثة الإبادة وهو أيضاً مؤلف «الزمن الأصفر» (كوتيرت ديشيت ١٩٨٧/٤/٢٧)، وهو الكتاب الشامل والأكثر عمقاً عن واقع الضم، بما في ذلك الكثير جداً عن التعامل بتطرف، وقسوة وظلم، من زاوية أقرب معارضي «اليسار الصهيوني».

٤ - «ليس علي رابين أن يتحدث باسم ضحايا الكارثة بينما يتلقى مكافأة مواصلته طريق النازيين» (بيان الليكود ١٩٩٤/١٢/١١).

٥ - «غير مسموح للمستشار الألماني أن يأتي إلي مدينة القدس المقدسة ويدنسها» - أعضاء حركة (بيتار) الشبابية، في مظاهرة احتجاج علي زيارة المستشار هلموت كول إلي إسرائيل.

٦ - جيؤلا كوهين كتبت أن الأموال التي تعرضها الولايات المتحدة علي إسرائيل بشأن مؤتمر السلام الدولي في مدريد هي فخ لليهود، مثل غرف الإعدام بالغاز التي نشرها النازيون في تربلينكا (يديعوت أحرونوت، ابريل ١٩٩١).

◆ **التحليل المبدئي:**

١ - كل هذه الأمثلة جاءت في معرض تبرير أصحابها رفضهم أي أعمال أو نوايا باتجاه السلام، وأيضاً لشرح أسبابهم في رفض أي حلول وسط مع «الأعداء»، عن طريق مقارنة أعدائنا بالنازيين ومقارنة «حسني الطوية» بالمتعاونين أو بهؤلاء الذين خضعوا أو استجابوا للخديعة.

٢ - جميع هذه النماذج المقتبسة لا تتضمن التعامل معنا أو مع أنفسنا باعتبارنا الطرف المسيطر الحاكم، ذلك الذي يستحوذ علي القوة السياسية والعسكرية. فبقياس القوة الطبيعية، وعلاقة القوى علي الساحة وإمكانات الفعل والمسؤولية الأخلاقية، يجب أن نقف في هذه المقارنة في موضع النازيين وليس اليهود الذين كانوا تحت الاحتلال وكانوا بدون أي حماية.

وقد عبر البروفيسور يهودا ألكينا، رئيس معهد تاريخ

العلوم والنظريات في جامعة تل أبيب ومدير معهد فان لير في القدس، عن الاستغلال والاستخدام الموجه من جانبنا لكارثة الإبادة، وكتب النص التالي، ليس لأحد الحق في التعبير عن رأيه بصفة عامة فيما يتصل بهذا الموضوع الذي باتت الأفكار القائمة في إطاره في حكم البقرة المقدسة لمرد أنه يهودي رغم أنه لم يكن بالضرورة من ضحايا هذه الكارثة. وقد أقدم ألكينا علي قول ذلك باعتبار أنه سبق وأوضح أنه هو شخصياً قد تجاوز تجربة أوشفيتز بعدما عايشها وكشف عن بشاعاتها (هاآرتس - أكتوبر ١٩٨٨):

في الآونة الأخيرة أخذت قناعتي تزداد، أن الإحباط الشخصي كعامل سياسي اجتماعي يحرك المجتمع الإسرائيلي في علاقته بالفلسطينيين ماهو إلا فزع عميق يتغذي علي تأويل معين لدروس ونتائج الكارثة وعلي الاستعداد لتصديق أن العالم كله ضدنا وأننا الضحية الأبدية. إنني أعتبر هذه العقيدة العتيقة، التي يشترك في اعتناقها اليوم كثيرون، هي الانتصار التراجيدي المتناقض لهتلر.

ومن أوشفيتز خرج شعبان - بالمعني الرمزي -، أقلية تدعي «لن يتكرر هذا أبداً»، وأغلبية مضطربة ومرعوبة تدعي «لن يتكرر هذا لنا مرة أخري».

أولا وجدت في كلام بروفيسور ألكينا مصادقة علي الدعوة التي أوضحتها وبررتها في السابق بالنسبة للإرهاب. يدعون أن واقع الإرهاب يجب أن يؤدي إلي تقوية الخط السياسي لليمين وأنه «ليس هناك ما تفعله ضد هذا»، كذلك يقول بروفيسور ألكينا أن الانطباع وما يحدث في الواقع نفسه، سيكون تهديداً مروعاً كالإرهاب أو حتي كالكارثة. لا يحدد بالمرة النتائج التي يتوصل إليها الناس أعقاب ذلك. والحقيقة هي، بالضبط كما كتب ألكينا، أن «المخاوف في القائمة بعمق» لدى الإسرائيليين في هذه الأيام لا تتغذي مباشرة من واقع الكارثة بل من «التفسير أو التأويل المعين لدروس الكارثة»، بينما الواقع يحتمل تأويلات أخري. يعتبر ألكينا التأويل السائد والتأويل الآخر مختلفين بشكل استقطابي، لدرجة أنهما تنتجان بيننا «شعبين» وهذا الخلاف يوازي بالضبط الخلاف الأساسي الموجود بين المتطرفين وغير المتطرفين. ألكينا يميز دروس الكارثة لدي أناس مثله ومثلنا، أنهم الأقلية، كهؤلاء الذين يقولون «هذا لن يحدث أبداً مرة أخري»، والأغلبية هم الذين يقولون «هذا لن يحدث أبداً لنا مرة أخري» ويقصدون أن هذا لن يحدث أبداً لنا طالما سنكون الضحية.

الفارق بين المتطرفين، المتعصبين وغير المتعصبين هو الهوية. كنت قبل عدة سنوات قد شاهدت فيلما تليفزيونيا حول زيارة تلاميذ من المرحلة الثانوية في إسرائيل إلي أوشفيتز. عندما خرجوا ومرافقوهم من هناك أجروا مقابلة أمام الكاميرا - كما لو كانت مقصودة - برز خلالها تصريحان يمثلان فارق الهوية الذي أشرنا إلية آنفاً. فقد سألوا شابة من التلميذات، كانت قد خرجت من المكان وهي باكية، لماذا تنخرط في البكاء بهذا الشكل، فقالت «لا أتصور أننا يمكن أن نفعل مثل هذه الفظاعات مع بشر مثلنا» .. هذه الهوية التي تحدثت بها الطالبة شملت الإنسانية كافة التي أفرزت الأفعال الشنيعة في أوشفيتز وطبقاً لنظرية الكراهية فيمكن افتراض أنها تتمتع بحصانة ضدها .. بعد ذلك أجروا مقابلة مع أحد المرافقين الذي مثل بتصريحاته الاستغلال السيء للكارثة وأنه عضو الكنيست داف شيلنيسكي. وهو بطبيعة الحال، تحدث من خلال الهوية اليهودية. وأذكر الجملة التى قالها، «أيجب أن نخجل نحن؟ بل يجب عليهم أن يخجلوا هم!».

والمثال الحي أكثر من غيره بحوزتي يتمثل في جملة «هذا لن يحدث لنا مرة أخري» (أن نكون ضحية) المتصلة بمؤتمر دولي عقد في يوليو ١٩٩٣ في القدس وبحكم صلتي وانتسابي لكارثة الإبادة أتيح لي الاشتراك فيه أنه مؤتمر «الأطفال المختبئين». وكان الرئيس الإسرائيلي للمؤتمر عميد (احتياط) يوسي بيلد، قد كتب في الدعوة: «الطبيعي حقاً أن يعقد المؤتمر في القدس. هنا لن يجبر العالم أي طفل يهودي علي إخفاء هويته الحقيقة .. هنا يعيشون علناً لأنهم في حماية من أي عمل شنيع، حاضراً ومستقبلاً».

إذن ففي القدس لن يجبر العالم أي طفل يهودي علي إخفاء هويته وهنا فهم محميون من أي أعمال فظيعة. في الحاضر والمستقبل، قد ترتكب ضدهم. والعبرة القائلة بضرورة بذل الجهد والعمل من أجل أن يكون أطفال اليهود في القدس محصنين أمام أي أعمال تنكيل وملاحقة قد يتعرضون لها في الحاضر والمستقبل، حيث إنسانيتهم ومكانتهم الأخلاقية لن تكون مضمونة رغم عبر ودروس الكارثة. هذه المقولة ما هي إلا ضرب من ضروب العمي وعدم الإدراك. والزعم بأن مجرد القوة الجسمانية الطبيعية، وأن الشرطة والجيش والمحققين في غرف التحقيقات في القدس هم يهود وبالتالي فإن ذلك هو ضمان حماية تحمي الأطفال اليهود، وليس أي نجاح تعليمي، روحاني، ديني أو غير ذلك، هي أيضاً نوع من العمى وعدم الإدراك. وإذا كانت العبرة من كارثة الإبادة هي «علينا أن نكون أقوياء» ولا شئ آخر، فالمقارنة أن مؤيدي النازيين والمتعاطفين مع الجدد منهم يشجعون ويتبنون هم أيضاً نفس هذه العبرة. وبذلك تقوى المقولة المتناقضة والخاطئة -في اعتقادي- التي قال بها البروفيسور الكينا، والذي أعتبر ذلك «النصر التراجيدي المنطوي علي تناقض لهتلر» .. لكن نظرية الكراهية تقوي وتدعم استنتاجه بأن كارثة

الإبادة في خدمة التعصب تتحول من ميراث تربوي تعليمي إلي عبء كارثي.

◆ **خلاصة: ما الذي يمكن عمله مع الكارثة**

أ. يهودا الكينا اقترح ما لا يجب عمله:

لا أري خطراً أكبر علي مستقبل دولة إسرائيل من حقيقة، أن كارثة الإبادة قد أدخلت بطريقة منهجية وبقوة إلي وعي كل المجتمع الإسرائيلي، سواء للقسم الأكبر الذي لم يعاصر الكارثة أو بالنسبة لجيل الأبناء الذين ولدوا ونشأوا هنا. للمرة الأولي أفهم خطورة أفعالنا، علي مدي عشرات السنين أرسلنا طفلاً بعد آخر في إسرائيل للزيارة مرة بعد أخري إلي «التذكار الأبدي». ما الذي أردنا أن يفعل اطفال أبرياء بهذا الشعور؟ أنجعلهم منفعلى العقل وأيضاً متصلبي القلب، ودون أي تفسير لهذا الشعور؟ - تذكر ! من أجل ماذا؟ ما الذي يجب علي الطفل أن يفعل بهذه الذكريات؟ أن تمرير عديد وعديد من صور البشاعة لتنطبع في الأذهان باعتبارها قراءة لكراهية متواصلة أمر خطير ويجب أن ننتبه له.

ب - التنازل عن التعقيدات:

العقدة في تعريف التحليل النفساني الكلاسيكي، هي حدث مروع تلاشي وينبثق مرة أخري لو أن شيئاً ما ظهر وكان ذا صلة بنفس الحدث. لنفرض، أن الطفل كان بصحبة أبيه عندما تعرض أبوه لأزمة قلبية ومات في حجرة كانت فيها زهور عباد الشمس. قد لا يتذكر الطفل الحدث بعد ذلك لكن منذ ذلك الحين، ربما عندما يري عباد الشمس فانه سيبدي رد فعل مفزعاً. أما عقدنا القومية ذات الصلة بكارثة الإبادة النازية فإنها ليست ذكري شعورية، بل ذكرى تم اكتسابها وتعلمها، وعلي ذلك فهي تمثل ذكرى عامة مشتركة وليست مكبوته: فالشخصية القومية الجماعية تغذي العقدة كتبرير لقصف المدنيين في لبنان. ولكي نقول أنها عقده مبررة في نظرنا نستدعي هتلر، وهي بهذا المعني حجة قائمة علي فكرة العقدة التي تجمدت بمرور الزمن. وقد رد عاموس عوز علي بيجين في هذه الحالة من خلال مقالة كان عنوانها «هتلر قد مات، يا رئيس الحكومة». لكن الحالة الأوضح من بين الحالات المعروفة عندي ذات الصلة «بفترة الفوضي» التي سبقت الانتفاضة، عندما فرض الجيش حصاراً علي احدي القرى وكالعادة جمعوا كل الرجال في مكان واحد وحققوا معهم. هؤلاء الذين تم التحقيق معهم لم يطلق سراحهم بل جرى وقفهم مع الآخرين في مكان منفرد، علي خلفية أن يتمكن المحققون من التفريق بين من جري التحقيق معهم بعد والذين لم يحققوا معهم، لأنه كما هو معروف يوجد لدي اليهود مشكلات تحديد شخصية العرب طبقاً لأسمائهم وقسماتهم. وعندئذ لمعت فكرة لدى أحدهم بوضع علامة علي هؤلاء الذين اجتازوا التحقيق الأول عن طريق كتابة أسمائهم وعلامة مميزة علي اليد. كان هذا عاملاً مهماً في تقصير عملية تحديد الهوية بشكل كبير. وانكشف الأمر علي نطاق واسع وانفجرت فضيحة إعلامية قصيرة الأمد لكنها قوية: يكتبون للناس علي أيديهم، لكنهم لا يقلقون من صلة ذلك بالكارثة؟ الكتابة علي اليد للعرب كانت أمراً متوقعاً لمعالجة الاضطرابات الأخيرة. لقد قضوا ليلة باردة في بالعراء وكتبوا علي أيديهم بكل ما تحمله هذه الفعلة من دلالات والسبب فيما أعتقد عقدة الكارثة اليهودية.

في حالة أخري، تصدي أعضاء «راتس» وجماعات يسارية أخري لمنع إقامة بناية تنظيمية في بتاح تكفاه لعمال من المناطق. أرادوا إعداد مظلة لهم، ودورة مياه وصنابير للشرب في مساحة محددة، حتي لا يكبدوا عمالهم مشقة الانظار تحت أشعة الشمس علي جانب الطريق دون أي ظروف صحية مناسبة. لا نريد معتقلات عندنا - هكذا قال المعارضون. وكتبوا كذلك علي بيانهم «اليوم معتقلات - وغدا معسكرات تجميع»، وأضافوا إليهم نجمة داوود وبداخلها كلمات «عامل أجنبي»، الأمر الذي يذكر بنجمة داوود الصفراء. أعاد ذلك إلي الذاكرة كارثة النازي ومازال العمال تحت الشمس وبدون دورة مياه علي جانب الطريق.

وفتح المظلات من قبل أعضاء كتلة «موليدت» في الكنيست، والعبرة من اتفاق ميونخ كما عرضها «المعسكر القومي»، من الأنسب اعتبارها ردود أفعال صادرة عن عقدة: فقد صدق شخص ما ذات مرة أن العدو لن يخرج للحرب، وبعد ذلك اتضح أن نفس العدو خرق الاتفاق وشن الحرب. منذ ذلك الحين، فإنه في كل مرة يجري التحدث عن سلام مع عدو أيا كان فإن من يقولون بذلك يتعرضون لهجوم لاذع: المعارضون يعرفون سلفاً أن العدو سيخرق الاتفاق وسيشن الحرب. أما علي أرض الواقع ولكي تصبح هذه المخاطر حقيقة - فالعدو مجبر علي أن يكون قويا بما يكفي ويجب علينا كطرف ثان أن نعطيه ثقة أكثر مما يستحق، ولا نهتم بضمانات تمنعه من خرق الاتفاق. وفي اعتقادي، فإن هذين الشرطين غير موجودين في اتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية: فالفلسطينيون ضعفاء جداً مقابل إسرائيل، وإسرائيل شديدة الارتياب ومعنية وقلقة بشأن ضمانات أمنها. ولكن أيضاً من الذي يعتقد شيئاً آخر؟ ذلك هو موضوع النقاش حول علاقات القوى وحول الضمانات مقابل أخطار محتملة، فلا تأتي العبرة من اتفاق ميونخ عن طريق مقارنة أتوماتيكية لأي اتفاق مع عدو باتفاق مع هتلر.

الفلسطينيون هم عدو متطرف وبشع لإسرائيل وفي كل يوم يمر من سياسة الضم والاستيلاء نمدهم بأسباب جيدة للكراهية والأعمال الانتقامية. وبالتأكيد هناك أمور كثيرة مشتركة لكراهية إسرائيل من قبل العرب والنازيين. لكنهم بشر في الواقع وليسوا كما

يراهم المتعصبون،وهم ضعفاء ومحكومون بواسطتنا والجلاء عنهم مرهون برغبتنا. ورغم أن المتعصبين الكارهين لا يحبون الإقرار بذلك في سياق تنازلات للعدو، فقد أخرجتنا الصهيونية نهائياً من زاوية الصحة الأخلاقية للشعب اليهودي كأقلية مطاردة.

وإذا كانت هناك عبرة حقيقة من اتفاقية ميونخ ومن الادعاءات المنسوبة لتشمبرلين، ربما تكون عدم إعطاء ثقة للمتشددين المتعصبين، كهؤلاء الذين لغة خطابهم وسلوكهم تجاه أعدائهم بل وأعدائهم المنتصرين إلي كراهية بل وعدم إنسانية: وعبرة اتفاق ميونخ تلك لم يتعلمها «اليسار الصهيوني» بالنسبة للضعف الذي أبداه تجاه المتعصبين بيننا الذين استغلوا ذلك ويواصلون استغلال موقفه الضعيف. والكراهية من أي طرف كان مبنية علي نظرة الطرف الآخر كمصدر حقد وخطر فحسب (عرفات العدو الأكثر بشاعة منذ هتلر، حكومة فيشي». وهكذا) وعلي ذلك تفرض الكراهية وسيلة الحرب وليس السلام. فالسلام مرتبط بالثقة في أن العدو لن يستغل بشكل سيئ التخلي عن استخدام القوة من جانبنا. إن عبرة ميونخ كما أقترح أنه من الأجدي والأفضل للجميع أن يتعلم تشخيص سمات الكراهية (من السهل التشخيص، حسب درجة الوحشية) وعندما نشخص ونحدد ضرورة أن تكون لنا وقفة مع المتعصبين، لابد أن ندرك أنه كلما كانوا يشعرون أنهم أقوياء ولا يخشون من نتائج محاربتنا فإنهم سيقاتلوننا. لقد أكد تشمبرلين عدم وجود أي احتمال في توقف المتعصبين المنظمين ذوى القوة عن مكافحتنا لو أننا قدمنا لهم تنازلات. كما وليس هناك احتمال أن يتأثروا من علاقتنا الطيبة بهم. فلو استشعروا أننا ضعفاء فإنهم سيفسرون ذلك علي أنه خوف أو تراجع من جانبنا وباعتباره دعوة للهجوم علينا بدرجة أشد.

عبرة ميونخ لا تلزم بعدم تقديم تنازلات أبداً للعدو، بل أن نقلق إنه إذا كان العدو متعصباً أو كارهاً لنا فإنه لن يستطيع - حتى لو أراد - أن يستثمر التنازل المقدم إليه ليهاجمنا. وبالتوازي وكذلك في مرحلة تالية، فإنه عن طريق الاتفاق وفي ظل ظروف سليمة، يمكن أن تتطور عملية قبول متبادل بيننا.

من بين الأمثلة التي أوردناها، ما قام به أعضاء حركة بيتار، «يحظر علي المستشار الألماني أن يأتي إلي مداخل مدينة القدس المقدسة ويدنسها» يبدو أن تعبير «نازي» هو تعبير عنصري خالص حيث «نقاء العرق» يعكس عنصرية خالصة وتعصب لا حد له، لكن إذا أردنا أن ننسب ذلك إلي الكارثة فيمكن أن نعتبره رد فعل لعقدة. وإذا لم تكن عنصرية، فحقيقة أن شخصاً ما هو ألماني لا تمثل إتهاماً حيث لا يمكن إدانة شخص بسبب أصله العرقي، إلا إذا أردنا أن نغذي هذه العقدة.

◆ نعم للمقارنة: أشكال السلوك في إطار أربعة أضلاع .. الجلاد - الضحية - المنقذ - المراقب

حالة أو وضع البشر المتداخلين في علاقات كما كانت في أوان الكارثة. علاقات الجلاد. الضحية، المنقذين القليلين والمراقبين الكثيرين من الخارج، هي حالة عالمية طالما هناك أقليات وكراهية: فكارثة الإبادة هي هدف لمقارنة أخلاقية وفي مثل هذه المقارنة يجب أن نقارن أنماط التفكير والتعبير الموضوعية المتفردة. فالظروف السياسية وعلاقات القوي يمكن أن تكون مختلفة تماماً بينما أهداف مقارنتنا - كبشر - يمكن ألا تتغير أبداً فإذا ما أقدمنا علي المقارنة بين هؤلاء الذين عاشوا وعملوا في ظل الكارثة وبيننا، فاللياقة تفرض علينا أن نحكم عليهم وعلي أفعالهم ونقارنها بأنفسنا وبأفعالنا، وفقا لوضعهم ووضع الواحد منا علي نفس الرقعة رباعية الأضلاع التي خطها التاريخ.

إنني افترض أن القراء غير المصابين بفيروس الكراهية لا حاجة عندهم للتدليل علي حقيقة أن هناك أناسا لدينا أقرب في موقعهم من نفس الزاوية في الرقعة الرباعية التي يقف فيها النازيون، أي في الزاوية القومية - التعصبية - العنصرية التي يقف فيها الجلاد، نعم أنهم يكثرون من مضاهاة أنفسهم، أتوماتيكيا، بالضحية، وعدونا بالنازيين، ومعارضيهم بالخونة. في هذا السياق لدي إثبات واحد، له أثره القوي بالنسبة لي، علي أن هذا التعميم تم بالطريقة الصحيحة، وأن مقارنة أنماط التجاهل والتخفي، التفكير والتعبير التي تستهدف مكانة الصور الإنسانية باقتراب إحداها من زوايا الرقعة المربعة هي المقارنة الصحيحة والمطلوبة. أحد التعارفات المؤثرة لي في السنوات الأخيرة حدثت بعد مقال نشرته تحت عنوان «حليقوا الرأس لدينا» والذي حللت فيه مقاطع نشرت آنذاك في جريدة رحبعام زئيفي، «موليدت» عن مظاهرة سلمية اشترك فيها عدة منظمات سلام من خارج البلاد، وقام المشاركون فيها بتشبيك الأيادي حول أسوار المدينة العتيقة.

وفي أعقاب المقال الذي نشرته حول ذلك تعرفت علي يسرائيل إيلت، الذي تعرض لأقسي ما يمكن أن يتحمله إنسان من فظاعات الكارثة، معسكرات الاعتقال وحملات الموت، وإضافة إلي ذلك تعامل مع التساؤل الدائم، ما الذي ساعده وساعد أناساً آخرين ليحافظوا علي صورة - الإنسان بداخلهم؟ يسرائيل الذي كتب عن ذلك في كتابه «لم يحدث شئ»، قال إنه ببساطة عرف كل أنماط التفكير والتعبير الخاصة بالوطن من هناك، من النمسا الفاشية، تذكر متي بدأ ذلك بالتحديد ... نفس الصور ونفس الأسلوب الذي يشي بنفس العقلية ويدرك إلي أين يقود كل هذا إذا لم نوقفه الآن. ذلك هو نموذج لمقارنة صحيحة وموضوعية في اعتقادي.

◆ لا لمقارنة أعمال اليهود بأعمال النازيين في الجدل السياسي

هذه النصيحة أدلي بها البروفيسور شاؤل فريدلندر: من المباح والمرغوب، في اعتقادي، وعبرة الكارثة تفرض ذلك، أن نحلل مجالات الجهل وأشكال التعبير والتفكير لدي الإسرائيليين ونقارنها بأشكال التفكير والتعبير الفاشيستية والنازية عندما تبدو كذلك. ولكن لنفعل ذلك في المناقشات فيما بيننا، من أجل اختبار أنفسنا، ولأهداف بحثية وتربوية. وفي النقاشات السياسية، رغم أنه من الصعب أحيانا كبح جماح الأمر، فمن الأفضل أن نضاهي أو نقارن المتعصبين المتطرفين بحليقي الرؤوس في عصرنا الحالي بمعني أن نميز بدقة ونحدد بالأسماء أشكال التعبير العنصرية والفاشية في عصرنا. فهناك حكام دول هم حثالة الجنس البشري كانوا ورثة النازيين. ويمكن إذا أردنا، مضاهاة المتصلين بالأمر باصدقائهم من الماضي القريب للغاية، مثل الجنرال سلان الفرنسي من الجزائر، عيدي أمين (أوغندا)، شاوسيسكو (رومانيا)، نورييجا (بنما)، بوتا (جنوب أفريقيا)، أو بنوشيه (شيلي). هذا ما يجب أن يتم.

◆ حد الأوهام: «حالة رابين»:

في الخامس من نوفمبر ١٩٩٥، أثناء احتفال كبير مؤيد لاتفاق أوسلو، أغتيل رئيس الحكومة يتسحاق رابين علي يد قاتل ينتمي إلي المعسكر القومي - الديني يدعي يجال عامير وتحول الأمير علي يد اليسار الصهيوني إلي أسطورة غير مسبوقة في تلك الليلة امتلأ أكبر ميدان للاحتفالات في الدولة والذي أطلق عليه منذ ذلك الحين اسم رابين، بالأشخاص الممسكين بالشموع المضيئة. وأنشدوا اغاني حزينة وقاموا بالحداد جماعات - جماعات. وفي ذات الليلة أيضاً ولدت بصورة عفوية صورة دينية طقسية جديدة لأسي وذكري الموت، وكانت الكتابات علي الحوائط تعبيراً علنيا شخصياً ومباشراً عن كل مواطن بالغ أو طفل.

والتجمع العفوي كل ليلة في ميدان بلدية تل أبيب يستدعي الظروف الفورية للحدث المدوي في نفس المكان. لكن مؤرخ المستقبل أو كل من يبذل جهده لبحث الحقائق، سيجد صعوبة كبيرة في اكتشاف الصلة بين رابين وسياسته وبين الخرافة أو الأسطورة التي تخلفت بعد موته في دوائر «السيار الصهيوني». ما الذي حول رابين إلي صورة تطابق معها اليسار الصهيوني وجعلها رمزا روحانيا له؟ إن هذا الجزء لا يعني بتقييم الرجل وإنجازه التاريخي، بل بظاهرة رابين التي حدثت مع موته في وعي بطل هذه القصة، أي اليسار الصهيوني. والتحليل سيحاول أن يدرس فرضيات مختلفة حول ماهية الصلة بين القيم المعلنة للناس الأخيار ومنظمات اليسار الصهيوني وبين رابين.

فرضية ١: تقارب شخصي - تنظيمي

المقصود هي دراسة فرضية أن اليسار الصهيوني اتفق إلي حد التطابق في الرأي مع رابين، وأن رابين أعطاه شعوراً بأنه «صديق» يميل إليه. وينسبه إلي دائرته الاجتماعية - الثقافية. تلك هي الصلة التي تعطي الشريك فيها الشعور بأنه واحد من الشلة. إنها علاقة ود تقوم علي ثقة أساسية تفترض أن هؤلاء الناس يمكن العمل معهم ويمكن الاعتماد عليهم، وهي علاقات اجتماعية إيجابية علي أساس تقارب ذهني عقلي وواقع مشترك. ولم أجد أي شيء يشهد علي مثل هذه الصلات بين رابين وبين شخص ما من نوع «الأخيار»، حتي يوم موته الذي غني فيه مع الجميع نشيد السلام وتبادل الأحضان، كما قالوا، مع المطرب الشاب أفيف جيفن وبعد انتخابه رئيساً للحكومة، وجدت تصريحاً واحداً فقط لرابين تعرض فيه لليسار الصهيوني، حيث قال: «لو ظهرنا، كما بدأت الحكومة في الظهور، باعتبارنا حكومة يسارية وليست حكومة وسط، وباعتبارنا غطاء لميرتس وحداش ودراوشة، فاننا سنسقط سريعاً. (أقوال أدلي بها في مكتب حزب العمل، مايو ١٩٩٣).

أي أن إطار تعامله كان أحرص علي الصورة التي يبدو عليها في أعين اليمين، هؤلاء الذين نظروا إلي حكمته باعتبارها «يسارية». وعندما تقرر إعطاء جائزة إسرائيل للبروفيسور يشعياهو ليفوفيتش (الذي تنازل عنها في النهاية) أعلن رئيس الحكومة رابين أنه لن يذهب إلي مراسم الاحتفال. وبناء علي كل ما توفر لدي من مواد فلم تكن له أيةجاذبية أو ود أوتقارب شخصي مع ما يمت بصلة لليسار. فالأخيار والنماذج الأكثر أعتدالاً في حزب العمل، مثل يوسي بيلين، اعتبروا خصوماً لرابين، وبيريز. ففرضية التقارب الشخصي التنظيمي إذن ينقصها التأييد الكامل والنهائي.

◆ فرضية ٢: تقارب من أجل الإنسانية

بشكل سريع في النقاش الأول الذي جرى في مكتب حزب العمل، بعد أن أعلن اتفاق أوسلو، قال رابين - في كلمات لا تحتاج إلي إضافة - ما يثبت أنه لم يكن من الأخيار طالما ارتبط ذلك بأخلاق القتال والعلاقة بسكان العدو ولم يجب «الأخيار» أصلاً واقترب من إقناع أعضاء حزبه بجدوي عقد صفقة مع منظمة التحرير بهذه الكلمات: «آمل أن نجد شريكا يكون مسؤولا عن المشكلات الداخلية في غزة، ويتولي علاجها بدون محكمة العدل العليا، وبدون مشاكل لأي من الأخيار - الأمهات والأباء وما شابه» (يديعوت أحرونوت ١٩٩٣/٩/٣).

وفي احتفال حصول بيريز علي جائزة نوبل للسلام ذكر رابين في خطابه أخلاقيات الحرب الرفيعة لجيش الدفاع الإسرائيلي والشفرة الأخلاقية التي ارتبطت بأبناء جيله. ومؤرخ المستقبل الذي يقرأ هذه الشفرة الاخلاقية، أو يبحث عن دلائل تأثيرها، لن يتولد انطباع لديه بأن الأمر كان ناتجا عن الخوف علي الصورة الأخلاقية لجنوده أو قلقا علي نظافة السلاح بعد فترة

طويلة نسبياً من استخدامه ضد سكان من المدنيين والأطفال.

وحقيقة أن جنود إسرائيل يؤدون الدور الذي تؤديه الشرطة في أي دولة عادية لا يرد علي تفكيرها هذا الكود أوالشفرة المزعومة. ليس هناك أيضاً أي دليل علي الشعور الأخلاقي لرابين في المواقف الحقيقية التي مر بها علي مدي عشرات السنين، وخاصة كرئيس حكومة ووزير للدفاع: أي تعبير عن خطر أخلاقي يكاد يقع فيه جنودنا، أي لفت انتباههم للحفاظ علي نظافة السلاح، أي أمر أو تحذير أو تصريح يلزم بالتشديد علي نظافة السلاح في مواجهة عشرات ومئات من الضحايا المدنيين غير المسلحين، بما في ذلك الأطفال، في الانتفاضة. كذلك لاأحد بالمرة يستخدم كلمة «ضمير». بالمرة فإذا وجد المؤرخون في المستقبل، مثلما وجدت أنا، أن سياسة وسلوك قوات الأمن الإسرائيلية في الانتفاضة - ليس استثناءً بل السياسة نفسها - كانت سقوطاً أخلاقيا مدويا، فلا شك أن رابين سيبرز كأحد المسؤولين الرئيسيين. فالإنسان صاحب الشعور الأخلاقي بالنسبة للسكان الخاضعين للحكم العسكري كان يمكن، في موقف وفي موقع رابين، أن يغير الواقع المروع للسنوات التي شغل فيها منصب وزير الدفاع (علي سبيل المثال، عدم إرسال جنود غير مدججين بالسلاح لتفريق مظاهرات عنيفة، في جماعات صغيرة وبكميات كما لو أنهم يخرجون للصيد وليس لصدامات تتعرض فيها حياتهم للخطر).

كما لا توجد أية شواهد علي أن رابين أدان ولو مرة واحدة أقوال التحريض للقيام بجرائم اعتاد ترديدها رجالات الكوماندوز (بلماح) من اليمين المتطرف مثل رفائيل ايتان ورحبعام زئيفي. ورابين لم يرد، مثلا عندما قال رفائيل متحدثا عن «الشفرة الأخلاقية» الخاصة به «ما الذي يعينه استخدام معتقل للسلاح؟ لا لقتل العدو؟ أتطلق علي القدمين بدلاً من الرأس؟ - هذا يؤدي إلي إضعاف المعنويات في الجيش. وما الذي يعنيه نظافة السلاح؟ السلاح غير نظيف. السلاح وجد ليقتل». (يديعوت أحرنوت ١٩٩٤/١٢/٢٧) رابين نفسه لم يتحدث بهذه الطريقة، لكن الرجل الذي كان المتحدث الرسمي له في التليفزيون خلال الحملة الانتخابية التي قادته إلي السلطة، عميد (احتياط) بنيامين بن اليعازر، تبرع لوسائل الإعلام بإعلان أن «فقط كثيرو البكاء الأخيار هم الذين يهتمون بالنظرة الإنسانية للمشكلة الفلسطينية .. إن قسوة الاحتلال لا تشغلني» (هاآرتس ١٩٩٣/١/٣١).

وسيجد المؤرخ أدلة كثيرة لا تمدح علاقة اليسار الصهيوني بأخلاق القتال عند رابين. ففي بداية الانتفاضة (ديسمبر ١٩٨٩) وقف يوسي ساريد علي منصة الخطابة في الكنيست وباسم الاطفال الفلسطينيين الذين لم يتمكنوا بعد من التحدث قال لوزير الدفاع ارحل! وباعتباره وزيرا في حكومة رابين لم يضف شيئاً للثورة علي قتل الأطفال الذي تراكم في فترة تولى ايهود باراك رئاسة الاركان في جيش الدفاع، مقابل ذلك أبدي، مع كل اليسار الصهيوني، معارضة كبيرة لطرد نشطاء حماس إلي لبنان لكنه لم يذهب وبقي في الحكومة في وضع وصفه بكلمات معروفة «نحن أسري السلام». وفي النهاية، فإننا مضطرون لذكر إحدى أكبر العمليات مناهضة للإنسانية في كل الأزمان والتي قامت بها إسرائيل علي يد رابين وميرتس في الحكومة، «عملية كشف حساب» (يوليو ١٩٩٣ بالضبط قبل الإعلان عن اتفاق أوسلو). لقد تعودنا علي انفجارات ارهابية في مدن عربية قبل (مثل إربد الأردنية)، لكنها المرة الأولي لعملية عسكرية يكون الهدف واضحاً ومعلنا وغير قانوني بالمرة: طرد سكان بالكامل من منازلهم واخلاء قطاع من الأرض من سكانه.

«عملية كشف حساب" كانت عبارة عن انفجارات من الجو وعلي الأرض، وكم اتمني ألا تكون جريمة حرب، علي خلفية قولهم أنهم يقصفون فقط «قصفاً وهمياً» بعض القري لجعل السكان يتركونها. لقد ترك ٤٠٠,٠٠٠ نسمة جنوب لبنان وتوجهوا شمالاً. ولايهمنا الآن مدي النجاح الاستراتيجي والتنفيذي لهذه العملية. يعنينا الرد الأخلاقي «لليسار الصهيوني» الذي علي ما يبدو شاهد كل شيء وتعود عليه، فكان رده الأخلاقي تقريباً لا شيء، الرد صفر.

والمؤرخ سيجد بالطبع وسريعا، أنه عندما اندلعت الانتفاضة قال وزير الدفاع يتسحاق رابين أننا سنكسر أيديهم وأرجلهم. وقد أدي هذا التصريح إلي موجات إعلامية ضخمة. رابين، بالطبع، لم يقصد حرفيا هذا الكلام، لو كانت هناك حاجة للتوضيح، مثل ما كان رئيس أركان حرب يوم الغفران، دفيد اليعازر لا يقصد المعني الحرفي عندما قال في ذروة الحرب إننا سنكسر قوتهم. لكن وكما أثبت في فصل الانتفاضة، فإن كثيرين من قوات الأمن فهموا ذلك حرفيا ولم يتوقفوا حتي كسروا أطراف مئات الناس، ليس بالأخص من مثيري الاضطرابات لهؤلاء الذين ألقي القبض عليهم فحسب، كنوع من العقاب ورابين لم يوقفهم. لقد كان بعيداً عن مشاعر «الأخيار» وما من دليل واحد إنه كان معنياً بشكل خاص بمشكلة «نظافة السلاح» حتي في الخطاب التاريخي، مع توقيع اتفاق الاعتراف المتبادل مع منظمة التحرير في واشنطن، تجاهل رابين النظرة الأخلاقية لسياسة الضم وتحدث فقط كقائد مسؤول عن أن جنوده يقتلون ولذلك قال، «يكفي هذا».

وفرضية أن اليسار الصهيوني اتفق في الرأي مع رابين بسبب مشاعر «الأخيار»، هي إذن فرضية غير مقبولة.

فرضية ٢: الاتفاق في الرأي مع موقف رابين السلبي

تجاه المستوطنين ..

مع اتفاق أوسلو أعلن رابين أولاً «لا إضرار بالاستيطان» وفي وقت سابق علي ذلك، في نوفمبر ١٩٩٢، التقي بمندوبي مجلس المستوطنين في الضفة وغزة الذين اشتكوا بأنه يجعلهم غير شرعيين. «بناء ١١٠٠٠ شقة بأموال الدولة يسمى عدم شرعية؟»، ودافع رابين عن نفسه. لقد أراد رابين أن يظهر في صورة السيد «أمن» وباعتباره رئيساً لحكومة وسط وليس حكومة «يسارية» وهو أمر بالطبع يدلل علي عدم فهمه التام للتعصب الذي كان له شأن معه. ولم تساعد حقيقة أن حتي سلفه في منصب وزير الدفاع في حكومة اليمين موشيه أرنز، لم ينجح في ارتداء ثوب الوسط امام المستوطنين (طاردته قوتهم بالتظاهر في كل مكان رحل إليه. وفي كريات أربع حاولوا منع طائرته الهيلكوبتر من الهبوط. وكل هذا قبل ان يحلم أحد بالاعتراف بمنظمة التحرير وباتفاق أوسلو). ولم يفهم أنهم يعتبرون كل من يقف في طريقهم عدو يجب التخلص منه وكلما حاول إرضائهم، لم يساعده ذلك. وفي رد فعل فوري علي اتفاق أوسلو قال أحد حاخامات المستوطنين، عضو الكنيست حنين يورت (مفدال) أن تسليم غزة وأريحا لمنظمة التحرير هو بمثابة خيانة لأرض إسرائيل ولمسيرة عودة صهيون، ولا شرعية لأي نوع من أعمال الخيانة».

ماذا يمكن أن يكون مفهوماً من تلقاء نفسه وما هو الأقل سياسياً من إدانة أعمال قتل مع سبق اصرار وترصد لأبرياء؟ وبعد قتل ثلاثة فلسطينيين من تركوما بالقرب من الخليل علي أيدي مستوطنين «علي خلفية قومية» كعمل انتقامي، أعلن مجلس مستوطني الضفة وغزة (حدشوت ١/١١/٩٣): «الذي يجب أن يسأل نفسه كيف حدث الأمر هو رئيس الحكومة، الذي يدفعنا بالتدريج خارج إطار، والواقع انه يوحي للناس أن حياتهم مباحة» وجاء رد فعل رابين في التليفزيون تبريريا، فقد دافع عن نفسه أمام الاتهامات الموجهة ضد قوات الأمن ولم يتضمن رده أي بُعد أخلاقي، أي ادانة لهؤلاء الذين يبدون تفهماً لأعمال اليهود الإرهابية ويدينونه هو. إن رد فعل رابين لم يشبه حتي رد فعل سلفه موشيه ارنز، الذي قال عن هذا الحادث في الراديو : «لا يمكن ان اتسامح في هذا السلوك المستهتر، وغير القانوني، وغير الاخلاقي للمستوطنين الذين احرقوا سيارات كثيرة بعد عملية قتل مدنية .. إنه إلحاق اذي بابرياء لا ذنب لهم».

الأيضاح التالي ربما يكون مطلوبا لمؤرخ المستقبل، في حالة ما إذا كان أبعد من أن يفهم معني بعض التعبيرات والمصطلحات في العبرية الدترجة والتي يمكن أن تفشل باستنتاج أن رابين قال ما يعد تهديداً للمستوطنين وأظهر لهم كراهية وبذلك وضعهم أمام مصطلح «الدافع». وهذا الايضاح مطلوب كذلك علي ما يبدو لكثير من الإسرائيليين الموجودين الآن، الذين ليست لديهم فكرة كافية عن غباوة وحماقة والتأثير السريع المرتبط بهما فيما تبثه وسائل الإعلام علي الدوام كنوع من أنواع السم.

كان لدي كثيرين في «اليسار الصهيوني» أمل في أنه مع صعود المعراخ إلي السلطة ستسقط حكومة المستوطنات. علي الأقل، علي خلفية أنهم يأملون آن تقوم دولة فلسطينية. أو آن يكون سلام، أو آن المستوطنات هي عائق للسلام، والجدير أن كثيرين داخل اليسار الصهيوني كانلديهم توقع واضح آن رابين سيزيل المستوطنات خاصة أنه هو نفسه، عندما كان في المعارضة، صرح ذات مرة:

«حكومة الليكود تسخر منا جميعا. يُظهر مبعوثوها اهتماما كبيرا بالسلام عندما يذهبون إلى واشنطن، لكن نفس الحكومة هنا تضع عائقاً تلو الآخر أمام أي احتمال للسلام، أو حتي الحكم الذاتي، أن الواحدات السكنية من ٢٠:٢٥ ألف التي تم بناؤها ومازالت تستكمل في هذه الأيام علي كل هضبة وتحت كل شجرة يانعة في الضفة الغربية وفي قطاع غزة، هي بمثابة أعمدة خرسانية فوق قبر الحكم الذاتي» "يديعوت أحرونوت ١٩٩٢/١/١٠).

ولم يكن لدي المستوطنين - في الواقع - شك بأن رابين سيحاول أزالة المستوطنات وقد أبدوا الاستعداد الجاد لاحباط هذا الاحتمال. لكن لانني اتحدث في هذا الفصل عن الخداع والاوهام، فيجب أن نذكر أنه رغم أن رابين قال بإن حكومة الليكود «تسخرمنا جميعا» وانها تدفن احتمالات السلام تحت خرسانات المستوطنات، فإن مايام وراتس اعلنتا في نفس الوقت انهما لن يصوتا ضد حكومة اليمين «طالما استمرت عملية السلام» !

وفي مارس ١٩٩٣، في ظل حكومة رابين، اقترح يوسي ساريد تسليم قطاع غزة لدولة فلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية. وحتي في الليكود كان هناك تأييد لأن تخلي إسرائيل القطاع من جانب واحد، وأعرب موشيه آرنز (ليكود) عن تأييد الفكرة بعد ما فقد منصب وزير الدفاع. فما الذي فعله رابين بعد انتخابه؟ ما الذي قدمته حكومة رابين للمجتمع من علاقتها بالمستوطنين؟ لقد قام وزير زراعته احد ابناء الكيبوتسات يعقوف تسور، بزيارة لشد أزر مستوطني جوش قطيف ووعد بتزويد مستوطني قطاع غزة بمائتي عامل أجنبي. ووزير السياحة عوزي برعام المحسوب علي الحمائم. زار مستوطنة حوف - دكليم ووعد بإقامة متنزه. كذلك وزيرة العمل والرفاهة، أورا نمير، جاءت لمستوطنات قطاع غزة لمزيد من الاهتمام برفاهة السكان (اليهود). وكان وزير الإسكان بنيامين بن اليعازر، قائد الضفة الغربية سابقا، والذي واصل بناء المستوطنات بمعدل لم يجعل لدي المستوطنين كلمة سيئة

عليه. وفي هذه الفترة، مارس ١٩٩٤، تحلي بن اليعازر نفسه بالشجاعة واقترح اخلاء المستوطنة اليهودية في الخليل. في أعقاب المذبحة التي ارتكبها باروخ جولدشتاين، نظراً لأن الاحتمال الآخر كما يراه «إن توضع عليهم حماية متصلة لا تقل عن نظام صارم تحت إمرة لواء كامل». ورابين؟ في بيان سياسي ألقاه في الكنيست حول مذبحة جولدشتاين الذي أسماه بالرجل الشنيع والحقير، قال: «إن عملية القتل الشنيعة لن تحركنا عن مواقفنا الأساسية المتعلقة بأمن إسرائيل وبأمن مواطنيها، بما فيهم المستوطنون اليهود في الضفة وغزة». (هاآرتس ١٩٩٤).

ولنتذكر، من فضلكم، أن رابين قُتل بعد ثلاثة سنوات وثلاثة أشهر منذ توليه، دون ان يوضع علي جدول أعمال الحكومة بالمرة إخلاء المستوطنات ودون آزالة ولو مستوطنة واحدة، ولا حتي المنطقة الاستيطانية ناتسريم المحاطة بالسكان العرب في قطاع غزة. والمفترض أن رابين الذي تمسك بموقفه المعارض للمستوطنين ولمستوطناتهم باعتباره من اليسار الصهيوني، قد أبعد هذا الموقف أيضاً من جدول الأعمال.

◆ فرضية ٤: تقارب ايديولوجي في الصراع علي أرض إسرائيل

لأنه في عهد رابين برز دور الشباب (جيل كامل طلب السلام، الذي قام في اعقاب الاغتيال تقريبا كحركة باسم رابين)، يفترض أن هؤلاء الشباب قد تجاهلوا أو تراضوا طوال عامين من حكم رابين حتي اتفاق أوسلو، وأن مشاعرهم بالنسبة إليه كانت تتفق تماماً مع أوسلو، ومع الرجل الذي اقتحم الطريق إلي مباحثات مباشرة مع عرفات ومنظمته.

كان البيان الأول لرابين، الذي بثه للمجتمع بعد أن أعلن عن اتفاق أوسلو، قد حدد اسلوبه ومن ثم أسلوب إسرائيل (الذي لم يتغير حتي الآن): «اضطرابات في البطن» بما يعني شعور بخوف شديد، وكذلك «في أي مرحلة نستطيع ايقاف العملية»، وأيضا «دون الإضرار بالاستيطان». بعد ذلك علي الفور جاء الايضاح بان رابين يأمل أن يكون الكيان الفلسطيني «أقل من دولة».

وقد عاد رابين أيضاً بعد أوسلو إلي الصيغ المعروفة لحزب العمل «إنني اعتقد في حق الشعب اليهودي علي جميع أرض إسرائيل، لكن قلنا إننا لا نريد ضم مليوني عربي وأن نصبح دولة مزدوجة القومية». وتسمية «دولة مزدوجة القومية» لدولة الضم هو تعبير لاذع عن واقع القمع. وقد وردت كل هذه الأقوال بوضوح تام دون أي تحول أيديولوجي. فلم تكن هناك أي مظاهر إنسانية توحي بأي احتمال لكسب التخلي عن مأزق الاحتلال بالقوة، وليس هناك ابداء ثقة باستئناف اخلاقي أومحاولة لإعادة الروح والأمل في التسوية. لقد كان كل موقف رابين يستهدف التوائم مع هؤلاء الذين قالوا إنه يرتكب عملاً خاطئاً يفتقد إلي المسؤولية أو من قالوا «خيانة» و«انتحار قومي»، وهدأهم بقوله «الأمر ليس قظيعاً إلي هذا الحد، فكل البقرات المقدسة باقية في الحياة».

رابين نفسه قدم اتفاق أوسلو باعتباره تغييراً تكتيكياً وليس علي أنه تحول أومراجعة بأي تغيير موقف. وقد أوضح، أنه مع منظمة التحرير فقط يمكن أنهاء الموضوع بأي شكل في المناطق. ولم يقم بأي تغيير «ايديولوجي»، كما أوضح أن إسرائيل قوية وليس هناك ما تخشاه. وبالطريقة التي قدم بها رابين اتفاق أوسلو وتعامل بها مع العمليات الإرهابية التي أدان بها منافسوه وغالبية المجتمع الاتفاق، بهذه الطريقة في الحقيقة أشعل خوفهم وأثار معارضتهم. وكما ذكرنا أنه قال ذات مرة: «ليس هناك كذبة أكبر من الإدعاء بإن ضحايا هذه العمليات هم ضحايا السلام، كما يدعي اليمين المتطرف، لأن هؤلاء هم ضحايا التسلط علي شعب آخر يثور ضد سلطتنا». (دفار ١٩٩٤/٥/٢٢). لكن ذلك لم يصبح خطاً ثابتاً وموجهاً من الناحية الدعائية، ولم يبذل رابين أو حزبه أي جهد لتثبيت ذلك في الوعي العام للمجتمع باعتباره موقف الحكومة. والجدير بالذكر إنه في هذه الحالة أيضاً كان رابين كريما ولطيفاً مع اليمين برمته، عندما قال إن هذه الكذبة هي إرث «اليمين المتطرف». والكذبة الكبري آن ضحايا الإرهاب هم ضحايا السلام، وتجاهل أنهم ضحايا تسلطناعلي شعب آخر، اصبحت آنذاك إرث المجتمع كله. ولو أردنا الحكم طبقاً لتناول وسائل الإعلام للموضوع. سنجد أن الرئيس فايتسمان، الذي قام بدور زعيم سلام إيجابي، متفاءل، ومثير للثقة والأمل في اتفاقية السلام مع مصر، انقلب تجاه عملية السلام مع منظمة التحرير. لقد أنضم إلي اليمين وروج في المجتمع رأيه بإن ضحايا الإرهاب يفرضون علينا وقف العملية السلمية والتفكير بإن الأمر لا يمكن أن يتواصل.

لقد أدعي رابين أنه لا يؤمن بالدعاية. وهو قول واضح: إنسان يقول إنه لا يؤمن بالدعاية في الوقت الذي لا يؤمن هو نفسه بصورة أشد بالفكرة التي يجب عليه أن يوضحها. إن ما حدث بالفعل هو أن منظومة الخوف من الاتفاق استجابت لمتطلبات المتطرفين والميالين للموقف المتطرف. ومن يعرف منطقهم ومفاهيمهم، الكراهية، يعرف أنه بدون خوف العدو فلا وجود أبداً ولا مبررلكل مواقفهم أمام إعدائهم ومنافسيهم. أن خوفهم الحقيقي يكمن في زوال الخوف باعتباره العنصر الذي يفرض ويبرر وجهة نظرهم. وانتبهوا أنه في يوم من الأيام اقتنعت غالبية الشعب أننا أقوياء بما يكفي أمام أعدائنا، وليس هناك مانخشاه لا من دمار ولاحتي من حرب حقيقية. وأغلقنا ملف هذا الموضوع. وكان هذا بمثابة ذبح للبقرة المقدسة الناجعة والرائجة، آلا وهو الاعتقاد في «وجود خطر ما علي جوهر وجودنا»، بما في ذلك الضم والاستيلاء بالطبع.

٢

من كتاب "المثالية (الطوبائية) بالزي العسكري"

دور وتأثير ديفيد بن جوريون في تشكيل الدولة

زئيف دوري. تابع الفصل الأول (٢)

بناء جيش موحد بدون نزعة سياسية:

مع إندلاع المعارك الضارية والتي كانت تهدف لطرد الجيش المصري من قطاع النقب ومن شمال سيناء، والوصول، إلي حسم الموقف تماما مع هذا الجيش. تم تنفيذ عملية واسعة النطاق وفقاً للخطة الموضوعة، علي الرغم من الصعاب في مراحلها الأولي. فقد إحتلت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي بقيادة يجائيل ألون، المواقع التي تشرف علي مناطق العوجة وفي ٢٧ ديسمبر ١٩٤٨ إنتهت المرحلة الأولي الحاسمة من المعارك. ومن هذه المرحلة فصاعداً لم يعد الجيش المصري للقتال في نطاق أرض إسرائيل (فلسطين) بل علي أرض مصر، وكان أقرب إلي الإنهيار.

وصبيحة ذلك اليوم عبرت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي الحدود الدولية. وعلي الرغم من تعمليات «يادين» لقائد الجبهة ،ألون، بوقف التقدم في إتجاه العريش، إلا أن جزء من القوات إستمر في التحرك نحو أبو عجيلة وإحتل مطاراً علي بعد عشرين كيلو متراً من العريش. فأبرق يادين إلي يجائيل ألون قائلا: «إنني أكرر وأؤكد، أنني أحظر عليك القيام بأي عمل شمالي أبو عجيلة بدون تصديق مني». وفي أعقاب تلك البرقية طار ألون إلي تل أبيب، للقاء شخصي مع بن جوريون. وفي هذا اللقاء تم الإتفاق علي القيام بهجوم في إتجاه خط غزة - رفح، من خلال عملية انزال للعريش بغرض التضليل. وقال بن جوريون الذي كان يخشى من رد فعل بريطاني غاضب، قال لألون: «إذا ما جاء الانجليز فسنعود لحدودنا، أما إذا وصلوا للعوجة فسوف نحارب».

وبعد ذلك بوقت قصير سلم سفير الولايات المتحدة في إسرائيل، جيمس ماكدونالد لبن جوريون ولموشيه شاريت رسالة من رئيس الولايات المتحدة هاري ترومان، يطالب فيها بالإنسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية من الأراضي المصرية. وفي هذه الرسالة إشارة إلي إحتمال تدخل عسكري بريطاني، وفقاً للمعاهدة الموقعة بين مصر وبريطانيا من عام ١٩٣٦. وقد أوضحت أبحاثا لاحقه أن البريطانيين لم يفكروا في خطوة كهذه وأن الإنذار ولد بمبادرة أمريكية.

إلا أن بن جوريون سارع وقرر، بمشورة مع شاريت ويادين، سحب جيش الدفاع الإسرائيلي من سيناء. وقد صدر الأمر في هذا الشأن في ٣١ ديسمبر ١٩٤٨. لأن بن جوريون رأي الصورة كاملة وليس فقط الشق العسكري: أي ضرورة الحفاظ علي شبكة العلاقات مع الدول العظمى، وعلي رأسها الولايات المتحدة، وضرورة الإمتناع عن إستفزاز البريطانيين، والتي كانت سياستهم معادية للصهيونية، بالإضافة لضرورة إنهاء الحرب مع الدول العربية المجاورة.

وفي مساء ٧ يناير ١٩٤٩ عرف بن جوريون أن «وقف النيران» بدأ سريانه علي الحدود الجنوبية، وفي اليوم التالي سجل في مذكراته: «في العام الماضي قمنا بعمل أكبر إنقلاب في تاريخ شعبنا: فقد أسسنا الدولة اليهودية وخرجنا من العبودية إلي الخلاص، وأنشأنا جيش دفاع لإسرائيل وحاربنا الجيوش العربية التي غزتنا وكنا ندا لها. وحررنا النقب والجليل ودفعنا بأكثر من مائة وعشرين ألف مهاجر في عام واحد من الشتات كبداية أولي لتجميع الشتات. وأصبحنا كيانا رسمياً في الشرق الأوسط وفي العالم كله».

وأثناء ذلك،علي ضوء المشاكل العديدة والصعبة، قاتل بن جوريون لتحقيق تطلعاته ببناء جيش موحد، وخاضع تماماً للهيئات المدنية، بدون أي صلة بأسس تنظيمية - سياسية سابقة مثل «إيتسيل» (التنظيم العسكري

لإسرائيل) و«ليحيي» (المحاربون لحرية إسرائيل). فمن جانبه كان ذلك بمثابة مبدأ أساسياً، وإختباراً هاماً لفاعلية نظام السلطة في دولة ذات سيادة.

مع إنشاء جيش الدفاع لإسرائيل في ٣١ مايو ١٩٤٨، صيغ قسم جنوده علي هذه الصورة: «ها أنا أقسم وأتعهد بكل صدق بالحفاظ علي إخلاصي لدولة إسرائيل، لدستورها ولسلطاتها الشرعية. وأتقبل دون شروط ودون تحفظ الإنصياع لجيش الدفاع لإسرائيل، وإطاعة كل الأوامر والتعليمات الموجهة من القادة وتكريس كل قواي، بل والتضحية بحاتي لحماية الوطن وحرية إسرائيل.

ولو أن الأمور سارت علي بساطتها، لكان في ذلك القسم ما يضمن السيادة التامة للحكومة، وللحكومة فقط علي جيش الدفاع لإسرائيل. ولكن في الحقيقة – وربما كما كان متوقعا – فقد إتضح أن بناء الجيش الموحد أدي قبل إنشاء الدولة ببن جوريون إلي مصادمات صعبة مع المنظمات التي عملت في نطاق الحرب ضد العرب والبريطانيين (المنظمة العسكرية لإسرائيل والمحاربين لحرية إسرائيل وبمرور وقت دخل حتي في ومواجهة ليست بسيطة مع هيئة أركان أو ما كان يسمي بالبالماخ كتائب الرواد).

وكان علي بن جوريون أن يصل إلي حلول وسط مع العناصر المختلفة وذلك علي النقيض من تطلعاته المعلنة.

لقد إستجاب جزء من أعضاء تنظيمي «المنظمة العسكرية لإسرائيلي: «إيتسيل» و«المحاربين لحرية إسرائيل» «ليحيي»، لأوامر التجنيد والتي أصدرتها مؤسسات اليشوف (التجمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين) فوراً مع بداية المعارك ولكن قيادات المنظمتين حاولتا إيجاد سبيلا لتسويات أخري من شأنها أن تمنع التحاق أعضائها بالجيش وأداء الخدمة العسكرية، وما سيترتب علي ذلك من كشف أعضائها النشطاء. وفي الواقع حافظت كل من منظمتي إيتسيل وليحيي علي وجودهم المنفصل كاملا وذلك حتي الإعلان عن قيام الدولة وغزو الجيوش العربية. وكان بن جوريون قد عارض حلول وسط مختلفة طرحت علي إدارة الوكالة، ولكن في مايو ١٩٤٨ وافق علي حل من هذا النوع مفاده تجنيد أعضاء المنظمتين لجيش الدولة، ما عدا بالقدس. طالما أن المدينة لم تدخل في النطاق الذي خصص لدولة إسرائيل في قرار التقسيم، حيث إمتنع بن جوريون، في هذه الأثناء، عن تطبيق سلطة المؤسسات المؤقتة للدولة علي المنظمات العسكرية وسمح باستمرار منظمات «الهاجاناه» و«ايتسيل» و«ليحيي» للعمل داخل القدس بوصفها منظمات غير خاضعة لجيش الدفاع.

قضية التالنيا:

لقد أحدثت قضية السفينة «ألتالنيا» في يونيو ١٩٤٨، تحولا دراميا في الصراع علي تحديد الصلاحيات الشرعية في الدولة الناشئة وعلي توحيد الجيش. فقد مثلت سفينة المحاربين والأسلحة التي جلبتها منظمة «إيتسيل» لشواطئ البلاد تحديا لسيادة السلطة. خاصة إزاء طلبين لقادة تنظيم «إتيسيل» وهما توجيه جزء من السلاح الذي جلبته السفينة لرجال إيتسيل (المنظمة العسكرية لإسرائيل) والمجندون في الخدمة بوحدات الجيش، لكي يصلوا إلي المعركة وهم مزودون بالعتاد كما ينبغي، والطلب الثاني تخصيص خمس الشحنة للوحدات المستقلة لتنظيم إيتسيل بالقدس وقد رفض بن جوريون هذه المطالب جملة وتفصيلا، بزعم أن الحكومة المؤقتة هي المخول لها توزيع السلاح في الدولة وأنه ليس مخولا لأي جهة، أن تملي عليها كيف توزعه. وأدار كل من إسرائيل جليلي وليفي إشكول مفاوضات مع قائد تنظيم إيتسيل مناحم بيجين، ولكن الشكوك المتبادلة الكبيرة لدي الطرفين أدت إلي تعقد المشكلة.

فقد تم استدعاء الحكومة المؤقتة بهدف منع نشوب حرب أهلية وأثناء النقاش كان هناك وزراء تحدثوا عن ضرورة التفاوض مع تنظيم «إيتسيل» ولكن بن جرويون أصر علي موقفه قائلا: «إن ما حدث يعرض الدولة للخطر .. إنها محاولة لتدمير الجيش ومحاولة لإغتيال الدولة. وفي هاتين القضيتين لا يمكن أن يكون هناك أي حلول وسط.

وبأغلبية سبعة أصوات ضد أثنين، قررت الحكومة مطالبة تنظيم «إيتسيل» أن ينقل السفينة بأسلحتها إلي أيديها. كما تقرر بنفس الأغلبية إستخدام القوة ضد السفينة، إذا ما إستدعت الضرورة ذلك.

وفي ١٩ يونيو إقتربت السفينة «ألتالينا» من شواطئ تل أبيب، علي أساس إفتراض رجال المنظمة العسكرية لإسرائيل (إيتسيل) إمكانية تفريغ شحنة الأسلحة والذخيرة بمساعدة مؤيدي التنظيم في المدينة وفي محيطها أما بن جوريون فقد تمسك بالإنذار الذي وجهه لتنظيم «إيتسيل» وأصدر أوامره ليجائيل يادين ضابط العمليات الوطني لجيش الدفاع لإسرائيل لتجميع وتركيز قوات جيش في المنطقة التي أعدها قادة تنظيم «إيتسيل» لرسو السفينة وبسرعة إندلعت في المنطقة مصادمات عنيفة بين جنود من كتائب «البالماخ» ومن كتيبة «كرياتي» وبين رجال تنظيم «إيتسيل» والذين هربوا من وحداتهم العسكرية وجاءوا لمساعدة زملائهم. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر أصدر بن جوريون أمراً ليادين بقصف السفينة. فأصابتها إحدي القذائف وأشعلت فيها النيران وأدت لإنهاء المعركة مبكراً ووصل عدد القتلي إلي ١٦ قتيلا وضاعت أغلب الأسلحة التي كانت بالسفينة في مياه البحر غرقا وكان من بين آخر من غادروا السفينة الغارقة قائد تنظيم إيتسيل مناحم بيجين.

وأستمرت عمليات جيش الدفاع لإسرائيل في هذا الصدد لعدة أيام أخري بعد غرق السفينة. فقد تم القبض علي العديد من نشطاء حركة «حيروت» وهي الحزب الذي أقامه الخارجون من تنظيم «إيتسيل» وأودعوا رهن

الاعتقال الإداري، بدون محاكمة. وفي هذه الأثناء إندلعت أزمة إئتلافية خطيرة، فأثناء انعقاد الجلسة الخامسة لمجلس الدولة المؤقت، في ٢٣ يونيو ١٩٤٨ طلب من بن جوريون أن يشرح كيف تطورت الأمور لدرجة الصدام الدموي الذي ولد معارك. فإتهم بن جوريون تنظيم «إيتسيل» بعدم إحترام الإتفاقيات حول وقف الأنشطة العسكرية للتنظيم وبقيامه بالتزود بالعتاد خروجا علي الأوامر الصادرة، وامتناعه عن تسليم سلاحه لجيش الدفاع، وهكذا أعلن بن جوريون: «إن جلب سلاح بواسطة المنظمة العسكرية القومية، والتي نقضت عهودها مع الدولة هو عمل يمثل خطر أكبر، لأنه يعرض الدولة للخطر ويمهد الطريق لحرب أهلية علي نطاق واسع».

وفي نفس الخطاب الذي ألقاه، شرح بن جوريون بإسهاب الخطر الكامن في وجود تنظيمات مسلحة مستقلة، والتي تمثل وجهات نظر سياسية. فقد عاد وكرر أن جيشا واحداً فقط، وإنضباطا وسيادة واحدة، هي التي ستتيح الصمود أمام الجيوش العربية الغازية.

بينما ظل مناحم بيجين من وقتها فصاعداً، حتي يومه الأخير، يزعم أن المسئولية عن ذلك التطور التراجيدي تقع بكاملها علي الحكومة المؤقتة، والتي إمتنعت عن الوصول إلي إتفاق ومنعت إنزال السلاح والمحاربين بصورة منظمة. فحسب قوله: «إن السفينة ألتالينا وصلت لإسرائيل بتنسيق تام بين تنظيم «إيتسيل» وبين ممثلي الحكومة «جاليلي» و«اشكول» وكلاهما أطلع بن جوريون بشكل مباشر علي كل التفاصيل والتحولات. إلا أن بن جوريون - حسب زعم بيجين - فضل استغلال الفرصة، لكي ينسب لايتسيل محاولة التمرد والاستمرار في العمل السري ثم العمل علي تفكيك التنظيم بحجة هذه المحاولة.

وبنظرة للماضي نجد أنه من الواضح أن قضية «السفينة ألتالينا» مكنت بن جوريون من ترسيخ صلاحياته الإحتكارية كرئيس للحكومة وكوزير للدفاع ومن حل وحدات تنظيم إيتسيل من خلال استيعاب محاربيها، في صفوف جيش الدفاع الإسرائيلي. إن شيئاً من هذا القبيل يشبه ماحدث - وإن كان مختلفا - فيما يتعلق بتنظيم البالماخ (كتائب الرواد المحاربين).

تفكيك هيئة أركان البالماخ:

لم يكن الوضع كما حدث مع تنظيمي إيتسيل وليحيي فالتنظيم العسكري البالماخ (كان بمثابة الذراع التكملي الذي يعتبر جزء لا يتجزأ من الهاجاناه ولم يتورط في أعمال تمرد شبيهة بتلك التي قامت بها الايتسيل. بل بالعكس ففي أثناء حرب الاستقلال أمدت البالماخ، كل من الهاجاناه وجيش الدفاع الإسرائيلي بأحسن القوات المحاربة، وبالذات أفضل القادة العسكريين. ومع ذلك فقد أعتقد بن جوريون أنه مع نهاية عام ١٩٤٨ قد حان الوقت لتفكيك كتائب البالماخ كهيئة تتمتع بالاستقلالية وذلك لسببين أساسيين: عسكري وسياسي. الأول أن كتائب البالماخ أصبحت تبدو له (لبن جوريون) الآن كتشكيلات عسكرية يجب إخضاعها مباشرة للهيئة القيادية لجيش الدفاع لإسرائيل (أي، هيئة الأركان العامة ومراكز القيادة الميدانية)، ومن ثم لم يتبق لهيئة الأركان الوطنية للبالماخ أي وظيفة لإدارة العمليات والتي تعطي مبررا لوجود التنظيم. والسبب الثاني، هو العلاقة السياسية الوطيدة بين غالبية القادة الكبار للبالماخ وبين قيادة حزب مابام (وهو الحزب الذي أنشئ في فبراير ١٩٤٨ كنتيجة لاتحاد حركة «هاشومير هاتسعير» مع إتحاد حزب العمل وعمال صهيون) وهو الأمر الذي بدا لبن جوريون خطرا داهما قد يوثر علي قدرة الحكومة علي السيطرة عل الجيش وعلي الخصوص علي ضوء الجدال السياسي الشديد الدائر بين بن جوريون وبين حزب «المابام» وقد سارع رؤساء «مابام» وكبار مسؤولي «البالمام» بالرد علي هذين الزعمين وذلك باتهام بن جوريون نفسه بتبني إعتبارات سياسية ضيقة وبمحاولة إلحاق الضرر بصالح الجيش (والذي كان يتطلب، حسب رأيهم، استمرار الوجود الاستقلالي للبالمام)، نتيجة لهذه الاعتبارات. لقد إمتد الخلاف بسرعة أيضاً ووصل الأمر إلى حد الصراع حول كيفية تنظيم الجيش، وتحديد شكله وبلورة خططه التدريبية، ومن ناحية أخري. فقد كان من السهل رؤية التحييز من جانب بن جوريون للذين يمسكون بزمام الدولة، أي بن جوريون وحزبه. وعلي ذلك فإن معارضي بن جوريون لم يتوقفوا عن الزعم بأن خطه تفكيك هيئة أركان البالماخ ليست إلا خطوة أولي لإبعاد رجال مابام عن المراكز الحيوية في جهاز الأمن، لكي يجلب مكانهم قادة مخلصين لحزب «ماباي» (حزب عمال أرض إسرائيل) أو، وربما الأسوأ من ذلك تعيين رجال بدون انتماء سياسي بارز، لكي يعملون كتابعين لبن جوريون.

ولم يرتدع بن جوريون أمام تلك المزاعم. فقد وقف حزبه «ماباي» خلفه لأسباب سياسية واضحة - من حيث الشعور أو الإدراك بأن وضعه في أوساط الجنود ليس جيداً -، ولكن في مقابل ذلك قام بن جوريون بتجنيد هيئة الأركان العامة لخدمته ومساعدته ولم يتخل عن محاولة اقناع قادة البالماخ أنفسهم.

وفي ٢٩ أغسطس ١٩٤٨ ناقشت هيئة الأركان العامة مستقبل هيئة أركان البالماخ بحضور قائد «البالماخ» يجائيل ألون (والذي كان وقتها قائداً للجبهة الجنوبية) وضابط الإدارة للبالماخ إليعازر شوشاني (وهو نفسه رجل حزب «المباي» ومن القلائل النادرين في زمرة البالماخ) وقد إقترح آلون في نفس الجلسة تخفيض هيئة أركان البالماخ، ولكن ليس إلغائها تماماً. لقد إعترف بحقيقة أنه لم يعد لتلك الهيئة أية شرعية لإدارة العمليات ولكنه طالب بأن تظل في يدها شؤون التدريب والقوي البشرية والتعليم (والتي إرتبطت كلها برؤى سياسية).

وفي أعقاب نقاش إضافي في السابع من سبتمبر، والذي طرح فيه ممثلوا البالماخ فكرة ضرورة إنشاء

«وحدات خاصة» داخل الجيش، أورد بن جوريون في مذكراته خطاباً لرئيس هيئة الإركان العامة دوري جاء فيه: «.. يجب الاعتراف بحقيقة أن البالماخ يتميز في عدة أمور - ومنها أنه مؤمن بأنه متميز. وقد أضاف بن جوريون» «ولكن دوري» لا يعتقد أنه يوجد في البداية وبشكل مبدئي أساس للإفتراض بأن هناك جيوشا خاصة وأخري عامة. إن ذلك الأمر يكدس إستمرارية العمل السري داخل الدولة والجيش علي حد سواء.

دوري نفسه طالب الآن بالإسراع بإتخاذ القرار في مسألة حل هيئة أركان البالماخ. وبعد لقائه بقادة البالماخ في ١٤ سبتمبر بكيبوتز ناعان، وصل بن جوريون إلي نتيجة مؤداها أنه يوجد خلط بين المطالب الفنية وبين المطالب الأيديولوجية - السياسية التي عرضها قادة البالماخ وأشار لهيئة الأركان العامة لتحديد موعدا لتفكيك هيئة أركان البالماخ.

«دان هوروفيتس» و«موشيه ليسال» الباحثان في تاريخ الفترة الانتقالية من اليشوف اليهودي إلي الدولة رأوا في تفكيك هيئة أركان البالماخ خلقا للبنية الأساسية لجيش غير سياسي، علي ذلك، يتضح أن قرار حل هيئة أركان البالماخ حدد بشكل حاسم علاقة الحكومة بالجيش. عبر الفصل بين الأجهزة والأنظمة الحزبية وبين قادة جيش الدفاع لإسرائل ووحداته. وفي هذا الصدد ربما كان من الجديد بالذكر إضافة أنه عشية رأس السنة العبرية عام ١٩٤٩ رفض بن جوريون مطالب ممثلي حركة «هابوعيل هامزراحي» لإنشاء وحدات دينيةمنفصلة داخل الجيش وكتب في مذكراته: «لقد قلت لهم (أ) إن جيشنا سيكون موحدا بدون تيارات. (ب) ومن أجل وحدته سنلتزم جميعا بالكاشروت (طقوس الذبح والطعام لدي اليهود حسب تعاليم التوارة). (ج) سنعمم مناخا يهودياً دينياً أيام السبت. (د) سوف نعلم الإحترام المتبادل بين الجندي الذي لا يصلي (العلماني) والجندي الذي يضع علي ذراعه التفيلين (المتدين). وفي حفل لرجال الفكر والدين، والذي استضافة بن جوريون في منزله في نهاية الحرب، سأل حاييم جوري المضيف: «لماذا لم تحرر كل الأرض أي كل فلسطين؟». وكانت إجابة بن جوريون تشير إلي حسه البراجماتي والواقعي حيث قال: «لقد كان ذلك سيؤدي إلي خطر تورطنا وإلي تعقد أمورنا مع غالبية عربية معادية، وهو الأمر الذي كان سيؤدي بنا إما إلي مذبحة أخري مثل دير ياسين أو إلي عمليات طرد أيضاً تقود إلى خطر تعقد الأمور مع الأمم المتحدة والدول العظمي، ورغم ذلك فقد تمنا بضم أرض بالأضافة إلي أن ميزانية الدولة لم تكن تحتمل مثل هذه المغامرات.

أكبر بكثير مما خططنا له. والآن لدينا عمل شاق لإثنين أو ثلاثة من الأجيال القادمة. وجيش الدفاع لإسرائيل أعد، حسب فكر بن جوريون، للقيام بدور بارز في هذا العمل.

المجتمع الإسرائيلي الجديد في نظر بن جوريون:

في يوم السبت ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ تساءل بن جوريون في مذكراته تحت عنوان «تأملات عيد الحانوكاه»: «ما هي الشروط الواجبة للحفاظ علي استقلالنا من منطلق إفتراض مسبق بأننا سننجح في الحفاظ علي حريتنا التي في القلوب؟ وعلى الأمن العسكري؟ (تصفية الشتات)، ولقد وجد بن جوريون أن هناك مهام عاجلة مثل تعمير سريع لأجزاء البلاد، من خلال تنمية مكثفة.

في هذه المرحلة كان واضحاً له أن الضغط الكبير لمنظمة الأمم المتحدة والدول العظمي لن يتيح معركة عسكرية كبرى لإحتلال مناطق مأهولة بالسكان بداخل أرض إسرائيل الغربية، ولذلك فإنه يجب العمل بقوة لتأمين السيطرة علي المناطق التي تم إحتلالها بالفعل (وبالذات من خلف الحدود التي حددت في قرار التقسيم). وكتب بن جوريون مضيفاً: «إن احتلالنا للنقب والجليل لن يتحقق إذا لم نقم بسرعة بملئ تلك الأجزاء من البلاد بالسكان - وقبل أي شئ القري الخالية، وإقامة سلسلة طويلة من التجمعات الإستيطانية علي شاطئ البحر. ومن خلال تنفيذه لسياسة تمنع خلق مناطق تكدسات كبيرة في بعض النقاط القليلة (مثل تل أبيب) - وتوزيع السكان بمعيار متساو علي أرجاء البلاد كلها. وبناء حزام من القري حول القدس وتوطين سريع داخلها .. سوف يتطلب الأمر تخيطيا ليس فقط في مجال التنمية - بل كذلك في التوزيع السكاني، مع الحفاظ علي الحرية الشخصية (حرية الحركة) وسوف تكون هناك ضرورة لتسهيلات وامتيازات خاصة لتوطين مناطق مهجورة، وجرداء ونائية.

ومن هنا تم استخلاص نتيجتين هامتين. أولاً وقبل أي شئ كانت هناك ضرورة لزيادة عدد اليهود في البلاد، وكان المصدر الوحيد لذلك هو الهجرة الموسعة، أي أن الهجرة بدت الآن لبن جوريون ليس فقط علي أنها وفاء لإلتزام صهيوني لإنقاذ يهود وتصفية الشتات، بل أيضاً بمثابة دعامة مركزية هامة للغاية، للأمن القومي. وبعد مرور عدة أشهر أثناء إجراء بن جوريون لمشاورات مع رجال وزارة الخارجية حول مباحثات لوزان أضاف بن جوريون أثناء تلك المشاورات: «ربما كان بمقدورنا إحتلال مناطق المثلث والجولان كلها. و لكن إحتلالنا ذلك لم يكن ليقوي أمننا بالدرجة التي ستقويه عملية استيعاب المهاجرين. إن مضاعفة أعداد المهاجرين سيضيف لنا قوة أكثر وأكثر.

وإلي جانب الهجرة، كمهمة قومية من الدرجة الأولي، كان بن جوريون مطالبا بأدخال إصلاح جوهري علي خطط الاستيطان. فحسب طريقته ونظريته كانت المستوطنات الجديدة لا تمثل فقط أدوات لإستيعاب الهجرة والانشار السكاني، بل أيضاً جزء من عملية تربية الجيل الصغير في إطار بلورة وتشكيل المجتمع الإسرائيلي الجديد. وقال بن جوريون أثناء ظهوره أمام مجموعة ضباط في مايو ١٩٤٩: «إن كل فتي وفتاه في سن معين،

من الضروري أن يتلقوا تأهيلا زراعياً، بالإضافة للتدريب البدني والعسكري. وذلك حتي يتمكن المهاجرون الجدد والرواد الذين في أوساطهم من إقامة تجمعات استيطانية وقري أمنية والتي ستكون بمثابة درع دفاعي حي للدولة وخط الدفاع الأول عنها». ومع ذلك فإن بن جوريون لم ينس أن يذكر في تلك المناسبة انه طالما سيكون هناك إحتمالا للحرب فلا يمكننا الوجود بدون جيش».

ومن طبيعة الأمور، فإن تعامل بن جوريون مع الهجرة، والاستيطان والتعليم للجيل الشاب في ظل الظروف الجديدة التي تولدت مع إقامة الدولة كان مرتبطا بنظرياته ومفاهيمه قبل ذلك الرواد فكونه في أحد جيل الهجرة الثانية، كان شريكا في أفكار تحقيق الصهيونية ليس فقط بواسطة نقل الشعب اليهودي من الشتات لأرض إسرائيل (فلسطين) بل أيضاً بواسطة إدخال تغيير جذري علي الهيكل والبناء الاجتماعي والاقتصادي للشعب، وهو التغيير الذي سينقل جموع الشعب لحياة العمل والإنتاج بالذات في مجال الزراعة، لغرض السيطرة علي الأرض.

وبناء علي ذلك - وعلي الرغم من نوايا العديد من حوله - فقد حاول بن جوريون أيضاً أن يخلق علاقة مباشرة بين السيادة التي حديثا والسيادة التي كانت في الماضي،لليهود علي نفس الأرض. وفي خطبه التي تناولت الواقع اليومي في حياة الشعب بإسرائيل ربط بن جوريون بين منظومة الحياة التي تبني وتنمو في دولة إسرائيل الشابة (الوليدة) وبين الفترة التوارتية لملكتي داوود وسليمان في الماضي.

وتساءل بن جوريون في خطابه أمام الكنيست الأولي: «هل نحن شعب ؟ وأجاب «وبدون خوف من أن يقولوا لي أنني لست مؤمنا بالشعب وليس لدي إيديولوجية صهيونية، فإنني أجيب: إننا لم نصل بعد لكوننا شعباً. وأنا لا أقصد نظرية أيديولوجية أومصطلحات فلسفية - اجتماعية. أنني أقصد جماعة موحدة ومرتبطة بوطنها، بحضارته، بوحدته والتي تكون مؤهلة للتضحية حتي أخر رجالها وحتي آخر قطرة دم فيها، وإنني علي يقين أنه بمرور الوقت سوف نكون شعباً كهذا، فنتلحم ونتوحد، نترابط، ونتصهر في بوتقة الوطن واللغة والاقتصاد، وبالشعور باستقلالنا وسلامتنا وسنكون شعبا ليس أقل من أي شعب آخر.

وكان جيش الدفاع الإسرائيلي مهيئاً للقيام بدور محوري في هذه التغيرات، ولأن حرب الاستقلال، كحرب شاملة، وضعت الأمن والجيش الوليد للدولة الوليدة في مركز وبؤرة الواقع الاجتماعي والسياسي. فإن أداء الخدمة العسكرية في فترة الحرب كان عاملا أساسياً في بلورة وتشكيل الوعي والوحدة القومية. لقد تحول جيش الدفاع لإسرائيل، قادته وجنوده إلي مركز للإنتماء القومي ورمزاً لتحقيق الصهيونية الرائدة. وفي نفس الوقت فإن جيش إسرائيل إرتفع فوق الخلافات السياسية والأيديولوجية واجتاز الانشقاقات الطائفية. وفي هذا الصدد قال بن جوريون: «الجيش فقط يستطيع، ويجب أن يكون بمثابة عنصراً موحداً ومساهما في بلورة الشكل الجديد للشعب واستيعابه المخلص داخل الثقافة والمجتمع الجديد الذي يتم خلقه في دولة إسرائيل وأكد علي أن هذا الدور التربوي في الجيش هو ليس فقط ضرورة قومية داخلية، بل أيضاً شرطاً ضرورياً وحيوياً لأمتنا»..

شكل ووظيفة جيش الدفاع لإسرائيل في نظر بن جوريون:

إن بن جوريون الذي تأثر كثيراً بالثورة السوفيتية في سنواتها الأولي، إنتهج ما كان معروفا لدي الباحث «موشيه ليساك» باسم «التطوعية» فحسب رؤيته كان يجب الدفع بالأمور بواسطة حركة جماعية ولكن في المقابل إقامة أدوات وآليات تكفي صلاحياتها وقوتها لتعبئة وتجنيد الموارد الاقتصادية والمادية وقبل اي شئ الموارد البشرية، وذلك من أجل الوفاء بأهداف جماعية للمجتمع والدولة. ومن هنا جاءت دعوته الدائمة للديموقراطية وذلك مع تأكيده علي أهمية المركزية - بداية من الهستدورت (إتحاد نقابات العمال) ونهاية بزعامة الدولة.

وأغلب الظن ان بن جوريون تمني منذ البداية أن تنجح الحركات الرائدة في سحب المجتمع الإسرائيلي خلفها لتنفيذ وتحقيق المهمة الكبري لاستيعاب الهجرة وتشكيل المجتمع الجديد. ولكن عندما لم يتحقق هذا الأمر، عاد بن جوريون وأثبت قدرته علي المناورة. لقد كان ذلك في رأي «يوسف جوزي» هو اساس قوة وصلابة ذلك الرجل.

لقد دأي بن جوريون في نجاحه في تكوين جيش الدفاع وإدماج الايتسل ولحى والبالماخ في هذاالجيش ما يمكن اعتباره حجر الزاوية في إقامة الديموقراطية الإسرائيلية وبهذه الروح عمل، كما ذكرنا سالفاً، منذ تولي بنفسه ملف الأمن في إدارة الوكالة بنهاية ١٩٤٦ . ومع تحويل تنظيم الهاجاناه إلي جيش نظامي، قال في خطاب القاه في يونيو ١٩٤٨ «محظور الاكتفاء بسيادة زائفة للدولة. فالجيش الذي لا يخضع بشكل كامل لحكم ديموقراطي للشعب - هو في نهاية الأمر يسيطر علي الشعب ويولد فوضي عسكرية. وبعد ذلك بأكثر من عام - في أكتوبر ١٩٤٩ أوضح بن جوريون بشكل حاسم: «إن الجيش لا يحق له تحديد سياسات، أو سلطة، ولا يحث له سن القوانين. إن الجيش لا يحدد حتي هيكلة البنيوي، وتنظيماته وخطوط عمله وهولا يقرر بالطبع، ما يتعلق بالحرب والسلام. إن الجيش ليس إلا ذراعا تنفيذية، ذراع الدفاع والأمن لحكومة إسرائيل.

إن بن جوريون نفسه حدد في نهاية كتابه «في حرب إسرائيل» أنه مع إقامة الدولة خلقنا آليات ونظم جديدة لتحقيق حلم خلاصنا - ولكن لتلك الآليات ستكون هناك قيمة فقط إذا ما عرفنا كيف نؤديها وكيف نعظم فكرة التطوعية الرائدة والتي كانت بمثابة روح الدفاع».

لقد كتب بن جوريون هذه الكلمات في الفصل المسمي «بدلاً من الخاتمة» ويبدو أن هذا الوصف هو المناسب أيضاً لما يجري في هذا الصدد حالياً.



كتاب: الخيار النووي لإسرائيل

بقلم: مناحم بريش ـ الناشر: كرتا (الشركة الإسرائيلية للخرائط والنشر - القدس) تاريخ النشر: ٢٠٠١ ترجمة وإعداد: مصطفي الهواري

مقدمة:

يحاول هذا الكتاب طرح بعض الموضوعات المواكبة لمشكلة التهديد النووي ذى الصلة بإسرائيل، ويعرض بعض الأسئلة والملاحظات في هذا المجال الجوهري:

هل يوفر الخيار النووي لإسرائيل أمنا يفوق الخطر المتمثل في احتمال تورط إسرائيل في مواجهة نووية مستقبلية؟

هل "يدرك" العرب مفهوم الردع النووي بنفس الجدية التي نعزوها له"؟.

هل يمكن تجاهل واقع ما بعد الحرب النووية، حيث لا حسم ولا منتصر في القتال؟

هل نستخدم كل وسائل الاتصال والحوار والتعاون بين الدول، سواء في المنطقة أو خارجها، بغرض الوصول إلى تفاهم مع جيراننا حول السبيل إلى إخلاء المنطقة من الأسلحة النووية وتخليصها من التهديد النووي؟

هل نشرك القوى الفكرية في المجالات الكثيرة ذات الأهمية في مجتمعنا، والتي في مقدورها إثراء الفكر حول المسألة ؟

عنصر القوة وحدود القوة:

دخل عنصر القوة إلى أدبنا السياسي كرد فعل للعجز ونقص القوة في حياة المنفى، ذلك العجز الذى تسبب في المآسي التي تعرضنا لها هناك على مدى سنوات. ولقد تأثرت قيمة القوة في حياتنا بالكثير من التجارب المريرة التي عشناها في المنفي، مثل المذابح الجماعية وفترة النكبة النازية بوجه خاص والتي ما تزال تثير المشاعر الشخصية وتزيد من الاعتماد علي القوة كعنصر سائد في حياة الشعب. وفي مناخ عدم الاستقرار العام تستطيع أى زعامة انتهازية أن تعلن عن أى عمل إرهابي بأنه خطر قومي وبالتالي تلهب حماس الجماهير وتدفعهم للانتقام.

وما تزال القوة الطبيعية الحقيقية هي الوسيلة الوحيدة للخلاص، ولحماية الوجود اليهودي في إسرائيل، وهي بهذا الوصف ترتفع إلى أعلي درجة ولا يفوقها أو يضاهيها شئ آخر.

وبناء علي ذلك فإن الجهد القومي في مجال الأمن يتركز علي "تعزيز القوة" الحقيقية كضرورة من الدرجة الأولي. ويأتي في المقام الأول القدرة النووية التي تعزز القوة وتكملها كجزء لا يتجزأ منها.

أكثر ما يدعو للقلق بالنسبة لأمن إسرائيل هو تكريس القوة كعنصر يخدم هدفا من الدرجة الأولي: حماية إسرائيل وحماية حياة اليهود. وهنا يثور السؤال: هل مسموح لإسرائيل بأن تضع أمنها ووجودها بين أيدي الخيار النووي؟

لن نتكلم بالتفصيل في هذا الجزء عن ماهية الخيار النووي، إلا أنه من الواجب التطرق في النقاش حول أمن ووجود إسرائيل إلي نقطة هامة: السلاح النووي لا يشبه علي الإطلاق أي سلاح معروف لنا بوجه خاص وللبشرية بوجه عام. وخطر تعرض إسرائيل لهذا السلاح هو مسألة حياة أو موت. هل يمكن إذن تجاهل هذا الأمر ومناقشته كما تعودنا حتى الآن بأساليب تقليدية؟ حتى لو أخذنا بالتقديرات التي تقول إن الخيار النووي قد يستخدم كرادع لمنع الحرب، فإننا لن نستطيع أن نتجاهل احتمال استغلاله لخدمة مصالح بعض المتطرفين من بيننا، والذين سيعتمدون في خططهم علي الخيار النووي.

الجماعات المتطرفة عندنا، وتوابعها في أحزاب اليمين، تؤمن بأهمية الحرب المستمرة، كحل للحفاظ علي وحدة الشعب اليهودي والحيلولة دون تفككه. وفي حالات التوتر الأمني قد يعرض هؤلاء وضعا وهمياً مبالغاً فيه ويحثون علي الرد. ومن أجل إلهاب حماس الجماهير في أوقات الخوف، واعتمادا علي القوة النووية، سيوجهون نداء إلى القيادة بالسير لأقصي مدى، وهذا دون أن يكون هناك

إدراك واضح من جانب الجماهير، ومن جانب هذه الجماعات المتطرفة نفسها لمدي خطورة تورط إسرائيل في صدام نووي. والطريق إلى توعية الجماهير قد يواجه عقبات تتمثل في الضغوط التي تخلقها بعض الأوضاع الإقليمية أو غيرها، وقد تصادف مفاجآت علي المستوي العالمي وآثارها علي الوضع في منطقتنا. كما أن الضغوط داخل إسرائيل - بتشجيع من المتطرفين - ستصعب من عملية توعية الجماهير.

إن موضوع "حدود القوة "هو الآن بمثابة القيمة الأساسية في الاعتبارات التي يأخذ بها رؤساء الدول، والزعماء والاستراتيجيون في العالم، وخاصة في عصر الأسلحة النووية. ولا يمكن علي الإطلاق مناقشة مسألة الأسلحة النووية الآن مع أصحاب القدرة النووية ومع من يتهددهم خطر هذه القدرة، دون التطرق لحدود القوة.

وفي إسرائيل لا يناقشون حدود القوة في الوقت الذى تتأثر الاعتبارات الأمنية - العسكرية بأوامر الزعماء الدينيين الذين يقدسون الأرض بدرجة تقديسهم لحياة الإنسان. في مثل هذا الوضع لا أساس أيضاً للاعتراض علي المسألة النووية أو للتفكير فيها. ولذلك، فإن هذا الموضوع يستلزم التفكير والتطرق إلى المغزى الأخلاقي، والفلسفي، والتاريخي بل والوجودي أيضاً. وكما سبق القول فإن نظرية الأمن الإسرائيلية لا تتطرق إلى حدود القوة، وذلك لأن قيمة القوة تقف علي رأس سلم القيم الخاصة بضمان وجود إسرائيل، وليس هناك من يشكك في مسألة الوجود؟ أي فكرة بشأن تعزيز أمن إسرائيل - ليس فقط عن طريق قوتها العسكرية بل أيضاً بطرق أخري - يجب أن تتطرق إلى المكانة العليا للقوة كأمر مسلم به. إن التفكير والاعتبارات المتعددة المطلوبة بشأن طريق إسرائيل ومكانها في علاقات السلام مع دول الجوار، لا تتقدم ولن تتقدم في المستقبل طالما لا يوجد اعتراف بأن هناك حدوداً للقوة، بكل ما في ذلك من آثار ومخاطر.

إن الاعتماد الشديد علي النظرية الخاطئة التي تقول إنه لا حدود للقوة، لا يؤدي فقط إلى "استهلاك "كل الجهود القومية في توفير القوة، بل أنه لا يبقى علي طاقات قومية يمكن استخدامها في الجهود الحيوية الأخري.

ومن أجل توجيه قدر كبير من الجهد والطاقة القومية - التي تتركز كلها تقريبا حول القوة العسكرية - إلى طرق التفكير والدراسة غير العسكرية، يجب مكافحة عرف متأصل منذ عصر بلورة الكيان اليهودي الصغير في طور التنظيم، وعلي امتداد مسيرة إقامة وبناء الدولة والحروب الصعبة التي واجهتها، وهو العرف الذى ينظر إلى القوة علي أنها تعلو ولا شئ يعلو عليها.

لقد تبنت كل الأحزاب الصهيونية تقريباً، ومنذ البداية مسألة القوة الدفاعية كشرط حيوي لوجودنا هنا، وذلك لأنها لم تكن تؤمن بإمكانية التوصل إلى سلام مع جيراننا ولم تكن تثق فيهم.

وقد وصفت محاولات اختبار أساليب سياسية - بالإضافة إلى القوة الدفاعية العسكرية - في تطوير نقاط اتصال وتفاهم وخطوات لبناء الثقة كمسيرة حوار بدلا من المواجهة العسكرية، وصفت بأنها خروج علي مبدأ الإيمان بقيمة القوة التي لا يجب المساس بها. ولكن، حتى يومنا هذا كان أى حوار موضوعي مع الجيران يتطلع إلى التفاهم والوفاق وإقامة علاقات سلام وحسن جوار، يصطدم بأنصار عرف "القوة والقوة فقط".

وهنا تظهر مرة أخري مشكلة ثقل القوة في مواجهة مكانة وثقل الأسلوب السياسي الناجح.

إن التسويات الأمنية السياسية تتجه وتقود إلى تنمية مصالح مشتركة للطرفين، مقارنة بالتسويات الأمنية العسكرية التي تهدف إلى خلق ظروف متفق عليها للحفاظ علي الواقع القائم. وبناء علي ذلك تتحدد التسويات الأمنية علي أساس التفاهم السياسي وليس العكس. واتفاقيات أوسلو هي أبرز مثال علي الجهود العلنية الرامية إلى دفع السلام بالطرق السياسية، وقد قبلتها كل الأطراف المعنية.

كانت المعارضة التقليدية للمساس بالمكانة العليا وشبه المطلقة للقوة، والاعتراض علي رفع الأسلوب السياسي إلى درجة أهمية تكاد تقارب مكانة القوة، من ضمن أسباب التردد والتشكك والمعارضه الفاعلة لاتفاقيات أوسلو من جانب بعض فئات الشعب.

الشئ الذي يدعو للدهشة وللقلق في الاعتراض علي اتفاقيات أوسلو هي تجاهل القيادة لبديل ما بعد تصفية أوسلو وانهيار علاقات ومشروعات كانت في بداية طور التكوين. وفي الوقت الحالي يقومون بتهيئة الجماهير لتطورات متوقعة "عادية "تتمثل في انتفاضة متكررة، ربما يكون هناك استخدام طفيف للأسلحة النارية، وما إلى غير ذلك من تكهنات.

لقد أظهروا اتفاقيات أوسلو علي أنها كارثة تهدد وجود إسرائيل، إلا أن القيادة تتجاهل في نفس الوقت احتمال الانزلاق إلى انتفاضة وقطع العلاقة مع الجيران ومواجهة عسكرية وهجمات صاروخية، وكل هذا بدون مساندة من دولة عظمي.

إن دخول أي حرب في العصر الحالي يحمل في طياته خطر الانزلاق إلى صدام نووي. والمنطقة التي نعيش فيها لا تتمتع بحماية اكبر مما في مناطق أخري، وفي أي اختبار نووي سيكون هذا هو الخطر الذى يهدد وجود إسرائيل وليس اتفاقيات أوسلو.

اتفاقيات أوسلو ومسيرة السلام تمنحنا الأمل في إبعاد الخطر النووي عن إسرائيل، وهذا الفارق الجوهري يجب ان نتحدث عنه مع الشعب.

إن أى ضربة نووية قد تعرض وجودنا للخطر أكثر من أى شئ آخر. القضية مصيرية وتقتضي منا أن ننظر إليها نظرة تختلف عن نظرتنا إلى الخطر المتمثل في أي حرب عرفناها حتى الآن.

لا يمكن التخلص من الشكوك والمخاوف من أن إسرائيل "تحكم "علي نفسها بالدمار بسبب الخيار النووي الذى تمتلكه، والذي يتم تطويره من عشرات السنين (كما تقول المصادر الأجنبية). كما أنه يبدو أن من المستحيل وقف هذا

العمل الذى يحقق ذاته بقوة الدفع والحجم، ولكونه يندرج ضمن منظومات حيوية وتغلفه هالة من السرية.

لا يمكن وقف هذا العمل، ولكن يمكن ويجب أيضاً أن ندرس ونبحث، من خلال النظر إلى الواقع الإقليمي والعالمي الحالي، وإلى الديناميكا من حولنا إلى تمس القضية مباشرة. يجب أن تطرح إسرائيل المسألة النووية للتفكير العميق والمبدئي، وليس التكتيكي. ليس استمراراً لمسيرة خاملة تحددت منذ عشرات السنين، ليس كيف "نخطط" و "نوجه" الخيار النووى، ولكن من خلال طرح السؤال الأساسي والأولي: هل يجب علي إسرائيل أن تعتمد علي الخيار النووي؟

الجانب الأخلاقي:

لا تسمح الطبيعة الخاصة للسلاح النووي - الذى لا يشبهه سلاح آخر في تاريخ البشرية - بمناقشته من الجانب الاستراتيجي - العسكري والجانب السياسي فقط، بل يلزم أيضاً دراسته من الناحية الأخلاقية.

لا يجب أن تغفل إسرائيل - التي تمثل مركزاً للشتات اليهودي في العالم لتحقيق الحلم الصهيوني - الاعتبار الأخلاقي الذى يتطلبه التفكير في الخيار النووي.

إن الشمولية في استخدام الأسلحة النووية - التي تتسبب في إبادة البشر (والزرع) في مناطق واسعة نتيجة الإشعاع الذى يواصل مسيرة الإبادة - والتخطيط لإبادة السكان العزل، لم يعد مجرد حرب بأى حال من الأحوال. إنه واقع لم يعرفه الإنسان من قبل.

الأمر هنا يتطلب نظرة أخلاقية، مع إشراك كل القوى الروحية، وليس قراراً تتخذه لجان متخصصة عليمة ببواطن الأمور، ولا حتى مجموعات وزارية ذات صلاحيات أمنية. النظرة الأخلاقية واجبة بسبب حجم وعمق التهديد، وخاصة عندما يمس هذا التهديد وجود إسرائيل، وبناء علي ذلك تعتبر الدراسة الأخلاقية واجبا سامياً.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه رغم المعلومات المحدودة التي تعرفها الجماهير في إسرائيل عن المسألة النووية، نشر خبر يقول إن كل أعضاء لجنة الطاقة الذرية استقالوا في سنة ١٩٥٨ باستثناء رئيس اللجنة." هناك باحثون اعتبروا ذلك دليلا علي أن أعضاء اللجنة عارضوا قرار تطوير قنبلة نووية إسرائيلية، وإن هذا كان هو سبب الاستقالة". وفي الولايات المتحدة - الدولة الوحيدة في العالم التي استخدمت قنبلة ذرية أثناء الحرب - مازال النقاش مستمرا منذ أكثر من خمسين سنة حول استخدام هذه الأسلحة.

وفي الولايات المتحدة وفي دول مختلفة في العالم مازالوا حتى الآن يناقشون ويبحثون في موضوع استخدام الأسلحة النووية ويتساءلون: هل كانت هناك ضرورة ملحة للقنبلتين اللتين ألقيتا علي هيروشيما وناجازاكي؟ وهل كان من الممكن إنهاء الحرب دون استخدام القنابل الذرية، وهل كان هناك ما يبرر عدم تحذير السكان في المدينتين؟ أما في إسرائيل فإن الأسئلة حول المسألة النووية كثيرة ومعقدة وذات سمة خاصة.

هل من الممكن ألا تكون هناك سلطة عليا - وليس أطقم أو لجان متخصصة أو عسكرية فقط - تناقش وتقرر إجراءات تحمي وجود دولة إسرائيل وسكانها؟ نقصد سلطة اتخاذ قرارات ومعها جهاز يسيطر علي القوي والأجهزة المعدة سلفاً لتنفيذ القرارات.

وهناك سؤال لم يطرح حتى الآن ويجب طرحه بوضوح: ماذا سيحدث في الغد؟ ماذا سيحدث داخل إسرائيل وفي المنطقة المحيطة بنا، وما الذى نتطلع إليه؟

الجانب الديموقراطي:

تقتضي مناقشة المسألة النووية التأكد من أن البحث والدراسة لا يجريان تحت ضغط الوقت، ومن أن هناك حفاظاً علي حق الجماهير في المعرفة في موضوع حيوي لا شبيه له ويجب علي القيادة أن تنقل المشكلة إلى أذهان الجماهير بكل خطورتها، وأن تعرفهم بالصعوبة النابعة من نقص الخبرة في الجوانب الخاصة بهذا الموضوع وفي القرارات التي تتخذ بشأنه. الوضع يستلزم وجود هيئة عليا لاتخاذ القرارات تتميز بكفاءات خاصة وتتفهم الأزمة والمخاوف التي يعيشها المواطنون، وتكون لها خبرة في السيطرة علي الوضع في حالة انهيار الأجهزة. كما يحتاج الأمر لتعريف التخصصات العلمية ومجالات النشاط النفسي التي يجب أن يكون ممثلوها جزء لا يتجزأ من القيادة في أى نقاش وفي كل المراحل المتعلقة بالوضع الذى سينشأ في أعقاب التورط النووي.

إن إشراك القوى المثقفة في النقاش حول إدراج الخيار النووي ضمن وسائل حماية إسرائيل هو ضرورة تقتضيها الظروف الخاصة غير التقليدية النابعة من احتمال تنفيذ الخيار النووي.

لا يمكن أن يخطر علي بال أحد أن تتخذ الحكومة - أى حكومة أو المجموعة الوزارية الأمنية، أو لجنة الشؤون الخارجية والأمن، أو أى تشكيل آخر قراراً في موضوع حيوي بالنسبة لإسرائيل بنفس الأسلوب الذى يتخذ فيه قرار برفض ضريبة أو بتعيين مراقب الدولة.

ورغم حرية الفكر - التي تعتبر جزء من المجتمع الديموقراطي - فإن المسألة النووية بجوهرها الخاص غير التقليدي تستلزم التوسع في أدوات ووسائل الفكر. وعلي حد قول البرت اينشتاين: "لقد تسببت القوة الذرية الطائشة في تغيير كل شئ، باستثناء أساليب تفكيرنا".

والخطوة الأولى المطلوبة هي توسيع واستخدام وسائل الفكر القومية الموجودة في مجتمعنا بوفرة، والسماح بالتعبير عن الآراء والمواقف في هذا الشأن.

ولأن المسألة النووية "كبيرة" علي حياتنا، وبسبب جسامة الخطر الذى لم تعشه البشرية مطلقاً، لا يجب أن ننظر إليه كما لو كان ظاهرة معروفة، أو نعتمد علي ردود فعل "الأمن"، بل يجب بذل قصاري الجهد من أجل "إثراء" أساليب الفكر والدراسة التي تساعد علي إبعاد إسرائيل عن حافة الهاوية. ويجب ان تتطرق الأفكار والدراسات - دون تردد - إلى أسئلة وتساؤلات كثيرة منها:

هل هناك من يمكن أن تتعلم منه إسرائيل كيف تتصرف في منطقة تعرضت لضربة نووية؟

بافتراض عدم توفر خبرة أو عدم إجراء مناورة تدريبية "لحدث "نووي، هل هناك في العالم من أعد سيناريو عن "اليوم التالي"؟

حيث أن إسرائيل لم تتوصل حتى الآن إلى تفاهم واضح مع دولة عظمى مثل الولايات المتحدة حول المسألة النووية، هل تتمتع بالحرية في اتخاذ ما تراه من قرار، وبدون قيود؟

لم تتوصل إسرائيل حتى الآن إلى تفاهم مع جيرانها - وعلي راسهم مصر - حول المسألة النووية.

يمكن أن يكون التهديد النووي - بوصفه تهديداً للمنطقة كلها - عنصر تقارب بين الجيران. نقول وأيدينا فوق قلوبنا: هل تستطيع القيادة الإسرائيلية أن تقول إنها بذلت قصاري جهدها واستنفذت كل السبل السياسية من أجل الحيلولة دون نشوب مواجهات عسكرية مع الجيران ومن أجل درء خطر وقوع حروب أكثر اتساعاً؟

الاتجاه الصحيح لحل الصراعات هو التفاوض والمحادثات المباشرة، وبأسلوب الوفاق - بدلاً من الصراع النائم أو المتفجر. لقد أيقظت مسيرة السلام الآمال في المنطقة كلها (وفي العالم)، وأثبتت في الفترة التي تلت أوسلو أن هناك ما يمكن الحديث عنه وأن هناك من يمكن التحدث معه، ورأينا النور في نهاية النفق.

وفي الواقع الحالي، إذا لم نعمل علي الحيلولة دون وقوع مواجهة عسكرية ستتسبب في الاقتراب من حافة الحرب، وليس هناك من يعرف الشكل الذى ستكون عليه هذه الحرب ومن سيقف مع من.

وهنا تظهر المسألة النووية التي تتطلب "اهتماما "مبكرا قبل أى شئ آخر. لا يختلف أحد علي أن لإسرائيل رغبة قوية في عدم التورط في حدث نووي داخل حدودها وفي المنطقة المحيطة بها.

الحرب في المنطقة - أى حرب - قد تستخدم الأسلحة النووية، وخاصة في الحالات الحرجة وفي ظل سيطرة الحكام الدكتاتوريين وأمثالهم. والخيار النووي لا يمنع الحرب منعاً تاماً، لأنه لا يهدد الحكام الطغاة الذين قد يحصلون علي دعم نووي من الآخرين.

يمكننا القول بأن التورط في حدث نووي يشكل خطراً كبيراً علي إسرائيل، يفوق أي تقدير يعتمد علي الخيار النووي كواق ومانع للحرب. بناء علي ذلك فإن الحاجز الذى يجب وضعه في مواجهة الأسلحة النووية في المنطقة هو منع الحرب. وتجدر الإشارة هنا إلى أننا لا نقصد بكلامنا هذا أن تتخلي إسرائيل الآن عن الخيار غير التقليدي الذى طورته، ولكننا نتطرق في كلامنا إلى نظرية الأمن الأساسية بشأن القدرة النووية كعنصر من عناصر منظومة حماية وجودنا. لقد كان إدراج القدرة النووية ضمن النضال من أجل وجود وسلامة إسرائيل، ضرورة اقتضاها الواقع آنذاك، وهذا يستلزم دراسة مجددة في أعقاب التطورات في المنطقة وفي العالم ذو الصلة بالأسلحة النووية. إن تجاهل الموضوع وتجاهل مناقشته لا يقود إلى حل للإشكالية المطروحة.

لا شك أن الحوار هو السبيل الوحيد لتحقيق التفاهم في مجالات كثيرة ومشتركة، ولكن لا يجب أن ننسى أن الأمر يتعلق بصفة أساسية بموضوع التهديد النووي كتعبير عن القلق الذى يلبد سماء المنطقة كلها بالغيوم.

البحث عن الطريق:

أ - التفسير المقبول لقرار إسرائيل في الخمسينيات بشأن ضرورة تطوير خيار نووي لحمايتها، يكمن في الرأى القائل بأن قوتها التقليدية لن تستطيع الصمود للأبد وأن قدرتها علي الردع من المحتمل أن تتآكل. في مقابل ذلك، فإن الخيار النووي يعتبر سلاح ردع حاسم، ولن تستطيع أى دولة في المنطقة أن تهدد وجود إسرائيل عندما تعرف أنه في حالة تعرضها لأى خطر يهدد وجودها سوف تستخدم الخيار الذري الذى تمتلكه.

والآن، بعد ما يزيد علي أربعين سنة، وفي عصر التغيرات العالمية والإقليمية، والاهتمام النووي من حولنا وفي المنطقة البعيدة - القريبة (الهند - باكستان)، ظل وضع إسرائيل في المنطقة بلا أى تغير للأفضل، وهو الأمر الذى يقتضي فكراً قومياً شاملاً ودراسة الطريق من أساسه. هل ما تزال المواجهة العسكرية والأحداث الدموية الوحشية التي فرضت في ظروف مختلفة تماماً في فترة تكوين الدولة، هل ما تزال قائمة الآن، وهل المواجهة هي السبيل الوحيد والأساسي؟

منذ الأيام الأولي للدولة، التي بدأت خطواتها بالاختبار الصعب والكبير المتمثل في حرب الاستقلال، تركزت الجهود علي بناء قوة دفاعية، تستطيع الصمود أمام كل اختبار وعلي طول الطريق. وقد كبرت القوة وأصبحت قوة عسكرية معروفة في العالم. وأصبحت الدولة عنصراً له ثقله الكبير في المنطقة، ورغم كل هذا فإنها حتى الآن لا تعيش في ظروف من السلام وحسن الجوار مع البيئة المحيطة بها مباشرة.

ب - ألا يقتضي وضعنا "السيئ "في المنطقة التفكير في تغيير الاتجاه وتعزيز التعاون مع الجيران، في كل المجالات، وليس فقط استمرار حالة التأهب للمواجهة التي تعلو وتهبط. في النقطة الزمنية التي وصلنا إليها الآن لا يجب تجاهل السؤال الماثل أمامنا: حيث أن السلاح النووي أصبح خطراً يهدد البشرية، وفي أعقاب ذلك تزايد الاعتراف الأساسي في العالم بحدود القوة، هل مسموح لإسرائيل أن تبني دعامتها الأمنية والوجودية علي الردع النووي بصفة أساسية، وهو ما يتجاوز الحدود المتعارف عليها؟

هل من الذكاء عدم بناء أمن إسرائيل - علاوة على قوتها العسكرية - علي أساس سياسة الحوار المباشر مع الجيران، في كل المستويات الممكنة، بل وأيضاً علي أساس مشاكل القضية النووية في المنطقة، ومرة أخري نقول: لا لاستمرار التهديد والمواجهة والتدهور، ونعم للحوار. ها نحن منذ بضع سنوات فقط كنا نحلم ونحن نرى اللقاءات والمحادثات مع الجيران، ونري زعماء الدول وهم يخططون للتعاون في مختلف المجالات - وهو ما يمكن أن نعتبره إنفراجة لم نعرفها منذ قيام الدولة. هناك سبيل آخر، وجيراننا من حولنا مستعدون لهذا.

عرض وتقييم لمؤتمر هرتزليا الثاني

١ (الذي حضره رئيس إسرائيل و باراك ونتانياهو وبيريز ومدير المخابرات الأمريكية السابق)

سامح محمود
باحث متخصص في الشؤون الإسرائيلية

أولا: المقدمة :

عقد معهد السياسات والاستراتيجيات The Institute of Policy and Strategy التابع لمركز هرتزليا للدراسات المقارنة INTER-DISCIPLENRY CENTER - HERZILYA مؤتمره السنوي الثاني خلال الفترة من ١٦-١٨ ديسمبر ٢٠٠١ تحت عنوان « التوازن بين القوة القومية الإسرائيلية و الأمن THE BALANCE OF ISRAEL'S NATIONAL STRENGTH AND SECURITY وقد حدد الأستاذ الدكتور/ عوزي آراد مدير المعهد الهدف من هذا المؤتمر السنوي (الثاني) الهام وذلك في تحليل مناحي القوة والأمن القومي الإسرائيلي، وفي هذا السياق عرف القوة القومية بأنها المصادر التي تستطيع الدولة أن توظفها في الوقت الحاضر للحفاظ علي أمنها مستقبلا .

وسوف نعرض في التقرير لأهم ما ورد في المؤتمر من كلمات وأهم ما قدم من أوراق (ولن نتقيد في هذا الصدد بجدول أعمال المؤتمر) بالإضافة إلي تقييمنا لما ورد في المؤتمر من اطروحات وكذا للوضعية الحالية و المستقبلية للصراع العربي / الإسرائيلي :

كلمة ايهود باراك رئيس وزراء إسرائيل السابق

أستهل باراك كلمته بالإشارة إلي ارتكاز أمن إسرائيل القومي وقوتها علي أربعة محاور:

١ - القوة القومية لإسرائيل والتي تتضمن قوتها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية .الخ .

٢ -علاقة إسرائيل الخاصة و الحميمة INTIMATE بالولايات المتحدة الأمريكية .

٣- قدرة إسرائيل علي التمتع بالشرعية الدولية INTERNATIOANL LEGITIMACY

٤ - وحدة إسرائيل الداخلية

و أكد علي أن كل شيء قد تغير بعد أحداث ١١ سبتمبر ،وان ذلك يخلق فرصاً وفي نفس الوقت مخاطر كثيرة وكبيرة وبالتالي يجب علي إسرائيل أن تتعامل وتتفاعل مع الواقع العالمي الجديد بكل حكمه .

وحلل باراك الجهود الدولية الحالية لمواجهة الإرهاب فأشار إلي ان الولايات المتحدة الأمريكية ستواجه أفغانستان في المرحلة الأولي من مكافحتها للإرهاب ، وآكد علي أن المواجهة مع الصومال واليمن والسودان ستكون في المرحلة الثانية ،وستشمل المرحلة الثالثة تفكيك قواعد الإرهاب في كل من سوريا و لبنان وفي المرحلة الرابعة سيكون علي الولايات المتحدة مواجهة العراق وستطيح بنظام صدام حسين ، وأن ذلك سوف يسهم في جهود الولايات المتحدة "لإقناع إيران "بنبذ الإرهاب حتى لا يتم مواجهتها أيضاً لرعايتها و إيوائها للإرهاب (وأشار إلي أن مواجهة إيران سوف تكون الأصعب خاصة مع تطوير طهران لأسلحة غير تقليدية).

وشدد علي أن جميع هذه التطورات والأحداث سوف تكون لصالح إسرائيل الا أنه وفي ذات الوقت سوف تواجه إسرائيل أربعة إشكاليات :

١- الصراع مع الفلسطينيين

٢- الصراع الداخلي مع عرب إسرائيل

٣- التشققات و الانقسامات داخل المجتمع الإسرائيلي

٤- تركيبة الحكومة الإسرائيلية

وعن المشكلة الفلسطينية اقترح باراك خطة من ثلاثة أجزاء :

أولا : حرب بلا هوادة ودون تراجع مع الإرهاب (الانتفاضة)

ثانياً : تنفيذ سياسة الفصل من جانب واحد Unilateral Separation مع الفلسطينيين وذلك علي

مدار أربعة سنوات علي أقصي تقدير "والا سوف نتحول إلي جنوب أفريقيا أو البوسنة" عودة التفاوض مع الفلسطينيين خاصة وأن إسرائيل في حاجة إلي المحافظة علي شرعيتها الدولية .

ثالثاً: إقامة سبعة (٧) تجمعات استيطانية تشكل ما نسبته ١٠٪ من "الأرض" ليعيش بها ما يزيد علي ٨٠٪ من المستوطنين الحاليين ، بالإضافة إلي ذلك الاحتفاظ بـ ١٥٪ من "الأرض" "لأسباب أمنية و الانسحاب من بقية الأراضي تماما ، وشدد علي أن هذه الخطوة أساسية جداً للمحافظة علي الأغلبية اليهودية لإسرائيل وأنه سيكون علي إسرائيل بعد ذلك "بناء سور في مواجهة الفلسطينيين ، أما عن القدس فيتم بناء سورين الأول مع الحدود الخارجية والثاني بين الأحياء اليهودية و الأحياء العربية ".

كلمة الجنرال / شاؤول موفاز رئيس الأركان الإسرائيلي

أكد الجنرال موفاز علي أن حرب الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب سيكون لها آثاراً متعددة علي منطقة الشرق الاوسط ، فالولايات المتحدة تعهدت بمحاربة الإرهاب في كل بقاع الارض ، "بما في ذلك المنطقة التي نعيش عليها "وشدد علي أن جيش الدفاع الإسرائيلي وبالرغم من أنه منشغل في "حرب "حالية إلا أنه يعد العدة ويجهز نفسه للحرب القادمة .

" فجيش الدفاع قد قرر تقوية وإعادة هيكلة قواته الجوية ، وقطاع المخابرات ، وكذا تطوير أسلحة ذكية -IN TELLIGENT WEAPONS".

وناقش موفاز المواجهة الحالية مع الفلسطينيين فأشار إلي أن هذه المواجهة ذات طبيعة مركبة ، عسكرية واقتصادية وإعلامية وكذا في الاستعداد الذهني أوالتركيبة الذهنية MINDSET وفي هذا السياق أكد موفاز علي أن العنف الفلسطيني الحالي جاء كقراراً إستراتيجياً فلسطينياً تماشي مع المنطق والسلوك الفلسطيني الذي يعبر عن عدم رضاءه عما دار علي مائدة المفاوضات (خاصة بالنسبة للقدس و اللاجئين) و "أن الفلسطينيين يعتقدون أنه عن طريق الدماء سوف يتمكنوا من إضعاف الموقف التفاوضي الإسرائيلي "وأنهم يأملون بان تكون هذه هي المعركة الأخيرة ويوجهون رسالة واضحة لإسرائيل بأنها لن تنعم بالسلام أوالأمن طالما هناك احتلال .

وقد حدد الجنرال موفاز المجموعات الثلاثة التي تهاجم إسرائيل :

١ - المنظمات الإسلامية (حماس - الجهاد الإسلامي)
٢ - فتح - التنظيم
٣ - أجهزة الأمن الخاص بالسلطة الفلسطينية.

وأكد علي أن الخلافات والإختلافات بين هذه المجموعات الثلاثة تتلاشي وتذوب عند القيام بعمليات إرهابية وأشار إلي وجود إحصائية توضح علي أن ٧٠ إسرائيليا قد لقوا حتفهم كنتيجة مباشرة لأعمال إرهابية قام بها رجال أجهزة السلطة الفلسطينية وهي التي كان من المفترض أن تكافح الإرهاب ولا تقوم به .

وعرض موفاز لمراحل العنف الفلسطيني الموجه ضد إسرائيل والتي حددها بستة مراحل :

١ - العنف الفلسطيني المنظم ،وهو العنف الذي بدأ مع سبتمبر ٢٠٠٠ ونتج عنه الانتفاضة الثانية ، وقد قام بها الفلسطينيون بهدف "تدويل الصراع "

٢ - الإرهاب الموجه إلي إسرائيل من المنطقة "أ " والخاضعة تماماً للسلطة الفلسطينية وهي المرحلة التي انتهت بقرار من عرفات .

٣ - الإرهاب ضد المستوطنين والجنود في غزة و الضفة الغربية .

٤ - الإرهاب ضد المدنيين الإسرائيليين داخل الخط الأخضر وذلك بهدف إضعاف الروح المعنوية وبالتالي التوصل إلي تنازل أو تسوية (وهذه المرحلة انتهت في ١١ سبتمبر عندما نزعت الشرعية عن مثل هذه الاستراتيجيات).

٥ - الإرهاب المنظم و المتفق عليه (والتي قامت بها جماعات المعارضة الفلسطينية وبتنسيق شخصي مع عرفات.

٦ - الشهر الحالي (ديسمبر ٢٠٠١) حينما تعرضت إسرائيل لموجة غير مسبوقة من الإرهاب ضدها حيث قتل عشرات الإسرائيليين .

وخلص الجنرال / موفاز إلي أن الفلسطينيين لن يتنازلوا عن مطالبهم وأنهم علي استعداد لجر المنطقة إلي أزمة أو لمواجهة عسكرية من أجل تحقيق مطالبهم ، وفي مواجهة ذلك أكد علي ضرورة بل حتمية تماسك اسرائيل وعلي اعتماد وتنفيذ سياسة النفس الطويل وعلي وجوب عدم إشعار الفلسطينيين بأنهم قد حصلوا علي مكاسب من إرهابهم وفي المقابل يجب علينا التخفيف عن الأغلبية الفلسطينية غير المشاركة في هذه الحملة الإرهابية ، وان نتجنب إصابة المواطنين الأبرياء.

وأكد موفاز علي أن جيش الدفاع قد قرر عدم فتح جبهة أخري في الشمال خلال انشغاله بالصراع مع الفلسطينيين ، في حين أنه شدد علي إن إسرائيل سوف تحمل سوريا المسئولية الكاملة في حالة إندلاع أي أعمال عنف من لبنان .

وأشار إلي أن جيش الدفاع قد حاول عدم اللجوء للاحتياط بقدر المستطاع الا أنه يجب علينا لمواجهة الازمة الحالية تغيير هذه السياسة ولأجل غير مسمي .

كلمة شيمون بيريز وزير خارجية إسرائيل الحالي

استهل بيريز خطابه بالتساؤل "ماذا سنكون عندما نكبر؟

وبدء في طرحه فأشار إلي أن المشكلة الأولي التي تواجهها إسرائيل هي الحفاظ علي الطبيعة اليهودية للدولة ، مؤكداً علي أن هذا الأمر أصبح معرض لخطورة

كبيرة وواضحة حالياً ، المشكلة الثانية هي الحفاظ علي الروح المعنوية والقيم الاخلاقية للشعب اليهودي ، وأكد علي أن كون إسرائيل دولة محتلة يفسدنا بقدر ما يؤذي الأخرين .المشكلة الثالثة وجوب دمج إسرائيل في محيطها الإقليمي والدولي.

وأشار بيريز إلي أننا "نستطيع أن نتوصل إلي اتفاق مع الفلسطينيين إذا ما توافرت لدينا الشجاعة الكافية "، فالفلسطينيين يطالبون بكل أراضى ١٩٦٧ بالإضافة إلي القدس مع الحق في عودة اللاجئين الفلسطينيين" ، وشدد علي أنه من الممكن أن نصل إلي اتفاق حول حدود ٦٧ ونؤجل موضوع القدس واللاجئين ، وعن هذين الموضوعين (أي القدس و اللاجئين) أشار إلي انهم أقل تعقيداً في الواقع العملي مما هو موجود عل الورق فاليهود لا يذهبون إلي الحرم الشريف TEMPLE MOUNT وأشار إلي أن "اعرافنا "لا تتطلب منا الذهاب إلي هناك قبل ظهور المسيح .

وعن اللاجئين أكد علي أننا يجب أن نؤكد للفلسطينيين بأننا لا نستطيع أن نساوم حول هذا الموضوع وذلك لأننا يجب أن نحافظ علي الأغلبية اليهودية داخل الدولة (وأشار إلي أنه لا يعرف أن كان الفلسطينيين سوف يتقبلون هذا الطرح أم لا ، ولكنه شدد علي أن هناك "شيء ما" من الممكن البناء والتفاوض حوله .

وقد أفاد بيريز بإمكانية التوصل إلي اتفاق حول الموضوعات الأولى ومع القيادة الفلسطينية الحالية وفي زمن قصير للغاية مع ترك موضوعي القدس واللاجئين لمرحلة لاحقة حتي ينضجوا TO RIPEN وشدد علي أن مصلحة إسرائيل تكمن في إنشاء دولة فلسطينية علي الأراضي المحتلة ، مؤكداً علي أن الأجيال الإسرائيلية القادمة لن تقبل فكرة الاحتلال هذا بالإضافة إلي أن ذلك يضمن الحفاظ علي الأغلبية اليهودية داخل الدولة .

وعن الاقتصاد أشار بيريز إلي أن الحقبة الزراعية قد انتهت وان صلة إسرائيل بالعالم حالياً يجب ألا تكون الزراعة - كما كانت في السابق - ولكن يجب أن تكون التكنولوجيا مؤكداً علي أن اسلوب مواجهة إسرائيل لأعدائها يجب أن يكون "بعدم حقنهم بالأنتراكس "ولكن بالتكنولوجيا المتقدمة أي خلق الاحتياج للتكنولوجيا الإسرائيلية ، مما سيجعل الشعوب المعادية لإسرائيل والمساندة للإرهاب تعمل علي القيام بمكافحة هذا التوجه من داخلها.

ورداً علي سؤال حول اتفاقية أوسلو أكد بيريز علي أن المشكلة لم تكن في الاتفاقية ذاتها "ولكن المشكلة التي نواجهها حالياً نابعة من انه قد تم إيقاف اتفاقية أوسلو " HAD BEEN STOPPED.

ورداً علي سؤال أخر حول ما إذا أتيحت الفرصة لبيريز للحديث إلي الشعب الفلسطيني فماذا سيقول له فأفاد بيريز بأنه سيقول لهم بأنه متعاطف مع مأساتهم وأنه لا يريد أن يحتل أراضيهم ".

كلمة بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل السابق

أكد علي تفاؤله الشديد وذلك بعد إدراك إسرائيل خلال العام الماضي (٢٠٠٠) خطورة الوضع السياسي الحالي وقيامها بمواجهته بحزم مما سيمنح إسرائيل القدرة علي تغييره.

وأكد علي أن للعولمة أثاراً إيجابية كبيرة علي إسرائيل خاصة في المجال الاقتصادي ، كما أشار إلي أن ملايين العرب يشاهدون الآن قناة الجزيرة - دون أية رقابة أو محظورات - مما يعطينا الأمل في ميل هذه المجتمعات للديمقراطية.

وعن أحداث ١١ سبتمبر أكد علي أنها تصب في صالح إسرائيل أيضا خاصة و أن الولايات المتحدة الأمريكية وضعت ثلاثة معايير او مبادئ لتحديد الإرهاب ومن يقوم به :

الوضوح الأخلاقي : فالولايات المتحدة قد فرقت بين الإرهاب و بين الدفاع عن النفس وأكدت علي أنه "لا يوجد شيء "يبرر الإرهاب .

الوضوح الاستراتيجي :حيث أكد الرئيس بوش علي عدم وجود فرق بين الانتحاريين وبين من يرسلونهم فالفريقين يتحملان المسئولية كاملة .

حتمية الانتصار : فالولايات المتحدة تري ضرورة بل حتمية الانتصار علي الإرهاب .

وفيما يتعلق بالأولويات القومية الإسرائيلية أكد علي أنه علي إسرائيل حماية مواطنيها من الهجمات غير التقليدية (وأن العراق وإيران هما أخطر أعداء إسرائيل في هذا الصدد) مشدداً علي وجوب عمل إسرائيل مع الولايات المتحدة لوقف هذا التهديد .

وشدد علي أن رؤية إسرائيل تتفق تماماً مع رؤية الولايات المتحدة ، حول أحداث ١١ سبتمبر ، وعلي أنه حان الوقت لمواجهة الدول التي تأوي الإرهاب .

وأشار إلي أن إسرائيل ستجد كل التأييد من الشعب الأمريكي إذا ما أطاحت بالسلطة الفلسطينية الحالية مؤكداً علي أن الإطاحة بعرفات سوف تستعيد هيبة و قدرة الردع الإسرائيلي وأن ذلك سوف يدفع القيادة الفلسطينية القادمة لمواقف أكثر اعتدالا خاصة بالنسبة لموضوع اللاجئين وعودتهم إلي أراضى إسرائيل .

واختتم نتنياهو كلمته بالتأكيد علي ضرورة تركيز إسرائيل في المرحلة القادمة علي ٣ مجالات من مجالات التكنولوجيا المتقدمة.

كلمة الدكتور/ شلومو بن عامي

القائم بمهام وزير خارجية إسرائيل السابق (حزب العمل) أوضح بن عامي أن العولمة تفرض علي الشعوب أنماط معينة من السلوك NORMS في شتي المجالات وبالتالي فلا يجب ولا يصح في إطار العولمة أن تنفرد دولة بعينها بسلوك منفرد ، وفي هذا السياق لا يجب أن تركز إسرائيل في علاقاتها مع السلطة ومع جيرانها العرب علي قوتها العسكرية فقط "ولكنه أستطرد وأضاف بأنه في نفس الوقت لا يجب أن نعتمد علي أن هذه الأنماط

الدولية سوف تأمن إسرائيل بل يجب العمل علي تأمين أنفسنا "و"يجب علي إسرائيل أن تحافظ علي هويتها كدولة يهودية ديمقراطية "، وأشار إلي أنه تم مناقشة العلاقات الدولية لإسرائيل علي المدى القصير، وفي هذا السياق برزت المشكلة مع الفلسطينيين والحاجة إلي معالجة هذه المشكلة لأنها تضر بعلاقات إسرائيل مع العالم بأسره ENTIRE WORLD. وعلي المدي البعيد تم التركيز علي علاقات إسرائيل بأوروبا والصين والهند وروسيا وقد قامت مجموعة العمل التي شكلت في إطار هذا المؤتمر بوضع تصور يدور حول تمكن الولايات المتحدة الأمريكية من الانتصار علي الارهاب وأن الدول العربية سوف تنتهج النهج الغربي وستركز علي النمو الاقتصادي و الاستقرار وأنه مع إرادة وزعامة قوية من الولايات المتحدة الأمريكية من الممكن ضم إيران و العراق في داخل هذه الإطار الا أن جزء من مجموعة العمل نظرت إلي المستقبل بطريقة أكثر تشاؤماً فلم تستبعد سقوط النظام المعتدل في مصر متوقعة أن يؤدي ذلك إلي تكوين جبهة عريضة في مواجهة إسرائيل .

ولمواجهة هذين السيناريوهين (المتفائل و المتشائم) جاءت الخلاصة بانه علي إسرائيل الا تتجاهل جيرانها العرب من أجل الاندماج في الغرب وان افضل احتمال لإسرائيل هو تهدئة الصراع وليس حله .

وفي الخلاصة أكد بن عامي علي أنه علي الدبلوماسية الإسرائيلية تعميق وتركيز رهانها علي الاقتصاد والتكنولوجيا و الاندماج في المنظمات و الهيئات الدولية .

كلمة موشيه كاتساف

رئيس إسرائيل

أكد كاتساف علي أن الأحداث الأخيرة التي شهدتها إسرائيل قد فرضت علينا الكثير من التساؤلات وكذا التحديات ، وان هذه التحديات (قاصداً العنف الفلسطيني /الانتفاضة الثانية) سوف تتحدد نتائجها طبقاً لقوة وتماسك الشعب الإسرائيلي ، وقد شدد علي أن إسرائيل تحتاج إلي تعميق وحدتها من أجل البقاء ومن أجل استمرار قدرتها علي التفاوض والتسوية ، وفي ختام خطابه أكد علي أن إسرائيل في حاجه ماسة إلي يهود الخارج خاصة لمواجهة الارهاب الإسلامي المتطرف .

كلمة سالي مريدور

رئيس الوكالة اليهودية و رئيس المنظمة الصهيونية العالمية

أكد مريدور علي أهمية الدور الذي يقوم به يهود الخارج ، الا أنه تساءل: من يستطيع أن يضمن مساندة اليهود لإسرائيل بعد ٢٠ عاماً من اليوم ؟ مشيراً إلي أن مساندة يهود الخارج لإسرائيل منذ ٣٠ عاماً كانت أكبر وأعمق .

وأكد علي أن الإشكالية الديموجرافية التي تواجهها إسرائيل حالياً يكمن حلها في توسيع الهجرة إلي إسرائيل ، مذكراً "ليس من أوروبا فقط ولكن من جميع أنحاء العالم "هذا بالإضافة إلي ضرورة زيادة معدل المواليد داخل الأسرة اليهودية الواحدة وبالتالي داخل المجتمع اليهودي في إسرائيل ككل .

كلمة جيمس وولسي مدير المخابرات الامريكية الـ CIA السابق :

أستهل WOOLSEY كلمته بالتأكيد علي أننا في لحظة تاريخية تمنحنا فرصة للإطاحة بصدام حسين خاصة وأن هناك بعض الادلة علي ضلوع العراق في احداث ١١ سبتمبر وكذا ضلوعه في موجة هجمات الانتراكس التي تعرضت لها الولايات المتحدة مؤخراً ، وأفاد سيادته بأن مهمة الاطاحة به سوف تحتاج مابين ١٠-١٠٠ ألف من القوات الأمريكية مشيراً إلي ان واشنطن لن تحتاج إلي تحالف دولي لإتمام هذه المهمة ولكن إلي مساندة تركيا فقط هذه المرة .

وأشار إلي وجود مصادر أخري للارهاب الدولي و أكد علي أن الاطاحة بصدام حسين من الممكن أن يقنع دولاً أخري (مسمياً ايران) بالعدول ونفض يدها من الارهاب ، واوضح بأن المهمة سوف تكون طويلة المدي ولها ضحاياها ولكن يجب أن يكون هدف الولايات المتحدة هو دعم وتنمية الديمقراطية في الشرق الاوسط

وفي ختام كلمته أكد علي أن أمريكا قد عادت وبروح لم يراها العالم منذ فترة طويلة إلى سابق اهتمامها بالعالم .

كلمة الجنرال عوزي ديان

رئيس مجلس الأمن القومي - مكتب رئيس الوزراء

أعرب لجنرال ديان عن قلق إسرائيل من سوريا وحزب الله "خاصة وأنهم سوف يكونوا ضمن المرحلة الثانية من المواجهة الدولية ضد الارهاب "وأرجع مصدر القلق الإسرائيلي إلي تزايد صعوبة مواجهة الدول المساندة للارهاب خاصة إذا ما كانت تمتلك أو تستطيع أن تمتلك أسلحة غير تقليدية ، إلا أنه أشار إلي أن النقطة الايجابية في هذه المعركة هو أنه باستطاعة إسرائيل وفي سنوات قليلة إصابة هدفين بضربة واحدة (القضاء علي الإرهاب - وكذا القضاء علي امتلاك بعض الدول المساندة للارهاب والمناهضة لإسرائيل لأسلحة غير تقليدية) كما أوضح خطته لمكافحة الإرهاب مشيراً إلي أنها تتكون من خمسة مكونات: سياسية وعسكرية وأمنية واقتصادية و قانونية و الدائرة الأخيرة معلوماتية وتعليمية .

وشدد علي ان مواجهة الارهاب يجب أن تأخذ أبعاداً ثلاثة :

داخلياً : بالرد الموجع علي الإرهابيين الذين يقومون بعمليات داخل إسرائيل وكذا الذين يرسلونهم أو يوجهونهم للقيام بمثل هذه العمليات ، والنطاق الثاني : توسيع دائرة المواجهة لتشمل الدول والمنظمات التي تؤويهم وتأمن لهم البنية التحتية ، والنطاق الثالث مواجهة مصادر أو منابع الصراعات كمحاولة لمنع مسببات الارهاب من النشوء أو النمو .

وفي هذا السياق أعلن الجنرال DAYAN عن

إعتزام الهند إرسال ممثلاً لها إلي إسرائيل خلال شهر يناير القادم ٢٠٠٢ للتباحث حول كيفية إنشاء قناة ثنائية لمكافحة الإرهاب ، وأشار سيادته إلي أنه تم التوصل إلي جدول عمل مع الولايات المتحدة الأمريكية لمكافحة الإرهاب ، وكذا الاتفاق علي التعاون في مجالات الشئون القانونية والبحث التكنولوجي والتنمية ومجالات أخري مؤكداً علي أن هذا الاتفاق قد شمل دولاً أخري لم يحددها .

كلمة ناتان شارانيسكي وزير الأبنية و التعمير

شدد السيد/ شارانيسكي علي أهمية دور يهود الخارج الـ DIASPORA فيما يقدمونه من دعم لإسرائيل متذكراً تجربته الشخصية في ذلك عندما كان مازال يعيش في بلده الأصلي روسيا ، وعن علاقات إسرائيل مع روسيا أشار إلي أن الرئيس بوتين يعتقد بأن علاقاته مع إسرائيل تمثل باباً لعلاقات جيدة مع الغرب خاصة الولايات المتحدة الامريكية ، مشيراً إلي أن ذلك كان له انعكاساته الايجابية علي وضعية اليهود في روسيا "والتي تتحسن كل يوم "، وفي نفس الوقت علي موقف روسيا من الصراع العربي الإسرائيلي والذي يتحول الأن لصالح الرؤية الإسرائيلية .

كلمة البروفيسور أرنون سوفير ARNON.PROF SOFER

الأستاذ بجامعة حيفا

حذر السيد/ سوفير من مواجهة إسرائيل لمشكلة ديموجرافية كبيرة عام ٢٠٢٠ وذلك لأنه سوف يتواجد بها مليون يهودي متشدد ORTHODOX وكذا ما يناهز مليوني عربي ، وأن ذلك سوف يؤدي إلي شلل أعمال الكنيست تماماً كما قد ينتج عنه هجرة الأغلبية اليهودية الحالية وأشار إلي أنه إذا لم يتم تطبيق سياسة الفصل فسوف يطوق إسرائيل ٦ مليون عربي في المنطقة منهم ما يقرب من ٥و٥ مليون يعانون من فقر شديد .

وللخروج من هذا المأزق طرح سوفير فكرة وهي "بأنه يجب الا تكون إسرائيل دولة ديمقراطية، مشيراً إلي أن هذا هو التوجه الحالي للدولة ، واننا علينا "توطين" الدروز والبدو والمسيحيين من عرب إسرائيل "و يجب علينا أن نضع بعض المدن المكتظة بعرب إسرائيل مثل أم الفحم داخل أو ضمن الحدود الفلسطينية ".

وفي هذا السياق أشار إلي أن هناك ما يقارب الـ ١٥٠ ألف لاجيء فلسطيني يعيشون ضمن أو داخل الحدود الإسرائيلية حالياً وبطريقة غير مشروعة .

ورداً علي ما ذكره السيد SOFER أكدت GEULA COHEN عضو الكنيست الإسرائيلي السابق علي أنه في حالة وجوب الاختيار بين الديمقراطية (والقيم اليهودية) وبين بعض القطع من الأراضي فهمي تفضل الأختيار الأول أي الديمقراطية .

كلمة البروفيسور يائيل تامير الأستاذة بجامعة تل أبيب

استهلت تامير كلمتها بالتأكيد علي أهمية استمرار إسرائيل كدولة يهودية وفي نفس الوقت ديمقراطية وعلي ضرورة إقامة حدود واضحة مع الفلسطينيين مع تشديدها علي أن تطبيق سياسة الفصل SEPERA-TION هام للغاية وذلك للمحافظة علي يهودية الدولة ، وزيادة أمن المواطن الإسرائيلي وتقليص الاحتكاك مع الفلسطينيين . وفي هذا السياق أشارت إلي أن الفصل أحادي الجانب UNILATERAL SEPERARA-TION سيكون له بعض السلبيات وحددتها بالتالي : احتمال إعلان الدولة الفلسطينية ، وإحتمال إلغاء بعض الاتفاقيات المعقودة بين إسرائيل وجيرانها وإحتمال أن يزيد ذلك العنف ويزيد المقاطعة العربية .

وشددت علي عدم مساندتها لرأي . والذي ينادي بإعادة ترسيم حدود إسرائيل بحيث يتم نقل عدد من المدن الكثيفة بالعرب (عرب ٤٨) إلي الجانب الفلسطيني محذرة بأن ذلك سوف يفتح ملف حدود ١٩٤٨ ، وبالتالي خلصت السيدة TAMIR إلي وجوب التوصل إلي تسوية لبعض الأجزاء من الصراع مع الفلسطينيين وكذا مع الدول العربية .

كلمة السيدة كونداليزا رايس CONDALESSA RICE

مستشارة الأمن القومي الأمريكي

(القت رايس كلمتها عبر قناة بث تليفزيوني مباشر)

أكدت رايس علي ان علاقات الولايات المتحدة بإسرائيل نابعة من مبادئ وقيم مشتركة وان هذه العلاقات "لم تكن أفضل في أي وقت مضي "، وفي هذا السياق نقلت تحيات الرئيس بوش الشخصية لجميع السادة الحضور .

وحول الارهاب شددت المسؤولة الأمريكية علي أن الرئيس بوش لا يفرق بين "إرهاب جيد "وإرهاب سيء" ويعتقد باننا لا نستطيع ان نحارب القاعدة ونعانق حماس " YOU CAN'T FIGHT AL-QAIDA AND HUG HAMAS وبالتالي فهو يطالب الرئيس عرفات بالقبض علي ناشطي حماس وتفكيك قواعدها والتحرك في اتجاه تحقيق السلام كما أن واشنطن تؤكد علي أنه لا يمكن تحقيق هذا السلام الا بعد أن يتلاشي الإرهاب. ورداً علي سؤال حول ان كان هناك نية لعقد اتفاقية دفاع مشترك بين إسرائيل و الولايات المتحدة الأمريكية أشارت رايس إلي أن واشنطن ساندت و ستساند إسرائيل في جهودها لحماية نفسها وانه علي اسرائيل حكومة و شعباً ان تحدد المطلوب من الولايات المتحدة في هذا الصدد بروح وفي إطار منفتح .

كلمة بنيامين بين اليعازر وزير الدفاع الإسرائيلي

أشار إليعازر إلي اعتقاده بان أحداث ١١ سبتمبر + موجات العنف الفلسطيني الأخيرة + رفض الفلسطينيين للعروض السخية من باراك +انسحاب اسرائيل من لبنان قد اثر علي استراتيجية الدفاع الإسرائيلية ، مشيراً إلي المخاطر غير التقليدية التي تواجها إسرائيل حالياً و المتمثلة في امتلاك بعض الدول المعادية لإسرائيل أسلحة الدمار الشامل مسمياً إيران .

كلمة زفي زاميرت مدير مؤسسة BEN-ZVI

أشار إلي أن التعليم يزداد بين عرب إسرائيل بنسبة أكبر من اليهود، وان ٢٥٪ من اليهود يتعلمون في المدارس الدينية الحريدية HARED، وبالتالي ففي عدة سنوات قليلة سوف يصبح المتعلمين من العرب ومن خريجي المدارس الدينية الحريدية يمثلون نسبة كبيرة من المواطنين الإسرائيليين مؤكداً علي خطورة ذلك علي عجلة ودولاب الاقتصاد الإسرائيلي . .

كلمة الجنرال إيتان بن إلياهو EITAN BEN-ELIHAU

رئيس شركة EAST WEST VENTURES LTD.

أشار الجنرال/ إلياهو إلى بعض الموضوعات التي يعتبرها أساسية ويجب أخذها في الاعتبار عند مناقشة الأمن والاستراتيجية الإسرائيلية :

حصر الصراع في حدود منخفضة الكثافة LOW INTENSITY CONFLICT.

أن كل صراع من الممكن أن يؤدي إلي حرب إقليمية، وذكر أنه في الماضي طبقت إسرائيل مفهوم الضربة الوقائية الأولي في حين أننا الآن يجب علينا أن ننظر إلي مفاهيم أخري مثل الاحتواء CONTAINMENT وحصر الحرب في أراضي العدو ..الخ .

وعن نوع الأسلحة التي يجب تطويرها أشار إلي أن إسرائيل قد عملت في الماضي لتطوير سلاحها الجوي لأنه كان السلاح الحاسم آنذاك ، "أما المواجهات القادمة فيجب أن نعد لها بالتركيز علي القوات الأرضية بجانب القوات الجوية و القوات الخاصة و الأقمار الصناعية والطائرات بلا طيار ".

كلمة البروفيسور يهيزل درور قسم العلوم السياسية - الجامعة العبرية

أستهل درور كلمته بالتشديد علي وجود جذور للإرهاب في الفكر و التاريخ الاسلامي إلا أنه أضاف "ولكن علينا أن نتذكر - وبنفس القدر - بأن هتلر لم يكن مسلماً ".

أقترح DROR التنازل في الوقت الحاضر عن بعض القيم و المبادئ من أجل الحفاظ علي قيم VALUES أكبر و أعمق، موضحاً "فسيادة الدول لا يجب أن يلتفت إليها إن كان الهدف مواجهة أسلحة الدمار الشامل والإرهاب "وفي هذا السياق اكد علي أنه علي إسرائيل التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة خطر الارهاب وفي نفس السياق يجب علي إسرائيل الاقتراب بقوة من الاتحاد الأوروبي، وإلي التوصل إلي "تفاهم ما" مع الدول العربية من أجل إقناع بعضها بعدم استخدام الصراع العربي/ الإسرائيلي للوقوف ضد التوجه الدولي المواجه للإرهاب والدمار و القتل الشامل .

كلمة اسحاق رافيد ITZHAK RAVID

المدير السابق لمركز الدراسات العسكرية RAFAEL

بدء رافيد كلمته بعرض بعض الأرقام حول ديموجرافية الصراع العربي/ الإسرائيلي فأشار إلي النقاط التالية :

أن عرب إسرائيل يستمرون في الزيادة بمعدلات من أكبر معدلات الزيادة في العالم .

الوضع الاقتصادي للعرب داخل الاراضي TERRITORIES سيستمر في التدهور خاصة في غزة وأنه حتي مع المساعدات الدولية ومع تدخل و مساندة إسرائيل فان ذلك لن يحول دون المزيد من التدهور الاقتصادي .

غالباً ، ما سوف يتم التوصل إلي عودة بعض اللاجئين إلي إسرائيل أو تعويض البعض الأخر منهم .

أن الصراع مع الفلسطينيين سوف يستمر لوجود تعارض أصيل (وليس عرضي) بين مصالح الطرفين .

أن الفجوة بين دخل الفرد في إسرائيل و بين نظيره في الدول الغربية سوف تزيد وذلك لوجود قطاعات داخل المجتمع في إسرائيل (اليهود المتشددين أو الأصوليين ORTHODOX وعرب إسرائيل) يتزايدوا بشكل كبير ولا يشاركون في قوة العمل .

سوف يكون من المستحيل تقديم خدمات تعليمية و اجتماعية و صحية للمواطن الإسرائيلي تناهز المستوي الغربي (وكما كان متوقعاً ومأمولاً في التوصل إليه من قبل)

الدكتور /دافيد هاريس DAVID HARRIS

المدير السابق للجنة اليهودية الأمريكية AMERICAN JEWISH COMMITTEE

شدد HARRIS علي ضرورة مساندة يهود الخارج لإسرائيل مشيراً إلي وجوب القيام بذلك عن طريق الترويج و استخدام الأطروحات التالية :

إسرائيل دولة ديمقراطية وانه علي الديمقراطيات مساندة بعضها البعض .

أن لإسرائيل رغبة عميقة في السلام وأنها علي استعداد لتقديم "تنازلات موجعة "من أجل تحقيق ذلك من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها في مواجهة العنف والإرهاب .

بالرغم من أن إسرائيل تمثل عودة اليهود (الشعب و الديانة) إلي أراضيهم إلا أنه و بعد مرور ما يزيد علي ٥٠ عاماً منذ إنشاء الدولة مازال البعض يشكك في شرعية وجود دولة إسرائيل .

دان مريدور DAN MERIDOR عضو الكنيست الإسرائيلي

أكد مريدور علي أن لعملية السلام إيجابية واضحة تمثلت في قبول الدول العربية لإسرائيل، علي الجانب الاخر منذ مؤتمر مدريد وحتي الأن تبلورت سلبيتان رئيسيتان أولهما امتلاك أعداء إسرائيل لأسلحة غير تقليدية والثانية نمو التطرف الإسلامي وتنامي قدرته الدولية.

وعن الصراع مع الفلسطينيين (والذي وصفه بأنه قلب الصراع العربي /الإسرائيلي) شدد ميردور علي وجوب التوصل إلي "اتفاق معهم "خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن إسرائيل متجهة إلي كارثة ديموجرافية، وفي

هذا السياق طرح خمسة خيارات :

١ - إعادة احتلال الضفة الغربية وغزة ، مذكراً "ولكن إسرائيل لم تنعم بالأمن قبل اتفاقية أوسلو ".

٢ - التأكيد علي أن إسرائيل لن تتنازل أو تساوم الا تحت مظلة اتفاقية سلام متكاملة .

٣ - الإبقاء علي الوضع الحالي ببعض التغييرات الطفيفة .

٤ - التوصل إلي اتفاق جزئي .

٥ - الأخذ بتدابير منفردة .

وقد استبعد مريدور الخيارات الثلاثة الأولي وطرح البديل الخامس لمزيد من الدراسة ، أما الخيار الرابع فاقترح "فرض "إسرائيل "لحل ما منفرد مع الفلسطينيين "، - مستغلة إمكانياتها و قوتها - خاصة بالنسبة لترسيم الحدود أي "ترسيم الحدود بالأمر الواقع ".

البروفيسور جبريل بن دور GABRIEL BEN DOR أستاذ العلوم السياسية - جامعة حيفا

أشار بن دور إلي دراسة قام بها مؤخراً في جامعة حيفا ، أثبتت ان الشعب الاسرائيلي قد تأثرت روحه المعنوية سلباً ، وان ٨٣٪ منه يعاني من الخوف (وللمقارنة أشار إلي أن ٦٠٪ فقط من الشعب الأمريكي عاني من الخوف بعد أحداث ١١ سبتمبر) وشدد علي أنه اذا ما استمرت حالة الخوف سيفقد المواطن الإيمان بمؤسسات وأجهزة الدولة وبالتالي ستصبح إسرائيل في مأزق حقيقي .

آفي جيل AVI GIL مدير عام الخارجية الإسرائيلية

أكد جيل علي أن اتفاق أوسلو سوف يكون الأساس الذي يتم البناء عليه للتوصل الي اتفاق مع الفلسطينيين وذلك بتطبيق المبادئ و الأسس التالية :

الارض مقابل السلام (وأكد علي أن الشهور القليلة القادمة أثبتت خطأ مشروع إسرائيل الكبرى) الحفاظ علي الهوية اليهودية الديمقراطية لإسرائيل (وفي رأية انه لا يمكن التوصل إلي ذلك الا عن طريق فصل السكان) SEPERATION OF THE POPULATION.

الاعتراف بالقومية الفلسطينية مشيراً إلي وجود إجماع داخل إسرائيل علي وجود الشعب الفلسطيني وعلي وجود آمال له .

وجوب إنهاء الاحتلال ، لانه شرط أساسي من أسس عملية السلام وان اسرائيل لا يمكن لها أن تحكم شعب أخر .

وأكد جيل علي أنه دونما التوصل إلي سلام مع الفلسطينيين لن تستطيع اسرائيل الاندماج داخل منطقتها وبالتالي مع العالم الخارجي .

واختتم كلمته بالتأكيد علي أنه بدون الالتزام بهذه الأسس الأربعة لن يكون تحقيق السلام ممكناً .

البروفيسور/ دانييل تسيدون، جامعة تل أبيب

وأشار إلي أن عام ١٩٩٦ قد شهد تخرج ١٥٥٥ من الجامعات الإسرائيلية بدرجات في الـ HI-TEK في حين أنه في عام ٢٠٠٠ تخرج ما يناهز ٨٠٠٠ خريج (أي ما يزيد عن خمسة أضعاف العدد في غضون أربعة سنوات).

التقييم و الخلاصة :

بالرغم مما يبدو من اختلاف واضح بين ما ذكره بنيامين نتنياهو من ناحية ، و بيريز وباراك من ناحية أخرى ، الا أن المجتمع الإسرائيلي متفق حول التكتيك و الاستراتيجية الواجب إتباعها في المرحلة الحالية ، ويتمثل التكتيك في عدم الرضوخ أمام الانتفاضة أي عدم الإقرار بأنه من الممكن الضغط أو التأثير علي متخذ القرار أو المفاوض الإسرائيلي عن طريق "المقاومة/ العنف " ، أما الاستراتيجية فتتضح مما أكد عليه بيريز وباراك وشلومو بن عامي من وجوب إنهاء الاحتلال والتوصل إلي تسوية سلمية مع الفلسطينيين ويكمن الاختلاف حول نسبة ما سيتم "التنازل عنه/ الانسحاب منه " فكلمة بيريز توضح بأنه يتحدث عن الانسحاب من جميع الأراضي التي احتلت عام ٦٧ بالإضافة إلي إمكانية طرح القدس للنقاش والتفاوض ، في حين ان ما ذكره الآخرون يدور حول "الانسحاب "من بعض وليس كل أراضى ٦٧ ، وتتراوح هذه النسبة وتتفاوت من طرح إلي أخر .

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلي تبلور شبه إجماع داخل المجتمع الإسرائيلي تجاه وجوب بل وحتمية الانسحاب من "كل الأراضي / أو بعض الأراضي " المحتلة الا أن ما ينقص هذا التوجه لكي يتبلور في صورة عمل سياسي هو عدم وجود قيادة من ناحية وإرادة سياسية من ناحية أخري والمقصود بالقيادة السياسية الزعامة القادرة علي أتخاذ خطوات جذرية لتحويل مسار مجتمعاتها (السادات - بيجين - رابين) أما الإرادة السياسية . فهي تعني إرادة المجتمع بفئاته و مؤسساته المختلفة للمخاطرة والمضي قدماً في اتجاه معين .

اجمع المتحدثون علي أن المشكلة الرئيسة التي تواجهها إسرائيل حالياً تتمثل في الانتفاضة في حين أن المشكلة الرئيسية التي ستواجهها إسرائيل في المستقبل القريب لن تأتي من الخارج بل من الداخل وتتمثل هذه المشكلة في الزيادة السكانية للأقلية غير اليهودية بنسبة تفوق الزيادة السكانية للأغلبية اليهودية (المشكلة الديموجرافية - أو ما يطلق عليها في الأدبيات مشكلة عرب إسرائيل) وتكمن هذه المشكلة في أن فلسطينيو الداخل (أو الـ ٤٨) يمثلون حالياً ما يناهز ١٩٪ من المجتمع الإسرائيلي ،وأن بعض الدراسات تشير إلي أنهم من الممكن أن يتجاوزوا نصف السكان مع حلول عام ٢٠٥٠ أي بعد مائة عام من إنشاء الدولة "العبرية ". (دراسة مؤسسة فردريك إيبرت عام ٢٠٠١) هذه المشكلة ستدفع إسرائيل إلي أحد خيارين فأما أن تكون دولة يهودية أو دولة ديمقراطية (كتابات الاستاذ الدكتور سامي سموحة والاستاذ الدكتور أسعد غانم الأستاذان بجامعة حيفا توضح بجلاء هذه الإشكالية) بالإضافة إلي ذلك هناك تأثير الصراع الدائر

حالياً مع فلسطيني الخارج ، وانعكاساته علي شعور وتوجه فلسطينيي الداخل وهو الأمر الذي يحمل في طياته احتمال انتقال الانتفاضة داخل الخط الأخضر ذاته (و تقديم فلسطينيو الداخل لـ ١٣ شهيداً مع بدايات انتفاضة الأقصى لخير دليل علي ذلك) وقد أكد أحد كوادر فلسطينيي الداخل لكاتب هذا التعليق و بوضوح "بأن الانفجار و التصادم قادم قادم لا محالة " كما اجمع المتحدثون (بيريز - باراك - نتنياهو .الخ) علي مصيرية تركيز إسرائيل في المرحلة القادمة علي تطوير إمكانياتها التكنولوجية وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلي أن الصادرات الإسرائيلية من الصناعات التكنولوجية قد بلغت ١٥ بليون دولار عام ٢٠٠٠ بنسبة زيادة قدرها ٥٧.٣٤ ٪ مقارنة بعام ١٩٩٩ كما أنه ومنذ عام ١٩٩٦ زادت هذه الصادرات بمعدل ٣٠٠٪ .

وتساهم الصناعات التكنولوجية الإسرائيلية بـ ١٤.٣٪ من إجمالي الناتج القومي في إسرائيل كما أن ٧٤٪ من النمو الاقتصادي الإسرائيلي الذي تحقق عام ٢٠٠٠ يرجع إلي الصناعات التكنولوجية و٣٦٪ من النمو يرجع إلي الشركات التكنولوجية الناشئة-START UP COMPANIES . أما ما ذكره مدير المخابرات الأمريكية السابق حول ضرب العراق في المرحلة الثانية من مواجهة الإرهاب ، فهو يتسق مع ما أكد عليه باراك في كلمته وإذا ما أضفنا إلي ذلك زيارة السناتور جوزيف ليبرمان إلي تركيا (والتي أشار مدير المخابرات المركزية الأمريكية السابق إلي وجوب الاعتماد عليها فقط في الضربة القادمة للعراق) فإن ذلك يعطي انطباعاً بأن العراق سيتعرض قريباً لضربة قوية قد يكون هدفها الاطاحة بنظام الرئيس صدام حسين ، وهو ما يري كاتب هذا التعليق أنه أمر محتمل للغاية وذلك للأسباب التالية تصنيف العراق كدولة من الدول المارقة ROGUE STATES وان ذلك كان مقبولاً إلي حد ما قبل احداث ١١ سبتمبر إلا أن هذه الأحداث قد أثبتت - من وجهة النظر الأمريكية - حتمية القضاء علي مثل هذه البؤر أو الجيوب المارقة .(وفي نفس الوقت إعطاء رسالة واضحة لايران بنفس هذا المعني) تهديد صدام حسين المباشر والمعلن لإسرائيل وذلك بتكوينه وإعداده "لجيش القدس " والذي أعلن بأنه سيتكون من مليون مقاتل ، وبالرغم من قناعة المراقبين من أن هذا الجيش لن يتبلور ف صورة عمل عسكري محتمل، فان الفكرة في حد ذاتها غير مقبولة (أي فكرة وجود دولة عربية مازالت تعلن عدائها الواضح لإسرائيل وأن هذا العداء يأخذ صور أفعال " عسكرية "محددة) إحتمال سعي العراق لتطوير أسلحة غير تقليدية . بالإضافة إلي ما تقدم يري البعض في أن " الأسباب "التي ترك من أجلها صدام حسين بعد حرب الخليج الثانية قدانتفت (ذريعة أو مبرر للتواجد الأمريكي في الخليج - ولبيع كم هائل من السلاح لدول الخليج - ولاحتواء إيران) وذلك لأن أحداث ١١ سبتمبر و حرب الولايات المتحدة المباشرة ضد الإرهاب توفر الغطاء والمبرر لضرب العراق.

بالنسبة لما جاء في كلمة البروفيسور ARNON SOFERمن حتمية تطبيق سياسة الترانسفير علي بعض المدن ذات الأغلبية العربية داخل الخط الأخضر (مثل ام الفحم) و نقلها داخل الأراضي الخاصة بالسلطة / أو الدولة الفلسطينية ، فمع قناعتي بالاستحالة العملية لتنفيذ ذلك ، الا أنني اقترح - ورداً علي ذلك - سياسة ترانسفير عربية تجاه "عرب إسرائيل "وليس المقصود بذلك الترانسفير الذي يهدف إليه SOFER ولكن ترانسفير أي تغير جذري اكثر إيجابية في شعور وتوجه وسلوك حكومات و شعوب الدول العربية تجاه فلسطينيو الداخل.

لا أعرف من أين أتي السيد/ نتنياهو بتفاؤله الشديد عن المستقبل الإسرائيلي . فجميع الدراسات والأرقام تشير إلي أن انتفاضة الأقصى قد تمكنت من التأثير سلباً وبشدة علي المجتمع الإسرائيلي ويكفي أن نذكر ما جاء في أخر إحصائيات مكتب الإحصاء الإسرائيلي من أن الاقتصاد الإسرائيلي قد شهد في عام ٢٠٠١ أضعف أداء اقتصادي له منذ عام ١٩٥٣ (أي تقريباً منذ إنشاء الدولة) هذا بالإضافة إلي ما أعلنه البنك المركزي الإسرائيلي من أن انتفاضة الأقصى قد كلفت الاقتصاد الإسرائيلي - حتى الآن - ما يناهز ١٢ بليون شكل (أي حوالي ٣ بليون دولار أمريكي) وفي هذا السياق تجدر الاشارة إلي تعرض إسرائيل لاهتزاز لشرعية ممارساتها بل ولوجودها بشكل كبير في الفترة الأخيرة ولعل البيان الصادر عن الجمعيات غير الحكومية المشاركة علي هامش مؤتمر الامم المتحدة لمكافحة العنصرية وما جاء به من أدانه شديدة اللهجة لإسرائيل لكافي للدلالة علي ذلك

الخلاصة :

يري كاتب هذا التعليق أهمية في النظر إلي الصراع العربي/ الإسرائيلي كصراع حضاري شامل بل أكثر من ذلك (وكما أطلق عليه نتنياهو) صراع وجود وليس حدود ، وفي هذا السياق يؤكد علي أن إسرائيل قد تمكنت من الفوز في حلقات المواجهة الخمسة في الصراع العربي/ الإسرائيلي ، فالأولي كانت معركة إنشاء الدولة والثانية كانت امتلاك السلاح النووي والثالثة كانت التوسع الجغرافي (توسيع الدولة - حرب ١٩٦٧) والرابعة تنمية المجتمع المدني والاستقرار الاقتصادي والخامسة أي المرحلة الحالية فهي التقدم التكنولوجي .

وفي حين مازال الوطن العربي يركز كل جهده علي تعويض ما فقده في حلقات المواجهة السابقة (خاصة الأرض) ، تدل الأرقام الموضحة في البند ٣ من التعليق علي إدراك ووعي إسرائيل بالحلقة الحالية من الصراع وعملها الدؤوب علي أن تخرج منها فائزة قبل أن يدرك غريمها نوع التحدي الذي ينبغي عليه أن يواجهه .

استئناف العملية السياسية

٢

رؤية إسرائيلية: تعلم الدرس من فشل أوسلو

يوسي ألفير - كاتب سياسي وله كتاب أخير باسم "المستوطنين والفلسطينيين"

٩ يناير ٢٠٠٢ www.bitterlemons.or. إعداد: أكرم ألفي

أدركت إسرائيل أخيراً خلال الأسابيع الماضية أهمية استئناف العملية السياسية، حيث طرحت مبادرتين لاستئناف العملية السياسية .وهو الدرس الذي استوعبه الفريق الذي قاده وزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز وضم كل من اوري سافير وافي جيل وهما (المدير السابق والحالي لوزارة الخارجية) وابو علاء رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني .فوفق للاتفاقية، سيتم وقف إطلاق النار واستئناف إجراءات إعادة بناء الثقة خلال ستة أسابيع .وبعدها وخلال ثمانية اسابيع اخري تقوم إسرائيل بالاعتراف بالدولة الفلسطينية وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، ويعقبها بدء المفاوضات حول قضايا الوضع النهائي، حيث يتم الانتهاء منها خلال من ٩ إلى ١٢ شهر . ويتم تنفيذ الاتفاق النهائي خلال من ٩ إلي ٢٤ شهر آخرين.

تمثلت المبادرة الثانية في دعوة الرئيس الإسرائيلي موشي كاتساف إلى إلقاء كلمة أمام المجلس التشريعي الفلسطيني يدعو فيها إلي عقد هدنة، وبعدها يتم إعلان هدنة لمدة عام، وخلال فترة قصيرة يتم العودة للمفاوضات .علي ان تقوم كل من مصر وأمريكا بدعم هذه المبادرة إلى جانب الإسرائيليين والفلسطينيين.

لقد علمنا بهاتين المبادرتين من خلال التقارير الإخبارية والمقابلات والحوارات .وقليل من التفاصيل تم معرفته، حيث لا نعرف بدقة التزامات وواجبات الطرفين وفقا لهاتين المبادرتين، وإن كنا نعرف أن رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون اعترض علي جوهرهما، بينما امتنع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات علي التعليق عليهما، كما اعترض بيريز علي طرح الهدنة لمدة عام، وهو ما يعكس بشكل واضح أن القيادات في كلا الجانبين لا تملك بعد أي استراتيجية بديلة للسلام، وجميعهم يشكون في الأخر، وهو ما يجعلنا نجزم أن فرص نجاح هذه المبادرات أو أي مبادرات سلام أخري سيتم طرحها في المستقبل القريب ضعيفة أو شبه معدومة.

علي الرغم من هذا، وفي ظل الظروف الراهنة، يجب أن نرحب بأي مبادرة سياسية جديدة، فكلا من خطط بيريز - ابو علاء وكاتساف بهم الكثير يمكن الثناء عليه .علي أساس ما نعرفه عنهما، إلا أن كلاهما يعكسان رفض قاطع من كلا الجانبين للتعلم من دروس فشل عملية أوسلو التى برزت خلال السنوات الماضية، وبالتالي رسم دروس للمستقبل .فهل يمكننا أن نأمل أن تكون الاتفاقية التالية لا تعاني من نفس المشاكل والأزمات .في سياق انه لا توجد اتفاقية سياسية كاملة ، ومن هنا تنبع أهمية طرح دروس خبرة أوسلو:

أولا: برز خلال عملية أوسلو التناقضات الجمة النابعة من الاعتماد علي قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. فإسرائيل والفلسطينيين لم يتفقوا علي تفسير صيغة قرار ٢٤٢، من كونه يطبق علي كامل أم علي جزء فقط من أراضى الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية .لم يكن الاختلاف فقط علي التطبيق علي "أراضى "أم "الأراضي "بل اكثر من هذا فإن قرار ٢٤٢ كان مصمم أساساً للتعامل مع آثار حرب ١٩٦٧، بينما كانت بعض قضايا الوضع النهائي للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، لم تحل بعد مثل اللاجئين، وهي قضية من ١٩٤٨ ولم تحل من خلال ٢٤٢ ، أو القضايا "التاريخية "مثل القدس التي تم تجاهلها في قرار ٢٤٢، وعلي الرغم من إدراك كل من بيريز وابوعلاء هذا الإشكاليات، إلا انهم اختاروا مرة أخري قرار ٢٤٢ كأساس لإعلان الدولة الفلسطينية .وبالفعل

سمعنا متحدث بأسم إسرائيل يشرح أن هذا يعني أن الدولة الفلسطينية سوف تقوم بالأساس علي ٤٢٪ من الضفة الغربية و٨٠٪ من قطاع غزة والتي هي تحت السيطرة الفلسطينية بالفعل في الوقت الحالي . بينما سيتم التفاوض علي الجزء المتبقي، بينما فسر الفلسطينيون ذلك التفاهم علي أنه يقوم علي أساس إعادة كافة الأراضي التي تم احتلالها في ١٩٦٧ لمنظمة التحرير الفلسطينية، بينما ستتركز المفاوضات علي طرق نقل الأراضي الباقية.

إن هذا الأمر يرجعنا إلي المربع رقم واحد، فقد كان من الأفضل أن يقوم الاتفاق علي أسس أكثر وضوحا مثل "الفصل الديموجرافي عبر حدود مقبولة من قبل الطرفين "او علي الأقل تحديد أن القضية الأولي للتفاوض هو الاتفاق علي تفسير لقرار ٢٤٢.

الإشكالية الثانية في عملية أوسلو: هو الاعتماد علي سياسة المراحل والترحيل، ففي سبتمبر ١٩٩٣ لم يكن هناك بديلا عن العملية المراحل المؤقتة؛ فالأطراف لم تكن بعد مستعدة لمحادثات الوضع النهائي .ولكن علينا أن نعترف الآن أن مراحل أوسلو المؤقتة كان سبباً لفشلها؛ أكثر منها عاملاً لبناء الثقة والرخاء الاقتصادي، والذي تم تحطيمهما عبر انهيار العملية وعودة الهجمات بواسطة المتطرفين من كلا الجانبين.
هنا مرة أخري، فإن خطة بيريز - ابو علاء تعتمد علي سياسة المراحل، بينما تتضمن هدنة كاتساف هي الأخرى مخاطرة مرحلة العام الأول ولا تقدم شي بالنسبة لما يتبعه.

فالدرس الذي يمكن الاستفادة منه هنا هو انه يجب أن تكون العملية السياسية قائمة علي أساس وضع ترتيبات الوضع النهائي خلال فترة محددة زمنية وعبر أقل عدد ممكن من المراحل .فنحن لا ننكر انه حتى في أفضل الظروف فإن الحد الأدنى من الوقت والمراحل هو ضرورة من اجل الانتقال من الصراع إلي السلام، وهو الأمر الذي يأتي بنا إلى الدرس الثالث من أوسلو، وهي إنها لم تنشئ او تضع مراقبة من قبل طرف ثالث يقوم بالتحكيم، بحيث كان واضحا انه في حالة ظهور عدم اتفاق حول تفسير إعلان مبادئ أوسلو أو أسلو ٢، فان الطرفين لم يكن لديهما آلية للرجوع إليها لحل هذا الأمر، بينما هناك إشراف واضح علي اتفاق السلام المصري - الإسرائيلي في عام ١٩٧٩، وهو ما مكن الطرفين من إنهاء الفصل، وما أعقبها من حل الخلاف حول طابا عبر محكمة العدل الدولية بدون الإخلال بالسلام .بينما شهدت الحالة الإسرائيلية - الفلسطينية ونتيجة لعدم التوازن الواضح بين الطرفين تفاقم الخلافات حول تفسير الاتفاقات.

في هذا السياق ، فإن كل من خطط بيريز - أبو علاء وكاتساف، كان يجب أن تطرح وجود طرف ثالث يقوم بالتحكيم في حالة بروز أي خلافات حول تفسير الاتفاقات، سواء كان الولايات المتحدة أو أي طرف ثالث يتفق عليه .وهو ما قد يساهم في زيادة قدرة كلا الطرفين في النجاح في ظل الظروف الراهنة.

رؤية فلسطينية: المبادلة الإسرائيلية أولاً

غسان خطيب

مدير مركز القدس للإعلام والاتصالات.

بعد النجاح الواضح للفلسطينيين في تنفيذ وقف إطلاق النار ، وبعد مرور عدد من الأسابيع الهادئة تماما، استطاع فيها الجانب الفلسطيني أن يوقف تقريبا كافة أشكال الأنشطة المسلحة ضد الإسرائيليين، فإن الفلسطينيين باتوا ينتظرون الخطوة التالية .فمن وجهة النظر الفلسطينية فإن استمرار وصمود وقف إطلاق النار الحالي ممكن فقط في حالة بدء عملية سياسية، قادرة علي إعطاء الشعب الفلسطيني الأمل بأنه يمكن عبر مفاوضات سلمية إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي المحتلة.

فالفلسطينيين يعتبرون انه من الشاذ أن تستمر إسرائيل في القبض علي عشرات الفلسطينيين بحجة القيام بافعال إرهابية .فهناك اهمية واضحة للمبادلة الإسرائيلية .فالفلسطينيين يجب أن يتأكدوا أن وقف إطلاق النار ليس فعل من طرف واحد، وأن مبادرة الفلسطينيون سوف تؤدي إلى إنهاء العنف الإسرائيلي وإنهاء الحصار.

إلا أنه خلال الأسابيع القليلة الماضية من وقف إطلاق النار الفلسطيني، استمر الجيش الإسرائيلي في العمليات العدوانية في المناطق الفلسطينية، حيث ظلت الدبابات الإسرائيلية في مناطق تحت السيطرة الفلسطينية، وقيام قوات الجيش الإسرائيلي بغزو تلك الأراضي بشكل دوري بغية القتل والاعتقال وهدم المنازل .وكان أخر هذه الحوادث في غزة، حيث تم قتل ثلاثة صبية فلسطينيين .

أكثر من هذا ، استمرار السياسة الإسرائيلية الخاصة بتقيد حركة الفلسطينيين والحصار علي المدن الفلسطينية والذي استمر لما يزيد عن عام، علي الرغم من وقف إطلاق النار الناجح، كل هذه الأحداث جعلت الفلسطينيين يشكون في إمكانية استمرار وقف إطلاق النار.

وبينما جددت زيارة انتوني زيني "المبعوث الأمريكي للمنطقة "الآمال الفلسطينية ، إلا أنه غادر المنطقة بدون أي حديث حول استئناف العملية السياسية .بل أنه حتى لم يطرح جدول زمني لتنفيذ بنود تقرير ميتشيل، والذي تضمن إجراءات بناء الثقة المتبادلة، ووقف الأنشطة الاستيطانية الإسرائيلية، وتنفيذ الاتفاقات الإسرائيلية - الفلسطينية المؤقتة التى لم تنفذ بعد، واستئناف المباحثات حول قضايا الوضع النهائي .

فقط كرر زيني الطرح الإسرائيلي الخاص بأن وقف إطلاق النار الناجع لم يحدث بعد، وفشل في اقناع الحكومة الإسرائيلية بالحاجة للتقدم وتنفيذ استحقاقاتها المقررة في تقرير ميشيل .

إننا نري أن هذا الوقت هو الوقت المناسب لتواجد جهود أمريكية أو دولية أو الاثنين معا من أجل ملء الفراغ الراهن من خلال مبادرة سياسية .فهناك حاجة بالغة للبناء علي وقف إطلاق النار الحالي، والذي هو الأول من نوعه منذ بداية الانتفاضة منذ خمسة عشر شهرا . فلو أن هذا الفراغ لم يتم ملئه عبر مبادرة سياسية، فإن فرص نجاح رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون ستتعاظم مرة أخري في استئناف المواجهات بين الجانبين .وبدون نهاية للحصار الإسرائيلي والقيود الأخري، فإن السلطة الفلسطينية لن تكون قادرة علي الحفاظ علي موقفها وموقعها الحاليين .

رؤية إسرائيلية: إطار بيريز ـ أبو علاء:" اختبار للقيادة"

يوري سافير

رئيس مركز بيريز للسلام، وكان سابقا رئيسا للمفاوضين في اتفاقيات أوسلو وعضو بالكنيست

تتسم عملية التسوية الإسرائيلية ـ الفلسطينية بأنها دائما تحمل في جنباتها العديد من التناقضات: قبول ورفض متبادل، رغبة في الفصل مع جمود في الاحتلال، حلول وسط ضرورية مع جمود تقليدي. واليوم أكثر التناقضات صارخة هي أن كل من الرأي العام الإسرائيلي والفلسطيني اجهدا من الصراع، ومدركين تماما أن لا شئ سوف يحل عبر القوة بل يقبلون اليوم الحلول الوسط القصوى التي كانت غير متصورة عندما بدأت عملية أسلو.

فغالبية الإسرائيليين اليوم، سوف يقبلون بدولة فلسطينية علي كل أو جزء من حدود ١٩٦٧، حتى لو تضمن هذا بعض الحلول الوسط حول القدس والانسحاب من معظم المستوطنات، فقط لو أنهم أدركوا أن الطرف الأخر سوف يضع نهاية للصراع، وان هذا سوف يؤمن نهاية للإرهاب والعنف . في المقابل فغالبية الفلسطينيين سوف يناصرون التعايش السلمي مع إسرائيل واستئصال المنظمات الإرهابية مثل حماس والجهاد، لو أنهم اعتقدوا أن إسرائيل مستعدة بالفعل لمنح الفلسطينيين الاستقلال وإنهاء الاحتلال.

إن ما يجعل الصراع حي بل وخطير ليست المواقف المتطرفة للغالبية من المجتمعين، ولكن الشك المتأصل حول النيات الحقيقة للقادة من الطرف الأخر. فالفلسطينيين يعتقدون أن السلام بالنسبة لإسرائيل هو وسيلة أخري لاستمرار الاحتلال .ولمعظم الإسرائيليين فإن سلام الفلسطينيين يعني فقط استمرار الصراع وتنفيذ حق العودة.

فبمجرد وصول الطرفين بالفعل إلى الاستنتاجات الصحيحة حول مواقفهم الأساسية، تتحطم هذه الاستنتاجات علي صخرة الشك غير المنطقي بصدد الطرف الأخر .هذه هي بالتحديد النقطة التي يحتاجها القادة، وهي خلق معبر من الثقة .هذه هي بالتحديد نقطة الوصل التى بسببها الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون يفقدون فرصة تاريخية عظيمة في الوقت الراهن .فبدلا من تشويه القيادة الأخري، عليهم البدء بحوار لخلق الثقة المطلوبة، حيث أنه لا شئ سوف يحل عبر الصراع ونحن الاثنين نغرق في وضع لا طائل منه.

اليوم، ظهرت فرصة جديدة، وهي تفاهم بيريز ـ أبو علاء، والذي يخلق الإطار الضروري للعملية السياسية، والقائم علي القضاء علي الإرهاب وإعلان الدولة الفلسطينية، بالتوازي مع بدء المفاوضات حول قضايا الوضع النهائي في إطار جدول زمني محدد مدعوم من المجتمع الدولي .لو أن شارون وعرفات)إلي جانب الأمريكيين المشتركين في الحوار) لم يستخدموا هذه الأطر كأساس لإعادة الحوار بدلا من الحل بواسطة القوة، فإنهما لن يعكسا الحاجة من منظور شعوبهم بل رغبة الأصوليين.

هكذا سيحاكمهم شعوبهم، بل والتاريخ، فلو أن كليهما أو احد منهما تم قيادتهم بواسطة الخطاب الشعبوي أو الديماجوجي،، فإن السلام التاريخي الضروري سيتم فقده، فإن إسرائيل ستهزم بواسطة احتلالها للأراضي الفلسطينية، والفلسطينيون سيهزمون بواسطة تسامحهم مع العنف الأصولي.

إن "اختبار بيريز ـ أبو علاء "لا يتعلق فقط بكيف يمكننا العيش جنبا إلى جنب، ولكن أيضا كيف ستكون هويتنا المستقبلية .أن القيادتين وأصدقائنا الأمريكان عليهم الإجابة علي هذه الأسئلة القائمة علي الطرح الواضح الموجود بالفعل، خلال الأسابيع القادمة.

رؤية فلسطينية: الوهمي في الحل السياسي

حسن عصفور

وزير المنظمات غير الحكومية في السلطة الفلسطينية وعضو المجلس التشريعي الفلسطيني

نجح رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "أيهود باراك "كما لم ينجح احد من قبله، حتي القيادات اليمينية، في تحطيم البنية الأساسية لعملية التسوية ودفع إسرائيل تجاه التطرف السياسي .في نفس الوقت الذي نجح فيه في تحطيم معسكر السلام داخل إسرائيل، وتحويله إلي معسكر للمستسلمين، يدافع فقط عن نفسه بدلا أن يدافع عن مستقبل إسرائيل .وبعدها جاء آرييل شارون، الذي أعاد ما فعله باراك.

هنا أرغب في الإجابة علي سؤال: هل من الممكن في ظل الحكومة الإسرائيلية الراهنة الحصول علي تسوية تاريخية تقوم علي حل سياسي للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني يتضمن دولة فلسطينية في حدود يونيو ١٩٦٧ والقدس العربية كعاصمة لها وحل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين؟

بكل بساطة، فإن الجواب هي النفي، وأنا هنا أصر علي أن إجابتي بالنفي لا تقوم علي أساس إننا لا نحب شارون ورفاقه العنصريين.

بل أن استنتاجي هذا قائم علي أساس معرفة وتحليل رؤية شارون سياسيا وأيديولوجيا، كما أنها قائمة أيضا علي أساس أن السلام الحقيقي والذي يحتاج إلي مؤازرة كي يعيش ، ويجب أن تتوفر له عدد من الأسس. هذه الأسس قائمة في القرارات الدولية والقانون الدولي وهي الأسس التي وافقت عليه القيادة والشعب الفلسطينيين منذ سنوات عدة.

في هذا السياق، قد لا يكون هناك ضرر من اعادة التذكير بهذه الأسس :

المبدأ الأول : الإنهاء الكامل للاحتلال الإسرائيلي لكافة الأراضي المحتلة في ١٩٦٧ داخل أراضي ٤ يونيو بما فيها القدس العربية.

المبدأ الثاني: إنشاء الدولة الفلسطينية علي هذه الراضي جنبا إلي جنب إسرائيل، وليس علي حسابها. فيجب أن تكون الدولة الفلسطينية دولة حقيقية علي الأرض، تتمتع بسيادة كاملة وتحترم الاتفاقات والبلدان المجاورة.

المبدأ الثالث: الحل العادل لقضية اللاجئين الفلسطينيين ، علي أساس قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤، وهو المبدأ الذي تحول عبر بعض الإسرائيليين إلى "فزاعة "الإرهاب وتخويف إسرائيل من الوصول إلي حل سياسي .فبالنسبة لنا فإنه ليس بأي حال شرك لابتلاع إسرائيل ,إلا أنه باب يجب العبور منه من أجل الوصول إلى نهاية لقضية أساسية .فأنا لا اعتقد أن أي من المفاوضات التي تمت أعطت المفاوضين الإسرائيليين فكرة إننا نريد ابتلاع إسرائيل .فنحن لسنا بالسذاجة أو بالغباء للعب لعبة الأطفال "الاستغماية."

المبدأ الرابع: وهو مبدأ معقد ومتشابك، وقائم علي نفي عقلية الهيمنة في كافة أشكالها، والقائم علي أن التسوية التاريخية هو حدث تاريخي وليس شعار تاريخي، وان تدرك مكونات الحركة الصهيونية وبشكل خاص دولة إسرائيل، أن القوة العسكرية لن تنجح في تكسر إرادة الشعب الفلسطيني، مهما كان الدعم الأمريكي لها .فالعالم ارهق من الاحتلال ولن يقبل أكاذيب المحتل.

المبدأ الخامس: أن علي دولة إسرائيل أن تدرك أن الشعب الفلسطيني يرغبون في السلام (أكثر من أي شعب آخر في العالم)، وأن قرارهم هذا قرار استراتيجي وليسوا مجبرين عليه .حتى في أوقات المواجهات السياسية أو العسكرية ضد الاحتلال .فنحن مستمرين في الإيمانه بأن السلام والتعايش في إطار دولتين علي الأرض التاريخية لفلسطين هو الحل النهائي .وليس نوع من المراحل ولكن نهاية تاريخية.

هل تقبل إسرائيل هذا الحل؟ هذا ما علينا أن نثبته الآن، فإسرائيل لم تعلن بعد أنها تخلت كليا عن طموح الهيمنة، فهي لم تعلن بعد تخليها عن احتلال الشعب الفلسطيني وأراضيه . فإسرائيل تظل دولة لم تعرف بعد ما تريده من المنطقة التي تعيش فيها.

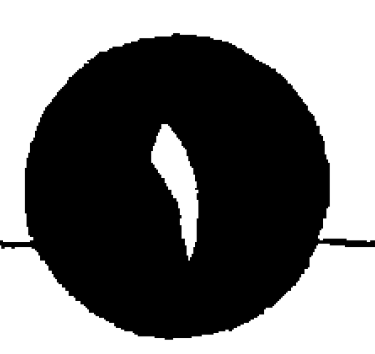
من هنا، هل شارون وحكومته أو حتى الحكومة آتي ستخلفه قادرة علي وضع "رؤية سياسية استراتيجية" للسلام الحقيقي؟ هل إسرائيل ، كمجتمع، معد لهذه الرؤية؟ الجواب بوضوح هو النفي.

في الوقت الراهن، تقدم لنا القيادات الإسرائيلية اجندتها .باختصار، فهم يخبروننا:" الشعب الفلسطيني لا يجب أن يأمل في رؤية نهاية لاحتلال الأراضي التي تم أخذها في ١٩٦٧. ولا سبيل لرؤية القدس العربية كجزء من أرضك الوطنية .فأنك لن تري ، خلال حكومتنا أو الحكومة القادمة .بالإضافة إلى هذا كله، فانه يمكنك أن تنسي للأبد أي حل عادل لقضية اللاجئين "هذه هي مكونات الرؤية الإسرائيلية للحل السياسي.

وفي التوازي مع هذه الرؤية، فإن الحكومة الحالية التي يقودها شارون تبرز دورها السياسي بتحطيم الوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني وللهوية الفلسطينية ، حيث لو رفضنا هذه الإجراءات سنصبح "إرهابيين" أو في بعض الأحيان "معادين للسامية "فالحكومة الإسرائيلية تخبرنا انه علينا أن نقبل ما تريده.

لو أننا لم نقبل الاحتلال ، فانهم يقولون أننا نريد تحطيم إسرائيل ، لو أننا لم نقبل بقاء القدس تحت سيادتها فهذا يعني أننا ننكر حقوقهم الدينية .لو أننا لم نقبل مستوطناتهم داخل أرضنا المحتلة، فسنعتبر إننا ننكر تاريخهم .ولو أننا لم نقبل إرهابهم وقتلهم لشعبنا فانه هنا نحن ننكر عليهم حق الدفاع عن أنفسهم.

علي الرغم من هذا فإننا لم نفقد بعد إيماننا بالسلام فإننا سنقاتل بكافة الوسائل بجانب أي إسرائيلي يرغب في الحياة علي أسس السلام الحقيقي، يقبل أننا لا يمكننا أن نولد علي الأسس التي تطرحها القيادة الإسرائيلية الحالية.



ضيوف على دولة اليهود

ملحق هاآرتس ١٩٩٦/٩/٢٧ - بقلم: يجال ماشيياح

قس ألماني، مُعلمة صينية، وفيزيائي مسلم من تركيا يدرسون في استوديو (ورشة عمل) بالجامعة العبرية . ما الذي عرفوه عن إسرائيل قبل مجيئهم ؟ وما الذي يعتقدونه عنها الآن ؟ إنها دعوة ثلاثية للمعرفة .

فيليب رينتسر، قس ألماني، يقول أشياء تثير الغيظ بابتسامة هزلية تصدر عن طفل شقي. " هناك مسيحيون ممن ينتقدون إسرائيل بسبب وضع الفلسطينيين " - يتحدث القس من خلال ابتسامة خفيفة "لكن تحت الاحتجاج المسيحي هذا تختفي معاداة معروفة للسامية " . ويبدو رينتسر في بنطلونه الجينز وبلوزة تريكو كطالب في ستوديو للطلاب الأجانب في الجامعة العبرية. "هناك قساوسة يسوعيون يرتدون مثلي، ملابس مدنية. هكذا ارتدي أيضا مع طائفتي في باريس" . وبهذه الصورة أيضا يقدم نفسه في إسرائيل: " قس يسوعي من باريس " .

أنت بالفعل قس ألماني يسوعي، ولدت في ألمانيا وتعلمت في ألمانيا . ولكن أين اختفت ألمانيا ؟

رينتسر يعود إلى نفس الابتسامة الماكرة: " كيف تريدني أن أقدم نفسي ؟ - صباح الخير، اسمي فيليب، قس يسوعي ألماني، لكنني علي ما يرام، عائلتي كانت محل مطاردة من قبل النازيين أيام الإبادة " . يواصل رينتسر دون أن تفارقه الابتسامة "في ألمانيا لم يعد أحد يهتم بتفاصيل ما جرى، خاصة الشباب. كل شئ طواه النسيان، لا ينبشون وراء أحد. أما بالنسبة لنا في العائلة، فالأمر كان دائما مختلفا، خاصة أمي وجدتي. منذ بدأت أتذكر وهم يقسمون ألمانيا إلي نازيين وغير نازيين. عندما أوشكت جدتي علي الموت أرسلوا إليها، حيث كانت في مصحة لكبار السن، قس بروتستانتي. طردته جدتي بصرخات مروعة، ابعدوا هذا النازي من هنا، ودعوني أموت في هدوء.

أنت تفهم بالطبع، الكنيسة الألمانية البروتستانتية استسلمت لهتلر وجدتي لم تسامح البروتستانت أبدا علي هذه السقطة، رغم أن زوجها، جدي، أعيد بعد الحرب بكل احترام وتبجيل إلي طائفته ومكانته. لقد افتقدت الكنيسة البروتستانتية الألمانية قساوسة شرفاء. كانت أمي تقول دائما أنه بفضل أختين لجدي تزوجتا يهود، اعتبروا في الطرف الثاني.

لقد جاء رينتسر إلى إسرائيل باعتباره مسيحيا مؤمنا، ليس من أجل الأماكن المقدسة بل من أجل الانطباع الشعوري لرؤية كيف يعيش مسلمون ويهود رغم دينهم في نهاية القرن. ويعتقد القس رينتسر "أن إقامة دولة إسرائيل، هو أكثر الأحداث إيجابية وأهمية في القرن العشرين" . وهو يحذر من أن ذلك ليس علاجا، ويذكر "قس يسوعي، لا يعمل كقس كاثوليكي عادي. أنا أعيش بين طائفة وأحرص علي العمل والمنح، لكن تلك ليست طائفتي. ليس لي كنيسة تجتمع بها الطائفة يوم الأحد لأبثهم مواعظي" .

لقد أخذ هذه النظرية معه في رحلته إلي إسرائيل. أراد أن يفهم المكان. فالآثار والدروس لا تعنيه كثيرا، ولكن كان من الصعب أن يجد شركاء له في الانطباع. "إنني اسكن في نزل للشباب في القدس، مقر مسيحي للحجاج ، قساوسة، أساتذة في اللاهوت. جميعهم هناك يعيشون في عالم روحاني ما، نقي، منعزل تماما عن الحياة اليومية. ليس هناك من أتحدث إليه. لقد التقيت بمتدينين يهود وتعجبت كثيرا، أنهم مجموعة من الناس في نهاية القرن العشرين مازالوا يقيمون بورع ودون وساطة شرائع الدين. لكن لا أجد من أتحاور معه. المسيحيون الطيبون في نزل الشباب لا يتعاملون مع

متدينين يهود، والعلمانيون عندكم يسخرون منهم، والمتدينون عندكم لا يتحدثون مع قس مسيحي عن اليهودية والمتدينين فيها. والنتيجة؟ عزلة كبيرة ".

صورة إسرائيل طبقا لفيليب رينتسر، الدكتور في الفلسفة، والقس الذي يرتدي الجينز، لا تسعد الإسرائيليين العلمانيين، يقول: " الأوروبيون فخورون إلى حد كبير بفصل الدين عن الدولة " - وبابتسامته الخفيفة يواصل - "هذا الفصل اصبح اتفاقا اجتماعيا، ورمزا لتقدم سياسي. هنا في إسرائيل، في القدس بصفة خاصة، يبدو أن الفصل بين الدين والدولة مازال بلا حل، وهذا الصراع يجعلني مندهشا.

بالنسبة لي فهو شئ مفزع للغاية .. وبالنسبة لي مدهش وعجيب، على الأقل كظاهرة، كمادة لدراسة فكرية ".

القس رينتسر خبير بالفعل في رمزية شارع بار إيلان، لكنه لا يريد أن يعرب عن رأيه. أنه موضوع يهودي داخلي في رأيه، ورغم ذلك فلا يستطيع أن يخفي انفعاله مما يحدث في مسيرات يوم السبت . يهود يحتجون ضد يهود، وبشهادته فإن ذلك تعنتاً دينياً ليعود ويسيطر على حياة العلمنة كما كان الحال في قرون سابقة. " في أوروبا اصبحوا على ثقة بأن تداخل الدين والدولة هو أسلوب الحياة في العصور الوسطى، وأنتم تحاولون إعادة ذلك إلى حياة القرن العشرين ".

لسنا جميعا، لأن هذا يغضب جداً الكثير منا.

"نعم، أنتم غير متسامحين هنا ".

وللتدليل، أورد رينتسر عدة قصص شخصية من واقع حياته في القدس.

في أحد الأيام قابلت في الأتوبيس يهوديا لطيفا. لم يقدم رينتسر نفسه كمسيحي،

"حتى أطيل فترة اللطف التي يبدونها لتتكلم وتتبادل الحديث". لكن عندما بدأ الاثنان يمسكان بموضوع ما وصل الأتوبيس إلى المحطة، ولم يتوقف رينتسر. نزل اليهودي، بعد أن ألح على القس أن يأتي عنده لتناول العشاء. وكان القس متشوقا إلى مزيد من التعارف على الشعب، اشترى زهور وذهب. كانت الوليمة عامرة. ساد الحوار بينه وبين مضيفيه دفء مقدسي تقليدي إلى أن سمعت ربة البيت أن الضيف من باريس.

"من باريس؟ لماذا لم تقل. عندي شابة رائعة يمكن أن تتعرف عليك في باريس"، ولمزيد من الاطمئنان أضافت السيدة: " فيليب أنت يهودي طبعا ". قال رينتسر: "للأسف، أنا قس يسوعي". منذ هذه اللحظة تغيرت الأمسية وضعف الحوار وبات الجميع يتجنب إظهار شعور الرفض والتجاهل. وتولد لدى القس شعور بأنه دون أن يعرف قد أساء إلى مضيفيه الطيبين، بأن خدعهم. " في القدس أشعر انه لكي أكون على خلق يجب أن أسارع وأقدم نفسي كمسيحي ".

=ولماذا يرتبط ذلك بالاستقامة أو الأخلاق؟

- لأنه كما أبدو، شاب يرتدي الجينز، يمكن الاعتقاد بأنني يهودي أمريكي أو أوروبي، وفي مدينة كهذه فالأمر غير لائق. لذلك فأنا لا أعرف نفسي في بداية المقابلة. فذلك سخف، والتزمت وسائل مبتكرة لحث الآخرين على التحاور. ومن اللحظة التي أبدو فيها على حقيقتي كمسيحي يتغير الأمر، وإذا كنت مسيحيا في إسرائيل، فأنت موسوم. جميعهم لطفاء معك، ثقافيا، لكنك موسوم، ضيف لا أكثر. وأنا احترم ذلك ولكن من الصعب أن تكون ضيفا طوال الوقت".

في إحدى الأمسيات دُعي رينتسر لزيارة أحدهم. قال المضيف: " نحن علمانيون ليبراليون تماما، لكني مضطر للاعتراف بأنه إذا تزوجت ابنتي من مسيحي فستكون كارثة ". ولم يفهم رينتسر جمعية الضيوف هذه "يدعونك إلى البيت بود وحميمية وبعد ذلك يستهزئون بك ".

ولديه ذخيرة غنية من قصص عزومات إسرائيلية. عندما وصل إلى القدس تأثر ببرنامج الحلقة الدراسية. "كأنك في سلسلة مقابلات مفتوحة لكل مهتم باليهودية. عندما اتضح أنني مسيحي صُدموا جميعا. لكنني يجب أن أوضح للفصل لماذا أنا مسيحي، وأنا مهتم بالموضوع. فالمرء لا يعتقد أن هناك أمراً ما يستحق الاحتقار ".

" إنك تبدو لي محظوظا "، قلت لرينتسر بعد انتهاء الدرس في الاستديو. وأجابني القس "أريدك أن تفهم" ولأول مرة دون أي فكاهة، "أنت تأتي إلى إسرائيل بمشاعر حب ظاهرة تجاه اليهود واليهودية، تصطدم بتجاهل ورفض منمق وفجأة تجد نفسك داخل الصراع. أو أنك تقابل تجاهل مباشر أو لا تصادفه. بمنتهى البساطة. إذا كنت مسيحيا فأنك معزول. وبصفة عامة، عزلة المسيحيين في إسرائيل تبدو لي كسياسة رسمية. الأديرة المسيحية معزولة تماما في إسرائيل. الآثار المسيحية عليها حراسة ولا أكثر من ذلك. كل ذلك بعيد عن الحياة اليومية في إسرائيل. إنني على ثقة أنه ليس هناك أمر رسمي: الأمر يبدو وكأنه سياسة غير مكتوبة، أن تنعزل الطائفة المسيحية، والإبقاء علينا في مستوى الضيوف، وحراس على أماكن مقدسة وآثار تاريخية. فقط بعد ما وصلت إلى إسرائيل فهمت للمرة الأولى معنى مقولة دولة اليهود ".

الحمص هذا ليس طعام:

في المقابلة مع وانج يو، طالبة متدربة في الاستوديو من الصين، وصلت متأخرة. اعتذرت، وردت يو كذلك باعتذار مماثل، ربما بسبب شعور عدم الارتياح الذي سببته لي بدقة مواعيدها. وانج يو على خلاف القس رينتسر، تعيش في عالم بلا عيوب أو أخطاء. وعندما أشرت إلى بعض نواحي قصور محتملة عندنا وفي الصين، أوجدت لها على الفور مبرراً لائقاً. وانج يو لا تقول كلام حاد أو لاذع. بدأت بسرعة استشعر أنها مقابلة صحفية ينقصها شئ ما. بدأت بمحاولة الاعتذار

عن أسئلتي ولكن أدركت سريعا أن هذا التكتيك لا يلائم وانج لأنها بعد كل اعتذار أو إعراب عن أسف ، كانت تسارع أيضاً وتأسف هي علي أسفي.

وانج يو جاءت مبعوثة من قبل وزارة الخارجية الصينية للتعلم في مدرسة للطلاب الأجانب في الجامعة العبرية، "في بكين تعلمت أربع سنوات اللغة العبرية عليَّ لسان معلمين إسرائيليين بدأت بالعبرية، حتى اقف علي ما تعلمته هناك "ردت علي بعبرية متدفقة، مثقفة ، الأمر الذي أصابني بدوار.

= كيف تصورت إسرائيل وأنت بالصين ؟

- تصورت في مخيلتي بلداً جميلاً، متطور للغاية، بها مشكلات كثيرة واختلافات بالرأي داخل الشعب، بين فئات الشعب نفسه.

= وكيف وجدتيها ؟

- وجدت بلداً جميلاً متطوراً جدا وبه الكثير من المشاكل.

= ألم تجدي أي فارق بين الصورة والواقع ؟

- ترددت وانج يو. لا بأس في إسرائيل الجميع مهتمون بالسياسة.

= وفي الصين ؟

- في الصين ليس الجميع معنيون بالسياسة.

= لأنه موضوع حساس في الصين؟

- لا ، لأنه بعيد عنا .

= كان لدي انطباع ، بناء علي ما حدث في ميدان تيانانمن، أن الطلاب الصينيين بالذات نشطاء جدا في السياسة، لدرجة انهم مستعدون لتعريض حياتهم للخطر.

"يمكننا أن نعبر عن رأينا "أوضحت وانج يو بابتسامة غير مفهومة، لكن ذلك لا يفيد. طلاب القانون ربما يهتمون اكثر بالسياسة. بالنسبة لطلاب لغات أجنبية فالسياسة أمر بعيد عنهم، غير مفيد.

= ما معني غير مفهوم؟

- "أن لا طائل من ورائه " قالتها وانج بعبرية طلقة.

= هل تشعرين بحرية في إسرائيل؟

- بمنتهى الحرية، طبعا إسرائيل بلد الحرية.

= وفي الصين ؟ سألت، ومن تعبير وجهها فهمت أنني تجاوزت كل قواعد الضيافة واللباقة.

"لكل مواطن صيني حرية تعبير، ولكن لا يجوز أن تضر حرية التعبير بمصالح الدولة، فالحرية لها حدود " .

= وما هي هذه الحدود؟

- وانج يو تستعين بمثال: " قرأت مقاأل عن شاب إسرائيلي أفشى لصحيفة أجنبية أسرار دولة إسرائيل لا أتذكر إسمه ".

= موردخاي فانونو؟

- نعم، فانونو، تضحك وانج يو، "أتري، في إسرائيل أيضا هناك حد للحرية. يجب ان نأخذ الدولة في الاعتبار ".

وانج يو، مُعلمة في قسم دروس اللغة العبرية في جامعة بكين وقد بعثتها وزارة الخارجية الصينية، وتقوم دولة إسرائيل والجامعة العبرية بتمويل مدة إقامتها: راتب التعليم، السكن، ومصاريف الإعاشة. لقد توقفت يو عن الخروج بانطباعات من التصرفات الإسرائيلية. " الجميع متسرعون هنا، يسعون إلى هدف ما. في الصين المعلم قريب من التلميذ ويهتم بحياته الشخصية، في إسرائيل يعلمون فقط من أجل التعليم، كل شئ عن بعد. وهي تفتقد أيضا البشاشة الصينية، خاصة في الشارع، حتى البائعين في المحلات يعملون بغضب، بلا ابتسامة. وانج تتعجب، وفورا تتنبه للانتقاد الذي تبديه. لا أقول أن هذا ليس علي ما يرام، ولكن لو يبتسم البائعون أكثر، عموما، جميعهم يدورون ويلفون في إسرائيل بنوع من الغضب أو الهياج أو التوتر، وكأنهم في سبيل القيام بمهمة عاجلة، وما من شئ يوقفهم" .

وعندما قالت أنها تفتقد بالأساس الأكل الصيني في إسرائيل، أوضحت لها أن الحمص يدخل في إطار الأكلات الصينية، فأصرت علي أن الحمص ليس أكلا صينيا، بل يدخل في تحضير أنواع أخري من الأطعمة.

سكاكين وقنابل :

عندما هبط عبد الكريم بلجي في مطار اللد أحاطوه بإجراءات سريعة. دققت الشرطة في جواز سفره، ثم في وجهه، طلبت منه أن ينتحى جانبا وينتظر. بعد ذلك حضر شخص كئيب، أخذه إلى حجرة جانبية وبدأ تحقيقا عابراً. من أين جئت؟ قابلت من في الطريق؟ ما هي ميولك وآراؤك السياسية ؟ ولماذا يرغب فيزيائي تركي مسلم متدين في تعلم العبرية في القدس ؟.

أصبحت نموذجا مناسبا للمسافر المتهم أو المشكوك فيه، يوضح بلجي بتسامح. " مسلم، شاب يتحدث الإنجليزية، له وجه أوروبي. بمجرد أن عبرت فحص الجوازات وهم يطاردونني بالضبط كما حذروني في بلدي ".

عبد الكريم بلجي، خريج جامعة البوسفور، حاصل علي الدرجة العلمية الأولى في الفيزياء، يرغب في أن يحقق الرسالة الإنسانية للإسلام، لذلك جاء لإسرائيل، حتى يساهم بشيء ما في ملتقي الأديان الثلاثة. وقد تم قبوله لدراسات الشرق الأوسط بالجامعة العبرية ولدورة كورسات كاملة في الدراسات الدينية. في الصيف تعلم بجد ومثابرة بالحضور. في الاستوديو تعلم العبرية التي تدرس في المدارس للطلاب الأجانب. وبعد أن قضى شهرين في القدس فإنه مازال يشعر بالفجوة بين ما قصُّوه عيله في تركيا عن إسرائيل وبين إسرائيل التي لقيها .

"قالوا لي أنني سأعيش هنا بين سكاكين وقنابل. إنني اشعر في القدس بأمان أكثر مما في اسطنبول. قالوا لي سأكون هنا غريبا طوال الوقت، فوجدت هنا تسامحا دينيا أكثر بكثير مما في تركيا " .

= ألا تبالغ ؟

- أنت لا تعرف أن المسلمين مثلي مطاردون في تركيا ؟

= اعتقدت أن العملية تحولت و٣٦ان الدين عاد لتركيا، مع وجود حزب إسلامي في السلطة؟

- في تركيا هناك معركة دائرة بين العلمانيين والدينيين، ومؤسسات السلطة، كالجيش والجامعات يحاولون تجنب ذلك. عندما طلبت الحصول علي درجتي العلمية الثانية في جامعة البوسفور رفضوني، فقط لأنني مسلم . لم يكن هذا هو السبب الرسمي، لكنه كان السبب الحقيقي. وهاهنا في إسرائيل، دولة يهودية، يقبلونني كمسلم متدين من تركيا كي أنهي دراسات الدرجة العلمية الثانية. أليس ذلك عجيباً؟" .

لقد شعر بلجي في الدوائر الأكاديمية العلمانية في تركيا أنه ينتمي إلي أقلية محل ملاحقة" . في هذه الدوائر يعتبر كل مظهر ديني في الحياة اليومية مثار سخرية، مادة للتسلية والتنكيت. الذقون والشوارب مثلا تعتبر في تركيا العلمانية رمزاً بدائياً . ولا يرد في ذهن أي شخص في دوائر النخبة المثقفة أن يربي شاربه أو ذقنه. هذه الظاهرة لا أجدها هنا ، فالمثقف أو رجل الدولة يمكنه أن يربي ذقنه أو شاربه كيفما يشاء.

عبد الكريم بلجي يحبنا . أغلب الوقت يتحدث وكأنه مبعوث علي مستوى عال للوكالة اليهودية. " تصورت إسرائيل علي صورة الطائفة اليهودية في تركيا "، وضع يده علي الألم ، انعزاليون، متحفظون ، معنيون فقط بأنفسهم وبالمال ، لا يظهرون أي اهتمام بالبلد الذي يعيشون فيه، غرباء في تركيا . الطائفة اليهودية في تركيا تصدر جريدة، فقط للمشتركين. اشتركت فيها . وما الذي وجدته في هذه الجريدة؟ مجرد حكايات وأخبار عن حياة الطائفة اليهودية، أشياء تعني الطائفة وحدها، ليست بها ولو حتى كلمة عن البلد الذي يعيشون فيه . طلبت ذات مرة أن أكون مدعوا علي الطائفة اليهودية ليلة السبت ونهاره، أن اذهب مع إحدى الأسر إلي الكنيس واشترك معهم في استقبال السبت . فرفضوا .

في يوم صلاة الاحتجاج التي حضرها ياسر عرفات في المسجد الأقصى ذهب بلجي للصلاة. اعتقدت شرطة حرس الحدود انه يهودي . بعد أن فحصوا جواز سفره سمحوا له بالدخول، دون أسئلة أخري. أما الحراس العرب بالذات فقد عاملوه بشكل مختلف. فقد بدا لهم انه أوروبي، له ملامح يهودي اشكنازي. وطلب منه أحد الحراس جواز سفره. لكن ذلك لم يقنع الآخرين. وفي هذا المأزق بدا يتلو عليهم آيات من القرآن. عندئذ فقط أدخلوه.

بعد حوار طويل بدا لي عبد الكريم بلجي كأصولي مسلم في إطار إنساني، رجل التحولات. ولكن اتضح أن بلجي قد اصطدم كذلك بجوانب لا تقل سوءا في الحياة بإسرائيل .. في الشارع عندما يسمعون أنني من تركيا، يتوقفون ويبدأون الغناء لي بالتركية "أوستمام ببجام "، تعلمت أن اصبر علي ذلك. لم أسمع في تركيا أبدا مثل هذه الأغنية. وهنا سجلوها علي ما يبدو، من أحد إعلانات الصابون علي قنوات تركية فضائية. (الأب يريد تزويج ابنته لكنها تريد الزواج من حبيبها) هكذا تقول الأغنية، فأوستمام ببجام بالتركية تعني أبي لا أريد . قوانينكم حديثة لكن قسما من الإسرائيليين يعيش في قرن آخر. السفارديم لديكم مازالوا يعيشون في تركيا العثمانية. صحيح كنا نحن الأتراك كذلك هناك، ولكن تغيرنا . أما السفارديم لديكم فلم يتغيروا . ربما تلك هي تهمة إسرائيل الاشكنازية فيبدو أنكم لا تريدون لهم أن يتقدموا .

= لم تقض فقط سوي شهور في إسرائيل وهاأنت قد تأثرت بشرائط الكاسيت؟

- تأثرت في الطائرة وفي الطريق هنا، تحدثت مع يهودية واحدة نصحتني ألا افصح عن أني تركي. بهذه الجبهة البيضاء مثل جبهتي ، أوضحت لي، يمكنني أن امضي باعتباري يهودي أشكنازي . هذا افضل في إسرائيل. في تركيا اعتقدت أنكم تمثلون الحداثة، الأمر لم يكن هكذا بالضبط، ركبت الأتوبيس، السائق المسكين نسي الوقوف في محطة، كادوا يقتلونه، أي عنف هذا، طبعا ظللت صامتا مذهولا ، كل ما في الأمر أن المسكين نسي أن يقف في محطة. وفي المحطة التالية وقف بالطبع. نزل الركاب وهم مازالوا يسبونه ويشتمونه ملوحين بحركات بأيديهم.

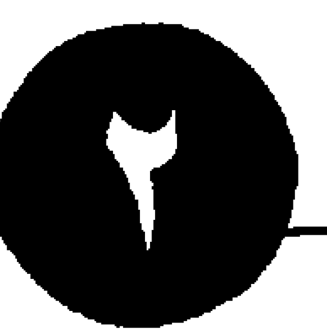
في متحف تل أبيب رأيت مجموعة نساء يجلسن للراحة علي تماثيل معدة وكأنها مقاعد، حتى جاءت المرشدة وطردتهن بعد أن عنفتهن. في الحدائق العامة يتبولون، أمر عادي. لقد رأيت أمهات شابات يقمن بتعرية أطفالهن الصغار ويساعدونهم علي التبول علانية . القدس العربية تمتلئ بالأوساخ. حتى لو افترضنا أن العرب قذرون، لماذا لا تنظف البلدية هناك كما تنظف في القدس اليهودية؟

= ضيف مسلم يتحدث هكذا عن العرب؟

- الشيء الوحيد المشترك لنا مع العرب هو الدين. من الصعب أن يتقبل الأتراك حقيقة أن محمداً النبي كان عربياً . فدائما يحاولون إلباسه شيئا تركيا ما، لكنها خزعبلات . محمد النبي كان عربياً .

= ما الأمر عندما تعود لتركيا بدرجة أكاديمية من جامعة إسرائيلية؟ تقول أن المؤسسة هناك تتنكر للمسلمين.

- هذا صحيح، ولكن من ناحية أخري، فالمؤسسة الرسمية توقر وتقدر إسرائيل تماما . فدرجة علمية من إسرائيل ستكون جواز مرور بالنسبة لي. كما أنني أمول دراستي وإقامتي في إسرائيل بمالي الخاص. ففي المستقبل عندما يعلو شأن الإسلام ويبدأون بالتحري وراء كل فرد، أريد أن يكون واضحا أنني لم احصل علي درجتي العلمية الثانية بأموال من دولة إسرائيل.



الخط الأصفر

ملحق هاآرتس ١٩٩٧/١/٢٤ ـ بقلم: جدعون ليفي

" هذا الأسبوع هبط ياسر عرفات من السماء علي سكان الخليل، إلا أن الفرحة لم تتجاوز أسفل مبني الإدارة . وفي الوقت الذي أعلن فيه تحرير المدينة ، مر طفل فلسطيني في شارع الشُهدا القريب دون أن يلوح بالعلم - خوفا من المستوطنين ورجال الشرطة والجنود الإسرائيليين " .

هناك ما هو أكثر من القوة في الزعماء الذين يهبطون من السماء. لدقائق طويلة دارت وحلقت طائرتان مروحيتان في سماء المدينة آخذتان في الهبوط رويدا رويدا في شكل دائري وأخذ صوتهما يتخافت ، حتى أصبحت الصورة واضحة . فبينما كانت الهليكوبتر معلقة فوق رؤوس الجماهير انطلقت الزغاريد والأهازيج تسجل مظاهر فرح بالمدينة وروح معنوية عالية وقامات منتصبة علي الأقل للحظة واحدة : لحظة الهبوط .

هبط ياسر عرفات هذا الأسبوع علي أرض الخليل ، علي أسفلت المهبط المجاور لمقر السلطة . فحتى وقت غير بعيد كان عمداء جيش الدفاع فقط هم الذين يهبطون هنا. وقبل عدة دقائق من الهبوط ، غسل رجال إطفاء المدينة المهبط وأبعدوا عنه التراب بخراطيم المياه مخلفين وراءهم بركا من الطين . ولكن الآن ، ودون علامات تميز الهليكوبتر الرئاسية ودون سجادة حمراء ، ينزل عرفات من الهليكوبتر، ينتقل إلي المرسيدس ، وبينما يظهر من سقفها تمضي السيارة وسط الجمهور الذي كان برمته من اتباعه إلي مدينة ينتمي غالبيتها فقط إليه . في نفس الوقت ، في "ميدان جاروس "علي بعد عشر دقائق سيرا علي الأقدام من مكان الاحتفال ، جلس بضع عشرات من رجال الشرطة والجنود الإسرائيليين يملأهم الضجر وهم يبللون خبزا مقطعا في مزيج غير واضح ، يبدو أنه غداؤهم .

ومن شرفة مبني السلطة قال عرفات : " حررنا الخليل "بعد أن كان ٢٠ ألف نسمة من سكان المدينة تحت الاحتلال الإسرائيلي . في شارع الشُهدا القريب طوى طفل فلسطيني صغير علمه عندما مر راكبا فوق دراجته بين المستوطنين وجنود كثيرين ، وعندما تبين الطفل أن مصوري العالم يصوبون كاميراتهم نحوه قرر أن يضع روحه علي كفه ، فرد العلم وركب دراجته وانطلق بأقصى سرعة وسط الشارع ، وخلال دقائق اختفي في إحدى الحارات في منطقة H-1 التي يمكنه فيها السير بأمان وفخر رافعا العلم بألوانه : الأحمر - الأسود - الأخضر فوق دراجته. عندئذ ظهر شاب مستوطن في شارع الشهدا ، ونزل إلى نهر الشارع باتجاه الميدان وعلم إسرائيل في يده . ويبدو لي أن الطريقة التي مشي بها ملوحا بالعلم كانت أكثر ترددا وأقل غرورا .

خط أصفر أرشدنا إلى طريق مبني السلطة في المدينة التي تتسم بالضجيج والزخرفة ، كان جيش الدفاع الإسرائيلي قد وضعه كعلامة على طريق الهرب والإنقاذ في المدينة الدموية : وهو ممتد علي طول الطرق في بعض شوارع المدينة وحواريها ، ويؤدي من كل مكان إلى مبني السلطة . والآن الخط باهت اللون.

بالقرب من واجهات محلات قطع الأثاث البلاستيكية التي تحتوي مئات الكراسي عديمة المسند هناك سلعة جديدة : عدة أعلام فلسطينية.

لم يكن هناك طابور مشترين . كانت أيام شهر رمضان ، والخليل الدينية تستعد لوجبة الإفطار التي تقام يوميا حوالي الساعة الخامسة عند أذان المغرب. في هذه الأثناء ، تملأ الطرق المؤدية لمبني السلطة صفوف فتيات المدارس. كان اليوم باردا ، وهن يمشين بسرعة بفساتينهن الخضراء المقلمة وبأحذيتهن السوداء. وظهرن بعد ذلك أيضا، بزحام عند مكان عرفات، كبقعة في بحر من الرجال .

في الساحة المقابلة لمبني السلطة يستعدون لمجيء عرفات وكان الضجيج والزحام كثيراً. وجاء بيان من شرفة المبني يعلن أن الطفل حسين محمود يبحث عن والده. ظل يبكي وآثار البرد ظاهرة علي خديه ، وأخذ ينتقل من شرطي إلي آخر وهم لا يعرفون ماذا يفعلون به ، حتى ظهر أبوه فابتسم حسين ابتسامة سعادة وارتياح . كانت هذه الابتسامة في تصوري هي الابتسامة الصريحة الوحيدة التي رأيتها في ذلك اليوم بالخليل .

عواجيز جبل الخليل ، بعضهم من البدو، يتذكرون . بينما هم جالسون علي الكافيتريات والمقاهي القريبة من المبني، يرسلون نظرات غير مكترثة علي ما يحدث . أنهم شاهدوا الكثير في حياتهم : هذا المبني بناه المستعمرون البريطانيون قلعة مسورة ، بقع الصدأ تنتظم عليها ، الطابع الإرهابي يطوق أبعادها: الهوائيات ، المداخن ، وصهاريج المياه السوداء فوق سطحها تضيف إلى رصيد كآبتها. العواجيز يوجهون نظرهن : ها هنا كانت حجرات السجن وهناك شعبة التحقيقات التابعة لجهاز الأمن العام (شاباك). وهنا ، انتظروا ساعات في طابور الحصول علي تصريح وهناك كانوا محبوسين . أمام مبني السلطة يقبع مبني من طابق واحد، كان في السابق مكتب العمل المحلي، وللعبور من مبني العمل لمبني السلطة كان علي سكان الخليل الالتفاف حول المنطقة ، وهي منطقة سير محمية ، أما الآن فبوسعهم اختراق الطريق مباشرة عابرين إياه دون إزعاج من هنا إلى هناك في دقيقة واحدة . لقد تحررت الخليل .

أحد ضباط الشرطة ضخم الهيئة عابس الوجه ، بيده عصا حمراء ، يؤنب الأفراد الذين تحت إمرته. يبدو لي أن أي شرطي هنا ليست لديه خبرة بعد في تأمين الشخصيات. لذلك فالتوتر يتصاعد . اكتشاف : هناك حشد من أطفال الكشافة بالمدينة وشعارهم للعجب العجاب هو نفس الرمز أو الشارة التي يرتديها أطفال شبيبة "أفيف "عندنا . وأفراد الكشافة الخليلية يمشون في موكب ، بطبولهم ومزاميرهم . الأحذية فقط كانت بالية وتشي أقدام بعضهم بالفقر الشديد .

سيارة إسعاف حديثة تابعة لبلدية بيت لحم . هدية من الاتحاد الأوروبي . تقف علي أهبة الاستعداد . لكن الجميع يعرفون أنه إذا حدث شئ لا قدر الله هنا يتسم بالخطورة فلن يكون أمام سيارة الإسعاف إلا تضليل من يستقلونها داخل حدود السلطة الفلسطينية . فالمستشفيات الحديثة توجد فقط في إسرائيل بعد ما يقرب من ٣٠ سنة احتلال إسرائيلي وسنتين حكم ذاتي فلسطيني . سيارات جيب من نوع "دفيندر لندروفر "تحمل جنوداً مسلحين ، تخترق الجمهور وتضع ملصقات حتى علي نوافذها. والشعار الأجوف "أي جيش أجنبي لن يعبر نهر الأردن "تثير ابتسامة مريرة . " هذا المبني يرمز إلى التعذيب والتحقيقات والاحتلال الإسرائيلي " هكذا قال مرافق الصحفيين المحلي لمرافقته الإنجليزية التي تسجل بجدية كل كلمة .

" أهلا بالخليليين ، أهلا بقوات الأمن ، أهلا بالصحفيين ، أهلا بالسكان ، أهلا بأهالي القرى وأهلا بكل الموجودين في المكان وبكل من يسمعنا "بيان السلطة الذي بثه شيورام بينور علي القناة الثانية ويصفه بأنه " نشيد الحميمية لعرفات " . السكان المحليون يعرفون جميعا بينور . مراسل إخباري . ويكنون له احتراما. مستقبل مدينتهم يعرفونه جيدا ، انه مازال معلقا بما قيل في قناة بينور أكثر مما قيل في قناة رضوان عياش الفلسطينية ، الذي ظهر هو الآخر هنا اليوم . وقد سألت بينور متى في رأيه ستمتلئ من جديد زنزانات السجن الكبير الموجود خلف هذا المبني بمعتقلين فلسطينيين ، فحكى لي أن سجن الضهرية القريب من المكان لم يعد به مكان تقريباً. والجملة المحلية " كيفك .. بخير" لحياة أبو عمار، هي النور في أعين فتيات وفتيان الكشافة كما ترجموها لي، أنها تبث الحياة في الناس.

على المهبط المبلل ينتظر القوم: أغنياء المدينة ، ونبلاؤها وقادتها وعلي رأسهم جبريل الرجوب الذي أعلن راديو إسرائيل أنه انتقل ليسكن في المدينة . وبصرف النظر ، فستكون له فيها بالتأكيد أعمال كبيرة . كذلك صائب عريقات الذي يتمشى بالمهبط كعريس في يوم عرسه ويقترب مرة بعد أخري من طابور الصحفيين ليجروا معه مقابلة عبر شبكة أو أخرى.

علي جانب ، بقليل من الخجل ، يقف محمد ملحم ، رئيس بلدية حلحول المطرود : رجل قصير القامة ، يشبه ممثلي هوليوود الكبار، بيده سبحة عنبرية . وكان رئيس بلدية الخليل المعزول فهد قواسمة قد مات في المنفي .

ومحمد ملحم الذي عاد يقف الآن مرتديا بدلة أرجوانية ، علي هامش طابور الكبراء ، أربعة قضاة شرعيين يصعدون إلي مكان الانتظار بينهم واحد أعرج. يقول صديقي سامي سوكول أن بينهم تيسير التميمي رئيس المحاكم الشرعية في الضفة ، بالإضافة إلى رجل دين مسيحي بصحبة صليب عملاق جاء ليستقبل الزعيم .

تجاوزت الساعة الثانية عشرة ولم نر شيئا في السماء ، علي أسطح المنازل يقف معظم الناس للتلويح ، كما رأينا في شارع بن يهودا في تل أبيب أيام العروض العسكرية في الخمسينيات والستينيات. في الساعة ٤٥.١٢ ظهرت الطائرات المروحية آتية من الشمال. أصوات وصفافير تصدر من الجمهور. مروحيتان بيضاوان لهم ، وواحدة داكنة لنا. عين الأخت الكبرى تراقب ، فحتى عندما حلقت المروحيات الفلسطينية فوق الجمهور وهبطت ، استمرت المروحية التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي في المراقبة من أعلي ، والدخان يرسم علامة للطيارين باتجاه طريق الهبوط . سألت نفسي هل سيُقبل الأرض ، لكنه نزل ونقل بسرعة إلي المرسيدس ، ثم شق طريقه إلى مبني السلطة وسط الضجيج الذي تخلف حوله ، علي خلاف كل الاستعدادات الأمنية. وبالنسبة لمن لم ير عرفات عن قرب بقي الآن فقط ليحاول الوصول إلى إحدى المروحيتين تستقبله أكاليل الغار. أعضاء طاقم الطيران نظفوا في هذه الأثناء مقدمة المروحية الرئاسية ، في وضع استعداد للطلعة القادمة .

من شرفة مقر السلطة بدأ عرفات خطاب التحرير ، الذي بدا أكثر استرضاءً من خطبه السابقة . " نتانياهو سلام مضمون "هكذا كتب علي نافذة أحد أتوبيسات الخليل التي نقلت المستقبلين إلى هنا . " هناك شئ مختلف اليوم "قالها السائق محمد عبدان عند المعبر المتهالك . وصوت فلسطين يذيع علي الهواء خطاب السلام الذي يلقيه الرئيس بينما يلقي السائق عبدان خطابه الخاص عن السلام: إننا نستمع الآن إلي صوت فلسطين ، وكذلك صوت إسرائيل علي ما يرام ، لكن صوت فلسطين تخصنا ، أنهم في كريات أربع يشاهدون عرفات الآن. تصور . إنهم يشاهدون عرفات . نحن نريد السلام من كل قلبنا لكنهم (المستوطنين) لا يريدونه ، لقد جاءوا إلى الخليل من أمريكا ولم يكونوا سكانا هنا. انهم ليسوا اليهود الطيبين الذين كانوا يسكنون هنا. أحيانا تمر فتاة منهم في السوق ويقدمها تضرب الخضار فتقلبه.

عملت في عدة مناطق ، لمدة خمس سنوات في بيت شيمش ، وعملت في عميدر، استقبلت المهاجرين الجدد من روسيا ، جهزت لهم المنازل . قبل الانتفاضة ، كنت علي ما يرام مع السلطة وأقول لكل الإسرائيليين : الحرب لن تفعل أي شئ . الحرب نهاية العالم ، لا أكثر من طرف لديه القوة وآخر ليس بحوزته قوة . وإذا وضعت أمرا ما في رأسك – فأنت في النهاية تحصل عليه .

خمس دقائق سفر وينتهي العالم القديم . جنود جيش الدفاع يجلسون أمام حاجز عند مدخل شارع الشهدا ويفتشون العابرين ، الأمور تمضي كالمعتاد . كل المدينة تواقة للحدث والشهدا في وسطها خِال. المدينة كلها مزدانة وهنا فقط صمت مطبق. كُتبَ على حاجز جيش الدفاع "ذئاب "جوارب عديدة سوداء وبيضاء معلقة لتجف فوق بيت هداسا. داخل القاعدة العسكرية القريبة ونش عملاق تابع لشركة "بيت واحد "يضع خرسانة مسلحة ، في حين يقف المستوطن بن زيمرا في "ميدان جاروس "ينتظر إجراء مقابلة لمن يرغب في القيام بها معه.

عضو الكنيست بني ألون يقول بالإنجليزية لتليفزيون أجنبي انه بشكل شخصي يشعر بالخجل ." رئيس حكومة إسرائيل خيب أملنا ، لكن لدينا رئيس حكومة في السماء "ذلك ما قاله ابن النائب العام ، بينما الفلسطينيون الكثيرون الذين يعبرون الميدان يسرعون إلى وليمتهم الاحتفالية .

مستوطنة عجوز بطاقية صوف وبلكنة أمريكية ، صدمت زوجها منذ قليل سيارة أحد سكان الخليل ، تسب الشرطي الإسرائيلي لأنه تجرأ فأخذ متعلقات زوجها ، بينما الفلسطيني ينظر متعجباً .

١

المسار الفلسطيني

شارون ضد مبادرات الوفاق

هاآرتس ٢٠٠٢/١/٢
مقال افتتاحي

في إجراء يفتقر إلي المنطقية، قرر رئيس الوزراء آريئيل شارون منع مثول رئيس الدولة موشيه كاتساف أمام البرلمان الفلسطيني في رام الله. كان الرئيس سيعرب عن الأسف لموت ضحايا أبرياء من الجانبين ويعرض علي الفلسطينيين هدنة لمدة عام، مع إمكانية مد العمل بها لعام آخر. ويقول أصحاب المبادرة بهذا الإجراء، إن روح الموضوع مقبولة لدي كتساف ورئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات. ولكن الرئيس اشترط ذهابه بموافقة رئيس الوزراء. وما أن نشر هذا الكلام حتي رفضه شارون من أساسه.

ولا يمكن تفسير مثول رئيس الدولة أمام البرلمان الفلسطيني إلا كمبادرة وفاق فالرئيس ليس بمسؤول سياسي ومثوله لايعني تغيير في سياسة الحكومة. وليس في الاقتراح المطروح ما من شأنه المساس بالمواقف الأساسية لإسرائيل. فالاتجاه إلي الجهاز المنوط سوف يؤتي ثماره - سواء بتعزيز ظاهرة وقف إطلاق النار وتشجيع المسار السياسي أو في خلق شرعية متبادلة وإزالة الكراهية التي تغذي الأعمال العدائية.

إن رفض شارون لهذه المبادرة يضاف إلي سلسلة من الخطوات التي اتخذها حتي يؤكد رأيه القائل بأن (عرفات غير مؤثر): مثل منع زيارة عرفات لبيت لحم واحتجازه الطويل في مدينة رام الله، والنظرة الرافضة لمحادثات شيمون بيريز مع عرفات أو ممثليه، والتنكر لأي مشروع أو مسودة أو حتي فكرة لدفع العملية السياسية، ومساندته لوزير الأمن الداخلي الذي منع اجتماع أعد له ساري نسيبه في القدس لمندوبي الدول الأجنبية.

لا يمكن تفسير كل هذه الإجراءات علي أنها رغبة فقط في ممارسة الضغط علي عرفات من أجل ارغامه علي وقف الإرهاب فمن الصعب أن نتفهم الغرض من الجهود الرامية الي تحويل عرفات إلي. غير مؤثر في الوقت الذي تراه الإدارة الأمريكية ودول أوروبا علي وجه الخصوص شريكا في أي عملية سياسية.

لو كان شارون يطرح مشروعا واقعياً كبديل لأفكار بيريز وأبو علاء. ولو كان يعلن عن استعداده لتجميد بناء المستوطنات كجزء لا يتجزأ من تقرير ميتشل، أو كان يستأنف الاتصالات السياسية في مبادرته إزاء التراجع الملحوظ في عدد الاعتداءات ولربما نجح في أن يقنعنا بصدق نواياه. ولكن عندما يحرص علي بناء سياج محكم حول أي مبادرة أو فكرة سياسية، ورفضه كذلك لأي مبادرة لا تنطوي علي أي مخاطرة بأمن الدولة أو الوضع السياسي لإسرائيل، فلا مفر من التساؤل عن نوايا شارون، الرجل الذي وعد بتحقيق السلام والأمن.

جريمة ضد أبرياء

جريدة هاآرتس
٢٠٠٢/١/١٣
بقلم: جدعون ليفي

إن عمليات العقاب التي نفذتها إسرائيل في نهاية هذا الأسبوع في قطاع غزة ، وخاصة الهدم الجماعي لمنازل في رفح ليلة الخميس ، هي جريمة حرب . ففي جنح التعتيم الإعلامي الإسرائيلي حولت جرافات جيش الدفاع الإسرائيلي "المنازل إلى صحراء" كما قال عبر الهاتف (م) من سكان رفح .

وإذا كان جزء من الرأي العام الإسرائيلي قد تزلزل ذات مرة بسبب هدم بيت أسرة أحد المخربين ودارت نقاشات حول عدالة الفعل ، فإن إسرائيل تهدم الآن مئات المنازل لمواطنين ليس بينهم وبين الإرهاب أي علاقات أسرية - ولا أحد يفغر فاه .

هل نحن ، الإسرائيليون ، قادرون بشكل عام علي تخيل شعور أناس تظهر الجرافات في جنح الليل وتدمر كل ما لديهم ، أمام أعينهم وعيون أطفالهم ؟ وهل وضع متخذو القرارات في اعتبارهم الكراهية التي يزرعونها في قلوب الأطفال الذين يرون منازلهم تهدم ؟ وماذا سيكون مصير هؤلاء الأناس البؤساء الذين يحيوا حياة بائسة في أحد مخيمات اللاجئين الأكثر فقراً ؟ أين سيقضون الليالي الباردة ؟ وماذا كان جرمهم ؟ صحيح أن رفح هي حصن حماس ، التي ليس للسلطة الفلسطينية تأثير كبير عليها ، لكن هل يبرر هذا شن حرب علي كل مواطن في المدينة ؟

لقد هدم جيش الدفاع الإسرائيلي في مخيم رفح للاجئين ، حسب تقديرات (الأونروا) ٥٤ منزلا تاركا ٥١٠ فلسطينيين بدون مأوي ، وطبقا "للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان ، فإن عدد المشردين الجدد يقدر بـ ٧٠٠ فلسطيني ، وأضيفت بيوتهم إلى حوالي ٢٠٠ بيت سبق وأن هدمتها إسرائيل العام الماضي . وحتى لو صحت رواية المتحدث بإسم جيش الدفاع الإسرائيلي ، الذي زعم بأن "بضعة بيوت " قد هدمت ، ثم اعترف بعد ذلك بأن " بعض البيوت كانت مركبة "ولذا هُدمت ، فإن الأمر يظل متعلقا بفعل وحشي وغير مبرر.

إن هدم البيوت في رفح قد جاء انتقاما لمقتل أربعة جنود من موقع "افريكا " والإمساك بسفينة الأسلحة "كارين A" ، وإن لم تبد ثمة أدنى علاقة بين ضحايا الهدم وبين هاتين العمليتين .

وحتى لو كانت رواية جيش الدفاع الإسرائيلي القائلة بأن هذه المنازل وفرت ملاذا للفلسطينيين الذين أطلقوا النار علي جيش الدفاع الإسرائيلي وبأن فتحاتها استخدمت ربما لشق أنفاق لتهريب السلاح من مصر صحيحة ، فإن الأمر لا يمكن أن يبرر هدمها .

إن هدم منازل المدنيين هو من الأفعال التي لا ينبغي للدولة أن تقوم بها بأي حال من الأحوال . والدولة التي تعارض الإرهاب ضد المدنيين لا يحق لها أن تهدم بيوت مدنيين أبرياء وتزعم في نفس الوقت بأن هذا ليس فعلا إرهابياً . إن الانطباع السائد . بعد هذا الحادث . جسد مظهراً آخر من مظاهر الحاجة الإسرائيلية إلى " الرد "دائماً ، والعقاب ، أو بالأحرى الانتقام ، حتى لو لم يكن للفعل أي مبرر أخلاقي أو حتى فطنة سياسية.

إن إسرائيل تتصرف الآن في قطاع غزة كما تتصرف في داخلها ، تهدم المطار ثم تسمح بإعادة بنائه ، وتصادر عشرات قوارب الصيد التي تمثل مصدر رزق نادر في المنطقة ، وتهدم بيوتا بالجملة . ويصادق علي أفعالها ليس فقط وزراء اليمين المتطرفون ، وإنما أيضاً وزراء العمل المعتدلون وعلى رأسهم وزير الدفاع بنيامين بن اليعازر ووزير الخارجية شيمون بيريز ، اللذين سيضطران في يوم من الأيام إلى دفع الثمن بسبب بقائهما في حكومة كهذه، وبسبب الدور الذي أدياه في عمليات من نوع ما حدث في رفح .

أيضاً فإن الضباط والجنود الذين شاركوا في عملية الهدم الحقيرة لن يستطيعوا بعد غسل أيديهم وتنظيفها ، بحجة أنهم فقط ينفذون أوامر. ما الذي يروونه لأسرهم عن هذا اليوم الذي هدموا فيه عشرات الأكواخ (البيوت الهزيلة)، وما الذي سوف يروونه مستقبلا لأطفالهم ؟

في اجتماع كتلة سلام (جوش شال)الذي عقد الأسبوع الماضي في تل أبيب دعا العقيد (احتياط) يجئال شوحط . طيار مقاتل سابق . رفاقه في سلاح الجو إلى رفض الأمر، لأنهم بمشاركتهم في عمليات القصف والتصفية الجسدية إنما ينفذون جرائم حرب .

"هذه أيام مقرفة " كما كتب هنا منذ أسبوع الأديب ديفيد جروسمان في تطرقه إلي قضية سفينة الأسلحة . وعملية العقاب التي قام بها جيش الدفاع الإسرائيلي رداً علي هذه القضية تعطي ملاحظة الأديب اليائسة أهمية مضاعفة .

توقيت سيئ وعدم تنسيق

هاآرتس ١٨ / ١ / ٢٠٠٢
بقلم: زئيف شيف

كان سوء التوقيت هو العامل المشترك لثلاثة أحداث وقعت هذا الأسبوع. هذه الأحداث هى القضاء على زعيم التنظيم رائد الكرمى فى طولكرم، وهدم الحى السكنى فى مخيم اللاجئين برفح وهدم تسعة منازل فى القدس الشرقية. أن تحديد توقيت مناسب لتنفيذ إجراء معين هو شرط مسبق لنجاح الاستراتيجية ونتيجة التوقيت السيئ هو الإضرار بأهداف استراتيجية أكثر أهمية.

مما لا شك فيه أن رائد الكرمى كان يستحق الموت. ذات مرة أخرج "المقاتل الحر" "هذا مواطنين إسرائيلية من مطعم كانوا يجلسون فيه، وقتلهم بدم بارد، بل وتباهى بهذا العمل. إلا أن التوقيت الحالى يثير علاقات استفهام. منذ ثلاثة أسابيع طرأ هدوء على عمليات العنف، بما فى ذلك منطقة طولكرم. قت الكرمى سوف يؤدى على الفور إلى موجة من الاعتداءات على سبيل الانتقام، ومرة أخرى سيضطر جيش الدفاع لأن يحاصر طولكرم. لقد لقى أربعة إسرائيليين مصرعهم الواحد تلو الآخر، وانتهى الهدوء. لا يكفى القول بأن كانت هناك تحذيرات بوقوع عمليات إرهابية. لقد جاءت معلومات واضحة، بأن الرجل يعد لعملية إرهابية بنفسه، مما برر القيام بعملية الاغتيال، ولكن لم يقل أحد ذلك. من الطبيعى أن يسأل الكثيرون، هل إسرائيل مهتمة حقا بتحقيق الهدوء؟

لم يكن النقد بسبب هدم الحى السكنى فى مخيم اللاجئين برفح لمنع إجهاض تهريب السلاح عبر الإنفاق من رفح التى فى سيناء إلى رفح الفلسطينية. لا جدال حول ضرورة إغلاق الحدود الدولية بين إسرائيل (وليس المناطق) وبين مصر، وهى منطقة ليس بها مستوطنات. هذا الصراع مستمر منذ فترة، ودائما ما عرفت إسرائيل كيف تضع فى الحسبان الاعتبارات السياسية فى هذا المكان. مثلا، لا أحد يفكر فى هدم منازل فى رفح المصرية، حيث تبدأ الإنفاق ومن هناك يتم تهريب السلاح.

كان من الواضح، أن هدم عشرات المنازل فى مخيم اللاجئين سوف يركز الاهتمام الدولى ويثير النقد بسبب الجانب الإنسانى. لقد تعلمنا هذا فى الانتفاضة الأولى. القصة الكلاسيكية تظهر فى كتاب المدعى العسكرى السابق امنون سترشنوف، "العدالة تحت النار"، عندما تقرر هدم حوالى ١٥٠ منزلا فى مخيم للاجئين على طول كيلو متر. كانت الحجة هى مذبحة وقعت فى ٢٠ /١٩٩٠/٩ لجندى الاحتياط الرقيب أمنون فومرنتس، الذى ضل طريقه والذى قتل رجما بالحجارة والحرق. قبل العملية حضر إلى المكان رئيس هيئة الأركان دان شومرون والمدعى العام العسكرى سترشنوف. بعد جدل شديد وإعلان سترشنوف أنه سيجد صعوبة فى توفير الحماية القانونية للعملية، تم تخفيض عدد المنازل التى سيتم هدمها إلى عشرة منازل، تم إغلاق بعضها فقط. ليس واضحا، هل فى الاجتماع الذى تم فيه التصديق على العملية فى مخيم رفح شارك المدعى العسكرى، اللواء مناحم فنلكشتاين، الذى يحضر اجتماعات هيئة الأركان، أو رئيس فرع القانون الدولى، العقيد دانيا رايزنر؟ لقد كسبنا استراتيجيا عندما اتستطعنا جذب انظار العالم إلي عمليات تهريب السلاح التي يأمر بها عرفات بالتعاون مع إيران، ولكن هذا المكسب سرعان ماتبدد بسبب سوء التوقيت لعملية هدم المنازل في مخيم رفح حيث جذبت هذه الاعمال انظار الدنيا بعيدا عن قضية تهريب السلاح، وحدث الأمر ذاته بسبب أوامر هدم منازل الفلسطينيين في القدس الشرقية، .. وفي ظل ذلك كله يجب أن نتساءل عن كيفية التنسيق داخلالحكومة وهل يتم هذا التنسيق بصورة تخدم أهداف إسرائيل.

عبء قطاع غزة

هاآرتس ٢٠٠٢/١/١٨
مقال افتتاحي

إلى جانب القرارات النابعة من تخصيص المخصصات المالية، وزيادة أعباء الضرائب وتعمق العجز فى ميزانية الدولة، ينوى جيش الدفاع أن يخصص هذا العام مبلغ مقداره ٢٥٠ مليون شيكل لتحسين النظام الدفاعى فى قطاع غزة وما حولها. بالأمس نقلت الصحيفة عن مسئول عسكرى كبير، أن حوالى مائة مليون شيكل من هذا المبلغ سوف تستخدم فى تحسين الجدار المحيط بالقطاع.

سوف يخصص نصيب الأسد لتحسين الحماية لمواقع جيش الدفاع فى جوش قطيف وفي شمال القطاع، لإقامة مواقع جديدة ولبناء جدار الكترونى يحيط بالمستوطنات فى المنطقة. هذه الميزانية الإضافية تنضم إلى مليارات الجنيهات التى تدفعها دولة إسرائيل منذ سنوات لحماية أقل من ألفى أسرة إسرائيلية تقيم فى قطاع غزة. أن ضرورة الحفاظ على حياة المستوطنين الذين أقاموا – تحت تأثير سياسة قصيرة النظر – منازلهم وحقولهم فى قلب تجمع جماهيرى فلسطينى يضم أكثر من مليون نسمة، يجعلهم أغلى مواطنين فى الدولة. أن انفصال المستوطنات عن إسرائيل يقتضى من جيش الدفاع تخصيص قوات

كبيرة لتوفير الحماية الإقليمية والمحافظة على محاور الطرق.

أن الوجود الإسرائيلي فى قطاع غزة، وهي من أكثر المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة فى العالم، يعبر بوضوح عن غباء سياسة احتلال المناطق. لقد صودرت ربع أراضي الفلسطينيين من أجل المستوطنات الإسرائيلية ومعسكرات الجيش. من أجل إتاحة حرية الحركة للمستوطنين وحماية حقولهم أضطر الجيش لأن يحد من تحركات الجيران الفلسطينيين، وهدم منازلهم، واقتلاع مزارعهم التى على جوانب الطرق. فى حوار أجراه مؤخرا مع أحدي المجلات، قال رئيس الإدراة المدنية فى الضفة الغربية، العميد رون سدكا، أن مثل هذه العمليات تزيد من الكراهية لإسرائيل ومن أعمال العنف ضد مواطنيها. لقد عاد رئيس الوزراء أريئيل شارون وكرر هذا الأسبوع استعداده "لتقديم تنازلات مؤلمة من اجل السلام الحقيقى" فإذا كان قطاع غزة لا يدخل ضمن هذه التنازلات، فما هى التنازلات التى يقصدها رئيس الوزراء؟ إن قطاع غزة لا يدخل ضمن "مناطق الأمن". التى يريد إبقاء السيطرة الإسرائيلية عليها فى إطار "تسوية مرحلية طويلة الأجل". مثل الانسحاب من لبنان، فإن الخروج من قطاع غزة ليست مسألة مبدأ، وإنما مسألة توقيت. على النقيض من المناطق المحتلة فى الضفة الغربية وعلى النقيض من القدس الشرقية، فإن القطاع ليس بمثابة (ورقة مساومة) فى المفاوضات. من المعروف للجميع، أن إسرائيل، مثل مصر فى حينها، لا يهمها تحمل مسئولية إعاشة السكان الفلسطينيين المكدسين والفقراء فى غزة.

بناءا على ذلك ليس هناك أدنى منطق فى الاستمرار فى عملية تطوير المستوطنات فى المنطقة. كلما بكرت إسرائيل فى الابتعاد عن هناك، وأن والمساندة من الخارج لمشروعات التعمير والتشغيل، فسوف تنقذ حياة بشرية وتبتعد عن الكراهية وإنفاق لا لزوم له. فى الوقت الذى يطلب فيه مواطنوا النقب الدعم، والقطاع العربى فى إسرائيل يصرخ طالبا التنمية، والجمهور الحريدى قد نضبت مواعينة والعاطلون والمعوقون يصارعون من أجل حقهم فى الحياة باحترام، فإن من الغباء مواصلة إنفاق أموال حيوية على الحماية فى رمال غزة.

من حسن الحظ أن بوش ليس كلينتون

معاريف ٢٠٠٢/١/٢٣

بقلم: يوسف حاريف

(الرئيس الأمريكي يعتبر رئيس السلطة منتهيا)

خلال زيارته لإسرائيل امتنع بيل كلينتون عن التطرق إلى موضوع المفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل التي تمت تحت اشرافه وكل ما قاله هو أن (عرفات اضاع فرصة ذهبية للسلام). هذه حقيقة، ولكنها ليست كل الحقيقة. فكلينتون هو الذى اضاع فرصة صنع السلام لأنه اتاح لعرفات أن يخدعه. لم يعرف ببساطة أنه يدير مفاوضات مع زبون مقعد اسمه عرفات دون أن لم يشعر أنه كلما اقترب منه، فإن هذا يزيد من صلابة موقفه.

يمكن أن يقال لصالح كلينتون أن الإسرائيليين، شلومو بن عامي وايهود باراك، قد سببا له البلبلة عندما فاجأوه بتقديم تنازلات كبيرة وبخاصة تقسيم القدس. ولكنه إذا تباهى بأن يكون الوسيط وصانع السلام، كان يجب أن يقتصر خطواته بحذر ويعرف كيف يضع عرفات في حجمه الحقيقي.

لقد قال ليندون جونسون، الذى كان يحكم في فترة حرب الأيام الستة، للملك حسين (عليك أن تضع في الحسبان أن ما كان لديك، لن يصبح لك)، أى: لا تتوقع إعادة كل المناطق، عليك أن تتوصل إلى حل اقليمي. لو عرف كلينتون كيف يتحدث مع عرفات، لامكن التحرر من الوهم بأنه يستطيع الحصول علي كل المناطق والقدس الشرقية، وكذلك تنفيذ حق العودة للاجئين.

دائما ما يقول عرفات أنه يجب التشدد مع الأمريكيين وفي النهاية سوف يستجيبون لك. اسلوب كلينتون زرع في نفسه الوهم بأنه في النهاية سوف يحقق مطلبه فعلا. كلينتون شخص يتمتع بمقومات الزعامة ومهذب وفنان في الحديث ويستحوذ علي المحيطين به بسحره الشخصي ولكنه ايضا ساذج ولا يشعر أحيانا بأنه يتدني باسلوب المفاوضات. هذا ما حدث في لقاءاته مع حافظ الأسد، وكذلك مع عرفات.

لقد وصفوا جورج بوش الابن بعدم الذكاء ومحدودتي ثقافته، ذو شخصية غامضة وفشله في الرئاسة مضمون. وفجأة ظهر بوش كشخص عملي وشجاع، يحظى حاليا بشعبية جارفة في الولايات المتحدة، بل وتطغى علي تلك التي كانت لكلينتون. أنه يتصرف مثلما ينبغي لرئيس أكبر واقوي دولة في العالم، وليس بذلك التراخي المتردد الذى اصطبغ به كلينتون.

يقول سياسيون ومعلقون في واشنطن أنه لو كان كلينتون هو الرئيس في الحادي عشر من سبتمبر، لتهرب ومن المشكوك فيه أنه كان سيقوم بتصفية الارهاب في افغانستان. نفس الشئ بالنسبة للإرهاب الذي يمارسه عرفات، لقد حاول بوش في خطواته الأولية أن يتقرب منه، أعلن صراحة بأنه من حق الفلسطينيين دولة مستقلة، ولكن من لحظة أن ادرك أن عرفات يحاول خداعه، أنهي اللعبة. فقد تم اغلاق ابواب البيت الابيض في وجهه وقيل له أنه لن تكون هناك مفاوضات طالما لم يقضي علي المنظمات الإرهابية الفلسطينية. لن يصل بوش إلى وضع يضيع فيه عرفات فرصة ذهبية للسلام. فهو لن يمنحه هذه الفرصة. في نظر بوش، عرفات لا يتجه للسلام، وهو منتهي.

٢

سفينة الأسلحة

سفينة إنقاذ شارون

معاريف ٧/١/٢٠٠٢
بقلم: شالوم يروشليمي

(فليطمئن زعماء الليكود والعمل .. لقد دفنت السفينة كارين A العملية السياسية مؤقتا وجمعت فيما بينهم).

كان أمس الأحد واحداً من أسعد أيام رئيس الوزراء منذ فوزه بانتخابات ١٧ فبراير، فقد منحته عملية ضبط سفينة الأسلحة (كارين A) مصداقية أمنية ومبرراً للتكتيك السياسي الذي يتبعه. فقد انتابته حالة من الرضاء التام أثناء اجتماع الحكومة، عندما قال (إن هذه السفينة تكشف النقاب عن إرهاب السلطة الفلسطينية). ففي المساء صعد على سطح السفينة الراسية في إيلات بصحبة وزير الدفاع ورئيس الأركان، حتى يكشفوا أمام العالم الوجه الفلسطيني على حقيقته. إنها حقا خبطة إعلامية يستطيع شارون من خلالها اليوم القول بأنه لا قيمة لوقف إطلاق النار مع ياسر عرفات لأنه ليس الرجل الذي يمكن التوصل معه إلى اتفاقات أو حتى هدنة، لأن الهدنة وما يستتبعها من هدوء في المناطق يمكن أن يأتي في سياق المناورة من أجل تنفيذ عمليات التهريب الكبيرة للأسلحة. وإذا قال أحد اتباع شارون أن فكرة انتقال الرئيس كاتساف إلى رام الله كانت فكرة غبية، فهو محق تماما، فكيف كان سيبدو اليوم فخامة الرئيس - حسبما يقولون في مكتب شارون - بعد أن وقف أمام المجلس التشريعي الفلسطيني وهو يصافح بحرارة لأول مرة رجل يقوم بتسليح منظماته بقذائف الكاتيوشا ؟

لقد أنقذت السفينة التي تم القبض عليها حكومة شارون من عواصف ائتلافية. فقد أقام وزير الدفاع فؤاد بن اليعازر - الزعيم الجديد لحزب العمل - احتفالا بفوزه عشية السبت. قال بن اليعازر مشيدا بجيش الدفاع والكوماندو البحري (إن ضبط هذه الأسلحة أمر مدهش بكل المقاييس). هل هناك من يستطيع في لحظة كهذه أن يفكر في الأفق السياسي ؟ حتى شيمون بيريز الذي كان في الحفل اعترف أن قضية السفينة ستؤثر على ثقتنا في عرفات. باختصار، فإن شارون وفؤاد يستطيعان الشعور بالراحة الآن، فقد جمعت بينهما سفينة المخربين جيدا، وأوثقت الأحزمة حول المقعد المشترك، وأبعدت إلى الهوامش مشاكل مشتعلة مثل الميزانية وإضراب المعاقين وقانون النقب. وهناك أيضاً سبب آخر للاحتفال لدى بن اليعازر، فخلال عشرين يوما سوف يجتمع مركز حزب العمل لبحث طلب يوسي بيلين وزملائه بالخروج من الحكومة على الفور. فقد جاءت قضية السفينة لتضعف من موقف مؤيدي الانسحاب من الحكومة، وتجعل الملصقات القوية التي علقوها في الشوارع (في ١٧ يناير سننسحب من الحكومة) بمثابة تهديد في غير محله. رغم ذلك يجب أن نتذكر أن السلطة الفلسطينية لن تختفي، فمحاولة التهريب تدل علي أنها لن توافق أبدا علي إقامة دولة منزوعة السلاح، وسوف تستمر محاولات التسليح إلى الأبد. فالاتفاقيات مع السلطة حتى التي ستبدو وكأنها التسوية الدائمة ستظل دائما محل خرق وتغيير من الجانبين، كما يبدو أن المشاكل الكبرى ستظل معلقة بيننا وبينهم مثل القدس واللاجئين، اللتين ستمثلان سبب الانفجار الكبير. إن المطلوب - وبلا خيار - هو البحث المستمر عن الهدوء من خلال الخروج من هدنة إلي أخرى، حتى لو دعا رئيس الأركان موفاز في اجتماع الحكومة إلى (الرد الاستراتيجي) في مواجهة السلطة الفلسطينية.

قال يوليوس قيصر بجوار نهر الريبكون (مازال بأيدينا أن نعود، ولكن إذا عبرنا هذا الجسر الصغير، سندع كل شئ لحسم السلاح). نتمنى ألا نصل إلي هذا الحسم.

أربع ملاحظات علي الوضع

معاآرتس ٢٠٠٢/١/١٢
بقلم: يوئيل ماركوس

١ - عضو الكنيست تسفي هاندل ليس وحده الذي لا يحب اليهود ، بل هناك أيضاً وزير خارجية إيران الذي حال دون تعيين سفير بريطاني من أصل يهودي . والفرق بينهما يكمن في أن الإيراني لا يجرؤ علي وصف السفير البريطاني الجديد بأنه "يهودي قزم" ، في حين مسموح لعضو كنيست يهودي أن يصف سفير يهودي من المحافظين علي الوصايا والمحبين لإسرائيل بهذا الوصف . ولو كان قد حدث عكس ذلك لما بقي السفير ٢٤ ساعة في إسرائيل . ووقاحة المعادي للسامية لدينا تكمن ليس فقط في هذا الوصف الهجومي، ولكن أيضاً في التنديد بتدخل السفير في الشؤون الداخلية لإسرائيل ، ونحن نعرف أن إسرائيل بمفوضياتها المختلفة تتدخل بدون خجل في الشؤون الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية وفي قرارات الحكومة وتحريض الرأي العام والكونجرس ضد الرئيس لخدمة مصالحها وهي التي تحدد من الذي ينتخب في الكونجرس . كل ذلك باستثناء حقيقة هامة وهي أن إسرائيل تعيش وتقوي عسكريا واقتصاديا منذ ثلاثين عاماً علي حساب دافع الضرائب الأمريكي ، ونحن في حاجة إلي قدر كبير من الوقاحة لنقول لهم أنه ليس من حقهم التدخل .

٢ - هذه السفينة ذات حظ سيء ، فقد كانت توشك علي إتمام عملية ناجحة ولكن فجأة ظهر لها كثير من الآباء في حين انتهى بها الحال إلى اليتم . وتنفس شارون وبن اليعازر الصعداء والتقطت لهما الصور وهما يعانقان مدفع هاون قطره ١٢٠ ملليمتر تماما مثل الزوجين السعيدين اللذين يصحبان ابنهما إلي ليلة عرسه. وقد عرفنا من خلال التقارير حول هذه العملية أن شارون هو الذي أدارها وأن بن اليعازر كان يشرف من مكتبه وأن رئيس الأركان يشرف من الجو بطائرة القيادة من طراز بوينج. وبعد ذلك أقاموا احتفالا كبيراً في إيلات وكأنهم اعترضوا صهاريج من فيروس الجمرة الخبيثة وصناديق تحتوي علي اليورانيوم المخصب. وكان حجم خيبة الأمل مثل خيبة الشعور بالنصر - ولماذا خيبة الأمل .. لأن هذه العملية الرائعة وجدت رد فعل غير مبال من جانب العالم أجمع .

ولم يدرك آباء النجاح أن الدولة النووية التي تملك آلاف الدبابات ومئات الطائرات وصواريخ عابرة للقارات وصواريخ مضادة للصواريخ تثير ضجة بسبب ٥٠ طنا من المعدات العسكرية (وزن دبابة واحدة) فإن هذا شيئاً مثير للسخرية.. في حين أن وسائل الإعلام للأسف الشديد لم تركز علي جيش الدفاع العظيم أو سلاح البحرية الإسرائيلي ، إنما ركزت علي غلام يبلغ من العمر ١٥ عاما اقتحم بطائرته أحد المباني في ميامي .. فهو الشيء الذي يهم العالم الآن .

٣ - نشر عنوان كبير في صحيفة معاريف يقول: " إن العالم كله ضدنا " . ونحن نجد صعوبة في استيعاب حقيقة أننا لم نعد نبدو مثل داود في مواجهة جوليات ولكن العكس هو الصحيح . وربما يكون الحق معنا إلا أن نظرة العالم لنا تجعلنا نبدو علي أننا قوة احتلال وأن الفلسطينيين خاضعين لهذا الاحتلال ، وماذا كنا نعتقد .. أنهم غير مزودين بالسلاح ؟ لقد كنا نحن هناك قبل إقامة الدولة وتأكدنا من أن هناك بعض الأمور لا تستطيع حتى دولة عظمى أن توقفها . فقد صادر لنا البريطانيون شحنات من السلاح واكتشفوا ورش ومصانع كاملة لإنتاج الأسلحة وطردوا رؤساء المنظمات الإرهابية التابعة لنا إلي السجون في إريتريا وفرضوا علينا الحصار والتطويق وحظر التجول . وماذا حدث .. هل لم نقم دولتنا في نهاية الأمر ؟

٤ - نفترض أننا كنا جالسين أمام التليفزيون ونسمع أن شرطة سريلانكا ضبطت سفينة أسلحة تابعة للمتمردين التاميل ، هل كنا سنجلس فاغرين أفواهنا ؟ هل نسقط من فوق المقاعد ؟ المشكلة هي أننا لم نستوعب حتى الآن حقيقة أنه منذ الحادي عشر من سبتمبر نحى الصراع في المنطقة جانبا لصالح جدول أعمال أمريكي يتركز الآن حول الخليج العربي وأفغانستان وباكستان والهند والعراق واليمن والمنظمة الإرهابية الكبيرة التي خلفها بن لادن وراءه ، فليس لدي الحكومة الأمريكية حل للصراع الذي نخوضه . ونظراً لأنها لا ترغب في الإعلان عن عرفات كإرهابي، الأمر الذي يحد من تأييد الدول العربية الصديقة لها، ونظراً لأن شارون لم يطرح أي مبادرة للحل ، فإن كل ما تريده الحكومة الأمريكية هو الحفاظ على الصراع علي نار هادئة شريطة ألا نزعجها ونعرقل تحقيق أهدافها الهامة في هذه اللحظة. وفي المقابل ، لدينا رئيس وزراء أدلي بكثير من الوعود ولم ينفذها حيث يحافظ على جدول أعمال قومي يهدف إلى الإبقاء عليه في السلطة كهدف أسمى .

إيران وسفينة الأسلحة

هاآرتس ٢٠٠٢/١/١٢
بقلم: زئيف شيف

بصورة طبيعية، نجد إسرائيل تتهم السلطة الفلسطينية بانها وراء قضية سفينة الأسلحة، ولكن علي الرغم من هذا الاتهام إلا أن لإيران دور كبير في هذه القضية، حيث أنها مصدر الأسلحة التي حاول الفلسطينيون تهريبها ومتورطة أيضاً منذ وقت طويل في الهجوم المباشر ضد إسرائيل، مثل دفع مبلغ من المال مقابل كل عملية إرهابية تنفذها منظمة الجهاد الإسلامي ضد إسرائيل. وكل ذلك في الوقت الذى تدور فيه محادثات سرية بين ممثلين إيرانيين وأمريكيين.

وقد تم دفع هذه العلاقات في اعقاب الحرب التي اعلنتها واشنطن ضد الإرهاب الدولي. وفجأة وجد الإيرانيون أن هناك تشابه في المصالح بينهم وبين الولايات المتحدة الأمريكية في العديد من المجالات. ونفس الشئ ينطبق علي مسألة طالبان والتهديدات التي يشكلها صدام حسين. إلا أن الإيرانيون يطالبون بالفصل بين مسألة العلاقات الإيرانية الأمريكية وبين مسألة علاقتهم بإسرائيل. وبعبارة أخري فإنهم لا يرغبون في مناقشة ما تفعله دولتهم فيما يتصل بالصراع الإسرائيلي العربي وسياستها العدوانية.

ودور إيران في سفينة الأسلحة، شأنه شأن افعال أخري، دليل آخر يثبت انه يجب علي إسرائيل ان تعمل بجد واصرار ضد هذا الفصل، وأن تنفذ عملها بالوسائل الدبلوماسية والسياسية وليس اعتماداً علي السلاح والمخابرات والمعارضة السرية، أي مجاهدي خلق. والآن ترغب إيران في الاستفادة من العاملين .. أي أن تؤيد الإرهاب ضد إسرائيل من ناحية ومن ناحية أخري تتظاهر بانها تحارب الإرهاب الدولي. ولذلك لا يجب اعطاء الفرصة لطهران كي تفعل ذلك وفي نفس الوقت لا يجب اجبارها علي تأييد عملية السلام في الشرق الأوسط (وهناك إسرائيليين لا يؤيدون هذه العملية أيضا)، ولكن من الممكن أن نطالب إيران بعدم تشجيع الإرهاب وعدم انتاج اسلحة دمار شامل خاصة وأنها موقعه علي معاهدات تحظر نشر هذه الأسلحة. وتجدر الإشارة إلى أن الضغط علي طهران مهم لأنه في الفترة الأخيرة تفاقمت - داخل إيران - حدة النقاش والجدل الجماهيري حول تحديد المصالح الحقيقية لطهران في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وفي مقابل ذلك ليس هناك جدل بين المحافظين وبين البرجماتيين فيما يتصل بضرورة أن تقوم إيران بانتاج صواريخ أرض أرض. حيث أن الجميع يؤيدون هذا التطور، كذلك فيما يتصل بالمسألة النووية الإيرانية لا توجد أي معارضه داخلية. والجدل الذى دار في إيران في ندوة حول موضوع فلسطين من وجهه النظر الإيرانية "وتم تغطيتها في وسائل الإعلام هناك، كانت ندوة مثيرة للغاية من ناحية تنوع الآراء التي ترددت فيها. وكانت تصريحات محمد رضا تاجيك مستشار الرئيس خاتمي مثيرة ايضاً، حيث قال إنه يجب علي إيران أن تعمل هنا في نطاق بين الأيديولوجية وبين المصالح القومية من شأنه أن يمنع صدام ويجب أن تخرج القضية الفلسطينية بعيداً عن العنوان الديني من أجل دراستها من الزاوية الواقعية التي تتناسب مع سياستنا. واضاف أن القضية الفلسطينية تختلف في جوهرها عن القضية اللبنانية حيث أنه من المستحيل ومن المحظور استخدام نموذج حزب الله وجنوب لبنان في المناطق المحتلة. والعمليات الانتحارية لا تؤدي إلى أي شئ. ويجب أن تحد من دور الجماعات المزعجة إلى اقل درجة ممكنة».

وفيما يتصل بصراع القوي في إيران فإن اصحاب هذه الآراء ليسوا في موقف قوة. فعندما القى القبض علي رجالهم لم يحظوا حتى بتأييد الرئيس خاتمي. وعلي الرغم من ذلك فإنهم مستمرين وبشجاعة في الاعراب عن رأيهم. وقد صدق رئيس الموساد افرايم هاليفي الذى قال إن إيران سوف تهدد كيان إسرائيل ذاته. ولهذا السبب يجب علي إسرائيل أنه تبحث عن أي امكانية للتغيير. وتفسير ذلك هو أنه في مقابل المواجهة مع إيران لا يجب الخوف من الحوار الجاد معها عندما تكون هناك إمكانية لذلك.

التهديد الإيرانى

معاريف ٢٠٠٢/١/١٨
بقلم : يوآف ليمور

بدأت نشرات الأخبار افتتاحياتها بالآتى : كلما تقدمنا فى التحقيق مع طاقم سفينة «كارين A» تتضح أكثر تفاصيل مدهشة (ومخيفة) إزاء تورط إيران فى تلك القضية، فضلا عن التدخل السافر لحزب الله فى الصراع الفلسطيني الإسرائيلي .

أجل ، لقد أوضحت التحقيقات أنه على عكس النتائج السابقة فإن السلطة الفلسطينية لم تكن هى التى ابتاعت سفينة الأسلحة ، وأن حزب الله يقف خلف الكواليس وهو الذى اشترى «كارين A» فى لبنان مقابل ٤٠٠ ألف دولار عدا ونقداً ، ولكن هذا لا يعنى أن السلطة بعيدة عن تلك الصفقة ، فقد كان هناك رجال من طرفها - وعلى رأسهم فتحى

رازم نائب رئيس جهاز الشرطة البحرية الفلسطينية ، وعادل مغربى المهندس الذى خطط لعمليات التهريب البحرى - شركاء فى اختيار تلك السفينة . ولكن هذا لم يكن كل شئ . وفى مقابل شراء السفينة فى لبنان توجه فؤاد شبكى إلى إيران وهو المسؤول عن المشتريات فى جهاز الأمن القومى الفلسطيني . وقد التقى شبكى فى طهران مع العديد من كبار رجال الأمن الإيرانيين ، ومع بعض المسئولين رفيعى المستوى فى حكومة آية الله . وفى تلك اللقاءات قام بتلخيص تفاصيل الصفقة : لقد أعطى الإيرانيون وسائل قتالية للفلسطينيين مجاناً تحت شعار "الرغبة الطيبة فى معاونتهم فى نضالهم ضد الصهاينة ". ومن هنا فإن السلطة الفلسطينية قد استفادت من صفقة وهمية حيث حظيت بأكثر من ٥٠ طناً من المعدات القتالية، فضلا عن سفينة نقل وكل هذا بالمجان ، أما المصاريف الوحيدة التى دفعتها السلطة فكانت مرتبات رجال طاقم السفينة الأربعة الذين كانوا يتبعون القوات البحرية (وعلى رأسهم عمر عكاوى الذى كان متخصصا فى كل التفاصيل والذى يعتبر منجم الذهب لد أجهزة الأمن الإسرائيلية بالمعلومات فى تلك القضية) ،فضلا عن دفع بعض المرتبات لتسعة أفراد تم تأجيرهم من أجل القيام بعملية الإبحار وكان أغلبهم من المصريين . ورغم أن المصلحة الفلسطينية فى تلك الصفقة واضحة للغاية - و بدا أيضا للقادة الإسرائيليين أن عرفات أصبح كمن عقد صفقة مع الشيطان - فإن العديد من العاملين فى أجهزة الأمن الإسرائيلية شعروا بالخوف الشديد من إظهار مدى قوة العلاقات التى نسجتها إيران فى أراضى الحكم الذاتى . وفى شهور المواجهة الخمسة عشر فى الأراضى المحتلة تلقى رجال الأمن الإسرائيلي معلومات غزيرة عن العلاقات الفلسطينية الإيرانية وربما أوضحت قضية «كارين A » الواقع الخطير المتربص لنا من تلك العلاقة ، وأكثر من هذا وعلى عكس الكثير من الادعاءات فإن مصدراً أمنيا رفيع المستوى قال هذا الأسبوع أن إسرائيل لديها دلائل ثابتة بأن الصفقة لم تكن بين بعض الضباط الصغار إنما تورط فى تلك القضية أغلب القادة من الجانبين : عرفات من الجانب الفلسطيني وعلى خامنئى من إيران وحسن نصر الله من لبنان . وكانت همزة الوصل بين هؤلاء القادة الثلاثة هى شخص يدعى عماد مورانيه رئيس جهاز العمليات الخارجية بحزب الله وهو أحد المطلوبين فى الولايات المتحدة ، والمعلومات التى تلقاها الأمريكيون إزاء تورط العديد من هؤلاء الأشخاص (وخاصة مورانيه) هو الذى أقنعهم بشكل نهائى بمطالبة الفلسطينيين بتقديم تفسير لتلك القضية .

مدى الإطلاق : ١٣٠٠ كم:

وفى الفترة الأخيرة أصبح لدى العديد من رجال الأمن تقديرات تشير إلى أن محاولة تهريب الأسلحة للأراضى الفلسطينية تم تنفيذها فى إطار المحاولات الإيرانية "لإيجاد تهديد استراتيجي على إسرائيل ". وقد قال بن اليعازر وزير الدفاع الإسرائيلي فى محادثة شخصية هذا الأسبوع أن السلطة الفلسطينية أو حزب الله - كل منهما على حدة - لا يمثل تهديداً استراتيجياً على إسرائيل ولكن ارتباطهما ببعض يمثل تهديداً حقيقيا ومخيفاً للغاية على إسرائيل ". وأكثر من ذلك فإن بن إليعازر يخشى بشكل كبير الضلع الثالث وهو الدولة الإيرانية . وفى رحلته المرتقبة إلى الولايات المتحدة الامريكية والتى سيلتقى فيها بالعديد من كبار رجال الإدارة الأمريكية ينوى فؤاد أن يضع فى مركز مباحثاته الجهود الإيرانية الحثيثة للتسلح بالصواريخ بعيدة المدى وخاصة التى تحمل رؤوساً نووية ويقول بن إليعازر لصحيفة معاريف «أن الأمريكيين ودول الغرب يحتاجون بشدة لإدراك أن التهديد الإيرانى لا يشمل إسرائيل فقط، إنما يستهدف العالم بأكمله، لأنه إذا تملك نظام حكم متطرف مثل آية الله القدرة الاستراتيجية فإن تهديدا مباشراً سيتوجه صوب دول الخليج أيضا وستصبح لإيران السلطة الكاملة والمطلقة على مصادر النفط العالمى». وأضاف بن اليعازر أن إيران تخطط لتطوير الصواريخ بعيدة المدى أكثر من (شهاب٣) (١٣٠٠ كم) التى تسمح بضرب أى هدف فى أوروبا وفى المستقبل ستصبح الولايات المتحدة داخل نطاق الصواريخ الإيرانية ، ولذلك فمن لا يريد قراءة الخريطة اليوم سيستيقظ فى الغد على التهديد وهو ماثل أمامه ".

إن وزير الدفاع واثق ان الوقت قد حان للعمل، حيث يقول أنه فى غضون ثلاثة أعوام فإن إيران ستملك أول قنبلة نووية . إن خبراء المخابرات يختلفون مع بن اليعازر ولكنهم يوافقونه فى الخط العام . وفى العديد من المحادثات التى تم إجراؤها مع المسؤولين الأمريكيين توصل الإسرائيليون ونظراؤهم فى واشنطن إلى تحديد آرائهم تجاه المشروع الإيرانى وتجاه التورط (الذى رغم كل الجهود المبذولة لا يستطيع أحد وقفه) الروسى السريع وعدة دول أخرى فى البرنامج الإيرانى للتسلح بصواريخ غير تقليدية . وقد قال مصدر

إسرائيلي مسؤول أن إيران تبذل فى الفترة الأخيرة جهوداً مضنية للوقوف بثبات فى ذلك المشروع . وأضاف المسئول رفيع المستوى أن كوريا الشمالية والصين متورطتان أيضا فى ذلك البرنامج ، وهذا يعطى لإسرائيل ذريعة للضغط على الإدارة الصينية حتى تعدل عن الدخول فى ذلك البرنامج ، خاصة بعد إلغائها صفقة الفالكون .

تدريبات وإعداد للجهاد:

ورغم أن المحاولات الإيرانية لتصدير فكر الثورة الإسلامية ليست بحديثة العهد ، فإنه كلما تتكشف تفاصيل يتضح لنا عمق تلك الصورة . وفى الأشهر الأخيرة قامت إيران بتسليح حزب الله بكميات هائلة - لم يسبق لها مثيل - من المعدات القتالية وعلى رأسها صواريخ الكاتيوشا وصواريخ أخرى بعيدة المدى . والخلاصة التى توصلت إسرائيل إليها هى أن حزب الله سيستخدم تلك الصواريخ فقط فى الحالات النادرة ، ورداً على عمل إسرائيلي .

وأشار المصدر رفيع المستوى إلى أن السيناريو القادم هو : عملية هجومية عنيفة يشنها حزب الله الأمر الذى يجبر إسرائيل على الرد بقسوة عليه ، مما سيؤدى إلى قيام حزب الله، بإطلاق صواريخه على المستوطنات الشمالية ، وستضطر إسرائيل مرة أخرى إلى الرد وبذلك ستشاكس حزب الله وستدفعه إلى إدخال الصواريخ فى مجال المواجهة مع سكان حيفا ، وفى غضون ذلك فإن هذا التصعيد سينخفض، ليس فقط بسبب جهود القوات الشمالية الإسرائيلية، إنما أيضا لأن السوريين الواقعين تحت ضغوط أمريكية تهدف لجعلهم يحدون من مد يد العون للإرهاب (وذلك نتيجة لأحداث ١١ سبتمبر) سيصبحون عاملاً محايداً. وللتدليل على ذلك فمنذ ٢٢ أكتوبر لم يتم ضرب حزب الله فى الجنوب اللبنانى . وحتى الآن لا يمكن القول أن الهدوء السائد فى المنطقة يشير إلى استتبابه فى طهران . وفى المقابل من محاولات تسليح السلطة الفلسطينية بأسلحة استراتيجية فقد أسرعت إيران بالقيام بعمليات تدريب وإعداد للمنظمات الإرهابية المتطرفة وعلى رأسها الجهاد الإسلامى ، وما ينتظره الإسرائيليون فى الوقت الحالى هو : عمليات شديدة العنف داخل الخط الأخضر ، وأيضا بعض العمليات ضد بعض الأهداف الإسرائيلية واليهودية خارج الدولة العبرية . وحول سباق التسلح ، تحاول إيران تسوق للعالم صورة هادئة للدولة الساعية للسلام . وقد اقتنعت بذلك بعض دول الغرب (خاصة بسبب رغبة تلك الدول فى الاستفادة من بعض الصفقات الهائلة مع إيران) وقد اختارت بعض الدول الأخرى الوقوف موقف المتفرج فى هذا الشأن . والجهود الإسرائيلية الحالية تسعى لإقناع تلك الدول للتحفظ على السلوك الإيرانى وإعادته إلى فئة الأشرار . ولكن ما تقوم إسرائيل به هو جهد غير هين فهو يسير على المسارين الدبلوماسى والأمنى وتوضيح أن التهديد الإيرانى لا يغير فقط من طبيعة الحياة داخل إسرائيل إنما يهدد وجودها أيضا . وقبل بضعة أسابيع تفوه الرئيس الإيرانى السابق رافسنجانى بجملة أثبتت للجميع نوايا إيران الحقيقية : " بواسطة القدرة النووية سيصبح فى يد الإسلام السلاح الذى سندمر به إسرائيل فى الوقت الذى لن تستطيع فيه إسرائيل تدميرنا رغم ترسانة السلاح النووى الذى تملكه " وما يقصده رافسنجانى هو أن إسرائيل دولة صغيرة من الممكن تدميرها بسهولة ولو قامت إسرائيل بإطلاق صواريخ نووية علينا فإنها لن تستطيع إبادتنا تماماً . ورغم أن رافسنجانى حاول بعد ذلك التراجع عن أقواله بل وحاول إنكارها فقد أهتم العديد من المسؤولين بنشر تلك الجملة فى سائر أنحاء العالم . وقد قال بعض المسؤولين الدبلوماسيين فى محادثات داخل دول أوروبا أن إسرائيل هى أول من يقف فى الطابور وبعد ذلك سيأتى على دول الغرب وإذا لم نوقفهم الآن فإننا سنواجه عما قريب خطراً حقيقياً . وفى غضون ذلك لم تقتنع دول العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة بضرورة العمل ضد إيران بالأسلوب العسكرى ، والتقدير الإسرائيلي هو أن الأسلوب العسكرى لن يتم استخدامه فى المستقبل ، وأن الضغوط ستتركز على المستوى الدبلوماسى فقط كما أنها ستتم بشكل شديد السرية ، ومن هنا تتصاعد النداءات الإسرائيلية بضرورة عقد مباحثات استراتيجية تحت عنوان "استمرار الوجود الإسرائيلي مقابل محو عصر إيران النووى " .

٣

الرأى العام فى إسرائيل

الحرب الإعلامية ستحسم لصالحنا في النهاية

موشيه شمعون
مهندس فني في القناة الأولي بالتليفزيون الإسرائيلي
من موقع القناه السابعة علي الانترنت يوم ٢٠٠٢/١/٣

هل مازال العرب بصفة عامة والمصريين بصفة خاصة يجهلون قدراتنا وإمكانياتنا الإعلامية؟.

سؤال ظللت أطرحه علي نفسي لفترة طويلة بعدما علمت من وسائل الإعلام أن «التليفزيون المصري» بدأ بث برامج ثقافية واخبارية لمدة نصف ساعة من إحدي قنواته الفضائية وهي قناة الـ «Nile.TV» باللغة العبرية وأثار هذا السؤال «ضحكي» و«اشمئزازي» في وقت واحد.

فقد أثار «ضحكي» لأنني أعرف وبفضل عملي في التليفزيون الإسرائيلي إننا نعتمد علي إمكانيات طائلة تجعل من مهمة أي تليفزيون أو جهة إعلامية خارجية أخري مستحيلة من أجل اللحاق بنا لأننا نعتمد علي إمكانيات ضخمة لا يمكن أن تتوافر أو تتواجد لدي المصريين أو أي تليفزيون عربي آخر بسهولة لأن اقتصاديات الدول العربية - حتي الغنية منها - تعاني من أزمات لا يمكن التخلص منها بسهولة حيث ترتبط بميزانية وإمكانيات محددة وضعيفة لتطوير نفسها إعلاميا، وهذا أمر لا يحدث في إسرائيل علي الإطلاق لأن الإعلام عندنا جزء هام من حرية الرأي والتعبير التي توليها جميع الحكومات وكبار المسؤولين أهمية خاصة جعلتها ركناً أساسياً في حياتنا اليومية.

أما السبب الثاني وراء شعوري «بالاشمئزاز» اعتقاد المصريين، وكبار مسؤوليهم بأننا سنترك قنواتنا الرسمية ونتوجه إليهم لنسمع الأخبار منهم، وهذا شيء عجيب ومقزز للغاية لأن إمكانيات تلك القناه والعاملين فيها ممن يتحدثون العبرية لن تصرفنا عن متابعة وسائل الإعلام الخاصة بنا ذات البعد الهام في التحليل والعرض السياسي والتفهم الواضح لكافة الأمور والقضايا الداخلية والخارجية المختلفة.

إلا أنه يحسب للمصريين نجاحهم في تشغيل تلك القناة وبثها عن طريق طاقم من الفنيين ومترجمي اللغة العبرية الشبان من الجنسين وعدد من الخبراء وهو ما يدق «جرس خطر» واضح يجب الحذر منه والاعتراف بأن المصريين حققوا سبقاً إعلامياً متميزاً لهم. شاهده العالم كله وأطلع عليه.

إلا أن العزاء الوحيد لنا هو اقتراب موعد تدشيننا للقناة العربية الجديدة الخاصة في التليفزيون الإسرائيلي وهي القناة التي ستعتمد علي طاقم محررين ومذيعين يجيدون اللغة العربية إجادة تامة ومتميزة إلي حد كبير، ومن المقرر أن يبدأ بث تلك القناة خلال شهر فبراير المقبل حسبما أطلعني أكثر من مسؤول وصرح به لوسائل الإعلام المختلفة.

وستقوم تلك القناة بالطبع بتشريح المجتمعات العربية بمختلف جنسياتها وأصولها. وهذا أمر هام للغاية خاصة في ظل أحداث العنف الإرهابي (الإنتفاضة) التي إندلعت خلال العام ٢٠٠٠ ومستمرة حتي الآن، فضلاً عن بروز أكثر من دولة معادية لنا ولتوجهاتنا وسط العرب، وهو ما يفرض علينا معرفة وإدراك الطريقة التي يفكرون بها حتي نستطيع في النهاية مجاراتهم ومعرفة طريقة تفكيرهم والتغلب عليهم في النهاية.

وتلك القناة ستكون وسيلة جيدة من أجل تحقيق ذلك النصر في النهاية وإطلاعنا بصورة متواصلة علي جميع التطورات السياسية والاجتماعية والفكرية داخل

المجتمعات العربية المختلفة.

ومن المنتظر أن تعتمد تلك القناة الجديدة أيضاً علي قاعدة تكنولوجية قوية لا تتوافر في أي تليفزيون أو جهاز إعلامي عربي آخر لأن إسرائيل وصلت إلي مرحلة متطورة للغاية في مجال التكنولوجيا لم تصل إليه أي دولة عربية أخري، فعلي سبيل المثال أنشأت شركة «مايكروسوفت» فرعاً خاصاً لدينا لتصنيع المكونات التكنولوجية وتصديرها بعد ذلك، وكذلك شركة «كومباك» العالمية ونفس الأمر مع شركة «إنيتيل» وجميع تلك الشركات حضرت إلي إسرائيل لكي تستثمر فيها وتكون قاعدة جيدة لها في الشرق الأوسط مركزها إسرائيل. وهو أمر يدل علي مدي تطورنا الكبير. وهذا التطور اعترف به عدد كبير من العرب أنفسهم مثل العالم الأمريكي ذو الأصل المصري «أحمد زويل» الفائز بجائزة «نوبل» للعلوم، والذي قضي أكثر من عام في إسرائيل يقوم بتدريس العلوم الحديثة لطلابنا في المعاهد العلمية المختلفة. وقد حصل «زويل» علي جائزة إسرائيل للعلوم من الطبقة الأولي من معهد وايزمان أحد أشهر المعاهد العلمية، ليس فقط في إسرائيل، بل في العالم كله واعترف زويل أكثر من مرة بمدى التطور العلمي الكبير الحادث في إسرائيل غير مكترث علي الإطلاق بالانتقادات الشديدة التي وجهت له وعنفته لقيامه بتلك الزيارة. وكان رده دائماً أن إسرائيل تمتلك تقنية تكنولوجية وأساساً علمياً لا يوجد في أي دولة أخري بالشرق الأوسط.

الأمر الذي يؤكد أنه مهما ساءت العلاقات السياسية بينا وبين أي دولة فإن تقدمنا العلمي سيجبرها علي التعاون معنا، وفتح آفاق جديدة لتلك العلاقات مع كافة الأطراف التي ستضطر لاستخدام تكنولوجيتنا وعلومنا المختلفة المتطورة والرخيصة عن أي دولة أخري تتعامل معها تلك الدول. وأياً كان الأمر فإن بلدنا الجميلة إسرائيل حققت تطوراً كبيراً في المجال التكنولوجي والمعلوماتي وهو ما يحقق في النهاية تطوراً ونصراً إعلامي كبير لصالحنا. وهو النصر الذي سيستمر في التحقق مادمنا نمتلك وسائل تقنية متطورة تعجز أي دولة عربية عن امتلاكها.

الارهاب الإسلامى .. طريق ترابطنا مع القوى الآسيوية

عوزي هاس-بائع في إحدى المكتبات - نتانيا-
من موقع WWW.Walla.coil
٢٠٠٢/١/١٤

قال لي والدي - طيب الله ثراه - ذات مرة وأنا طفل صغير بعد أن كسرت إحدى دميتي "من الممكن أن يكون لديك لعبة جميلة ولكنك دائماً تبتعد عنها ولا تتصور علي الإطلاق أنها ستصبح اللعبة المفضلة لك في المستقبل، إلا أن الأوضاع تتغير بعد ذلك وتصبح تلك اللعبة بالفعل أجمل الألعاب في عينيك ولا تفارقك أبداً ".

تذكرت تلك الكلمات الطيبة بالضبط فجأة خلال متابعتي لنشرة الأخبار مؤخرا ورأيت وزير الخارجية شيمون بيريز يزور الهند ويجتمع مع كبار المسؤولين الهنود ويعلن في ختام زيارته إنه نجح في وضع أسس قوية للعلاقات بين تل أبيب ونيودلهي وهي الأسس التي ستعود بالفائدة الكبرى علي كلا الطرفين .

وزادت سعادتي لأن كلام بيريز لم يكن مجرد تصريحات سياسية فارغة مثل التي يطلقها كبار السياسيين حاليا ولكنه كان يعتمد علي حقائق وأدلة فعلية أبرزها قيام ثلاثة وفود إسرائيلية بزيارات رسمية إلي نيودلهي وهي الزيارات التي توجت بالنجاح بعد أن أنجز كل وفد المطلوب منه بالفعل.

ففي منتصف ديسمبر الماضي أجري الحوار السياسي السنوي بين إسرائيل والهند ، وهو الحوار الذي يجلس فيه كبار الساسة والمفكرين من كلا الطرفين يتحاورون من أجل وضع خطة عامة تهدف لتعميق التعاون بين الطرفين واستمراره وبحرارة أقوى لعقود قادمة حتى لا تعود فقط بالنفع علينا ولكن علي جميع الأجيال القادمة الأخرى التي ستنتفع بالتأكيد من تلك العلاقة.

وهذه النقطة بالتحديد أثارها عضو الكنيست الحكيم والعظيم "أمنون روبنشتاين "بعد ذلك والذي ترأس الوفد البرلماني الذي زار الهند واجتمع مع رئيس الوزراء "ايتال بهاري فاجبابيه "ونجح في بلورة وثيقة تعاون تقضي بتبادل رحلات الأطفال بين نيودلهي وتل أبيب لمزيد من التعارف وغرس بذور الحب بين الطرفين .

فضلا عن نقطة أخرى هامة ، وهي توثيق العلاقات الاقتصادية بين الطرفين والتي وصل حجم تبادلاتها قرابة المليار دولار، وهو رقم كبير وسيزداد في المستقبل، خاصة وأن الرسم البياني لحجم التجارة في تصاعد مستمر ، في حين وصلت الصادرات الإسرائيلية للهند وحدها ٦٢٠ مليون دولار. وهو أمر هام للغاية، خاصة لو وضعنا في الاعتبار أن الهند هي أفضل سوق لبيع التكنولوجيا

الإسرائيلية المتطورة.

ومنذ مدة قصيرة أعرب الرئيس الهندي "رمان كوتشريل" عن رغبته في زيارة إسرائيل وقوبلت تلك الرغبة بترحاب شديد، خاصة من آريئيل شارون الذي أعرب عن نيته زيارة الهند هذا العام ومشاهدة هذه البلاد العظيمة ، حتى أنه أمر رئيس هيئة البريد بضرورة إصدار طابع بريد مشترك يوضع فيه العلمين الإسرائيلي والهندي.

وقد أدى كل ذلك - وبمساعدة أبنائنا الأبرار - إلى وضع أساس تعاوني أمني بين وزارتي الدفاع في الدولتين ، حيث زار مدير عام وزارة الدفاع النابغة اللواء احتياط "عاموس يارون" نيودلهي ووقع هناك علي عدد من اتفاقيات التعاون الأمني وهو التعاون الذي سيولد عملاق لعدة عوامل أهمها أن لإسرائيل والهند عدواً مشتركاً وهو الإرهاب الأصولي.

والواضح أن الاستقرار السياسي الذي حظيت به الهند ساعد بصورة أساسية إسرائيل على تعميق العلاقات ، وهو الاستقرار الذي تحقق بصورة كاملة عقب انتخابات عام ١٩٩٨ وفوز الحزب الوطني الهندي برئاسة فاجبايه بالانتخابات بعد أن هزم الحزب الاشتراكي وجاء تشكيل الحكومة الهندية ليصبح عامل إيجابي في ذلك الصدد ، خاصة ضمها لوزير الدفاع جورج فرناندو الذي يعتز بإسرائيل ويعتبرها دولة هامة تفيد علاقتها بلاده بقوة خاصة في حربها ضد الإرهاب الإسلامي البربري القادم من باكستان والذي يهدد الهند وأمن مواطنيها وهو ما يحدث أيضاً لإسرائيل المعرضة دائما للإرهاب القادم من الأوغاد الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين وحتي من بلاد العباءات السوداء واللحى القذرة "إيران" .

وكل تلك العوامل ستزيد من الترابط في العلاقات، خاصة وأننا لو تحدثنا وبموضوعية ووفقا للمعطيات الحالية والأحداث المتفجرة الصعبة التي تعيشها كلتا الدولتين ، فإن إسرائيل والهند تمثلان مع بعضهما البعض النظامين الديمقراطيين الأساسيين في العالم ، اللذان يحترما الآراء المعارضة الصادرة من الأقليات المختلفة علي أراضيها وبالتحديد الأقليات والجماعات الإسلامية . ورغم الطابع والسلوك الإرهابي الذي تنتهجه تلك الأقليات إلا أن أعضاءها يجدون طريقهم للتعبير عن آراءهم بحرية في كلتا الدولتين ، فهناك مسلمون في البرلمان الهندي وكذلك أعضاء للحركة الإسلامية في الكنيست . ويكفي ما حدث في الهند التي تعرض مبني البرلمان فيها لاعتداء كبير أسفر عن وقوع عدد كبير من الضحايا، وكذلك إسرائيل التي مازالت حتى الآن تشهد عمليات إرهابية بشعة علي يد المتشددين الإسلاميين من داخل البؤر الإرهابية الفلسطينية وكذلك من داخل إسرائيل نفسها ، الأمر الذي يفرض علينا مواجهة تلك القوى بحزم ومنعها من استغلال طابع الحرية الذي أعطيناه لها نظرا لأننا يجب أن نضع في الاعتبار أن كل الجماعات الإرهابية في العالم حاليا هي جماعات إسلامية بغض النظر عن اتجاه البعض الآخر منها والذي مهما كان اتجاهه الفكري فلن يقارن بتلك الجماعات التي تحمل دلائل من الكتب الإسلامية المقدسة بضرورة جعل العنف السلوك الأمثل في كافة توجهاتها ووسيلة للتعبير عن أفكارها.

وبالتالي فإن مصلحة إسرائيل والهند واحدة ومشتركة . وعلي سبيل المثال ، فقد أوضحت الهند أكثر من مرة بواسطة مسؤوليها الأمنيين أن أخطر عقبة تواجهها في تصديها للجماعات الأصولية الباكستانية الطبيعة الجغرافية الصعبة لمنطقة الحدود الهندية - الباكستانية التي تتمركز فيها تلك الجماعات سواء من طرق جبلية رديئة وحالة طقس وتضاريس صعبة للغاية ، وفي هذا الصدد يمكن الاستفادة من إسرائيل نظرا لما لها من خبرة كبيرة في مجال مكافحة الإرهاب حيث، خاضت قبل ذلك حرب عصابات طويلة لأكثر من ١٨ عاما ضد مخربي حزب الله في جنوب لبنان ، وهى الحرب التي دارت في ظروف مناخية وتضاريسية لا تختلف كثيرا عن نفس الظروف المتواجدة في منطقة الحدود الهندية الباكستانية ، بالإضافة إلى أنها وجهت في الأساس لعصابات إرهابية إسلامية مماثلة وهو ما سترغب الهند في الاستفادة منها بالتأكيد .

وعلي غرار التحالف الذي كونته الولايات المتحدة في أفغانستان ونجح في القضاء علي التطرف الإسلامي في أفغانستان ، يجب علي كبار مسؤولينا الالتفات إلى ضرورة إنشاء تحالف دولي كبير موجه ضد الإرهاب الأصولي مع كبار القوي الآسيوية المختلفة التي أصبحت تمثل حاليا ثقلاً لا يستهان به في العالم ولا تقل عن أي قوة أوروبية موجودة .

وسيكون الإرهاب الإسلامي هو الطريق نحو ترابطنا الوثيق مع الهند من خلال ذلك التحالف الدولي الذي سترفرف عليه نجمة داود التي ستحرسه كما تحرس إسرائيل .

نحتاج لزعيم ليكودي

اليعازر بن كسبيت - مزارع في مستوطنة " بيتح تكفا من موقع الإذاعة على الإنترنت (٢٠٠٢/١/١٥)

عندما نتحدث عن الفلسطينيين ووسائل العتاد والأسلحة التي يملكونها أعترف وبحق أنني أصاب بالرعب والفزع ليس خوفا علي نفسي فقط ولكن خوفا علي مستقبل أولادي وحياة زوجتي وأصدقائي حتى والدي الكبير في السن أخشى أن يصيبه مكروه ولا يستطيع أحد إنقاذه. ورغم أنني مجرد عامل بسيط في مستوطنة "بيتح تكفا "ولا تشغلني إلا الأنباء الخاصة بالزراعة وأسعار العلف الحيواني أو النباتات إلا أن خبر وصول شحنة من الأسلحة الإرهابية أصابني بالقلق الشديد، خاصة وأن التقارير أكدت أن تلك السفينة جاءت محملة بأطنان من الأسلحة وليس بعشرين أو ثلاثين كيلو جراماً، وبالطبع كان سيتم استخدامها لضرب أراضينا الطاهرة ومواطنينا المساكين.

الوضع بالتالي يحتاج إلى تغيير استراتيجي كبير في جميع البني الأساسية المتعلقة بمحاربة الإرهاب وهو التغيير الذي يتطلب في الأساس تغيير النظرة للعدو الذي نحاربه والذي تحول من مجرد عدو ينفذ العمليات الانتحارية التقليدية ويعتمد علي تطوير الأسلحة البدائية إلى عدو خطير يحارب بأسلوب استراتيجي لا يختلف عن أساليب الحروب التي تخوضها الدول بأكملها. وتحولت السلطة الفلسطينية ومجموعة السفلة ممن يترأسونها إلى مجرد أناس لم يقدروا معروفنا والأراضي التي أعطيناها لهم ويقودون جيشاً منظماً مكوناً من عدة "عصابات إرهابية "تهدف لحرق الأرض من تحتنا.

وقد نادينا في مستوطنة "بيتح تكفا " - أول مستوطنة أنشأت في إسرائيل - بضرورة معاقبة السلطة الفلسطينية، خاصة بعد أن تكررت حوادث الاعتداء علي المستوطنات، وهي الاعتداءات التي تقع وللأسف الشديد بالصواريخ التي أنتجتها كتائب عز الدين القسام الإرهابية والتي قرأت عنها وعلمت أن مداها يصل لعدة كيلو مترات وتحمل الواحدة منها متفجرات تزن ١٠ كيلو جرامات. وكانت كتائب القسام تفتخر بتلك الصواريخ وتضع صور لها من خلال موقعها على الإنترنت وتهدد بأن الخطوة القادمة لتلك الصواريخ هو ضرب المستوطنات.

وبالفعل حاول هؤلاء الإرهابيون ضربنا أكثر من مرة، بالإضافة لمحاولتهم ضرب المستوطنات الأخرى الواقعة داخل إسرائيل في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة والتي تقع جميعها في مدى الصواريخ الفلسطينية.

ومن هنا تكمن الخطورة بعد أن شاهدنا عشرات الصواريخ والمدافع علي متن السفينة المضبوطة وهو ما يدل علي أن الفلسطينيين يتبعون حالياً تكتيكاً قوياً لتنفيذ العمليات الإرهابية التي تفتك بمدننا البسيطة ومواطنينا الآمنين. ووضح أن جلب تلك الأسلحة يهدف في النهاية لانتهاج نفس سلوك "إرهابيي حزب الله " الأصوليين الذين كانوا يستخدمون الكاتيوشا نموذجا للردع علي الحدود الشمالية ونجحوا في تحويل حياة أصدقائنا في المستوطنات الشمالية لجحيم هائل يصعب القضاء عليه بسهولة. وبصورة عامة، فإن الوضع بذلك بات خطير جدا، خاصة لو وضع في الحسبان أيضا تهريب الأسلحة من البلدان المجاورة مثل مصر والتي نعرف كلنا مشكلة السراديب المحفورة تحت الأرض في سيناء، وكذلك الضفة الغربية وجنوب لبنان حيث رُصدت عدة محاولات لتهريب الأسلحة، خاصة بعد أن ثبت أخيرا تورط حزب الله في دعم عدة منظمات إرهابية مسلحة داخل إسرائيل. ويجب أن نلتفت جيداً إلى هذه المحاولات ونواجه تلك الدول الإرهابية علي جميع الساحات السياسية والدبلوماسية حتى ولو وصل الأمر لضربها ومحاربتها. نعم نضربها ولم لا ..؟ فضرب إسرائيل لإيران لا يعد مستحيلاً إذا تخيلنا وصول تلك الأسلحة إلي الضفة الغربية ونصب المدافع تجاه إسرائيل

إلى متى ستظل إيران تدعم المنظمات الإرهابية الفلسطينية والعربية الموجهة ضد إسرائيل والتي يجب أن توقف ولو بالقوة، وأحمد الله علي كفاءة شباب ومقاتلي الكوماندوز في الجيش الإسرائيلي الذين خرجوا إلى هدفهم منذ يومين ونفذوا المهمة بنجاح، ورافقهم في تلك المهمة الصعبة رئيس هيئة الأركان اللواء "شاؤول موفاز " وقائد سلاح البحرية اللواء "دان حلوتس "اللذان ركبا معا الطائرة وأخذا يحلقان فوق الحادث حتى تأكدا وشاهدا العملية وكان أول تعليق لموفاز هو إشادته بجدارة وعظمة أولاده. إن هذا الهجوم الإرهابي الذي نتعرض له يستلزم قيادة حكيمة لشخص قادر على توجيهنا لطريق الأمان، وهذا الشخص يجب أن تكون على رأس أولوياته الأمن وأن يكون مؤمنا به. إذن وببساطة شديدة، نحن نريد شخص ليكودي تربى في مستوطنة، صلى في المعابد، حارب العرب، يكره الفلسطينيين ولا يحترمهم ويقتل أكبر عدد منهم دون أن تهتز أعصابه حتى يتحقق لنا الأمان ونستطيع التغلب على تلك الحوادث الإرهابية.

وشارون لن يستمر طوال عمره في الحكم وسيأتي غيره وهو ما أتمنى أن يصبح من الليكود وبالتحديد من جيل الشباب القادر على حل الأزمات، ويا ليته يكون بنيامين نتانياهو الذي نندم الآن على خسارته لانتخابات عام ١٩٩٩ وخروجه من السلطة. فنحن نحتاج بالفعل لزعيم ليكودي قادر على انتشالنا من الأزمة العالقين بها.

المشكلة ليست حضارات .. بل دين إسلامي

دانى عاميت عامل في محطة بنزين - تل ابيب من موقع WWW.Walla.coil
٢٠٠٢/١/٢١

تحول مصطلح "صراع الحضارات" الذي يُتداول حاليا في الشرق الأوسط إلي المصطلح الرسمي لأغلب العرب لوصف الصدام الحادث حاليا بين ثقافتهم وفكرهم من جانب، والثقافة والفكر الغربي من جانب آخر، ووسيلة لتبرير الهجوم المتواصل الذي يتعرضون له في وسائل الإعلام العالمية سواء الأمريكية أو الأوروبية التي تنتقد بموضوعية وصراحة شديدة ما يدور في تلك الدول العربية من انتهاكات . وقد تصاعد ذلك الهجوم بشدة بعد الأحداث الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر الماضي وأسفرت عن مصرع المئات ، وبعدما أكدت التحقيقات الأمريكية ضلوع عدد من الشباب العرب فيها . وقد تزايد الشعور العربي بالاضطهاد من المعاملة السيئة التي كانوا يتعرضون لها علي يد السلطات الرسمية الغربية، حيث كانت توبخهم وتضيق الخناق عليهم وتحث المواطنين علي الابتعاد عنهم مصنفة إياهم كإرهابيين يجب الحذر منهم وحظر الاختلاط بهم ، ووصل الأمر إلي حد منع عدد من رحلات الطيران المشتركة بين عدد من تلك الدول والدول العربية، بل ومنع إقلاع العديد من رحلات الطيران المتوجهة للدول الغربية وأمريكا بسبب وجود مواطنين عرب علي متنها . والواضح أنه . ومن خلال قراءتي للأحداث سواء التاريخية أو الحديثة الحالية . تبلورت لدي فكرة هامة مفادها أن المشكلة في الصراع بين الغرب والشرق تعتبر في الأساس مشكلة عقائدية دينية وهذا ما يجب أن نقر ونعترف به .

ورغم كل المصطلحات والمسميات الضخمة التي يرددها العرب من أجل التصدي لموجة الكراهية الغربية لهم ورغم مجهوداتهم من أجل صد ذلك الهجوم . إلا انهم لا يعترفون بتلك الحقيقة ربما لحساسية تلك المسألة الدينية لديهم .

إن الفكر الديني لديهم وبالتحديد لدي المسلمين منهم يعتبر وبكل صراحة فكراً متطرفاً وأصولياً ، حيث حمل كتاب المسلمين المقدس " القرآن " قطعاً وعبارات إرهابية تكره الغير ولا تحترم أديانهم بل وتلعن كل من لا يدين بالإسلام سواء كان يهوديا أو مسيحياً ، ويا للكارثة لو كان لا يؤمن بعقيدة التوحيد فيعتبر في نظرهم كافر لا يستحق شفقة أو رحمة . وهذا خطأ كبير وفادح أن تكفر ديانة أتباع ديانة أخرى أو اتجاه روحي معين بسبب عقائدهم لأن هذا يولد العنصرية والكراهية الفطرية للغير من خلال المساوئ التي وضعها المسلمون علي مر التاريخ مع كل من لا يتبع الإسلام ويدين به ، بداية من فرض مبدأ الجزية الذي يقوم علي أن يدفع كل من هو غير مسلم مبلغاً من المال مقابل حمايته وحتى سياسة هدم أدوار العبادات الأخرى مثل الكنائس والمعابد وتصنيفها كأدوار عبادة للكفار والمشركين ممن لا يعترفون بالله ولا يثقون بوجوده ، فضلا عن الوضع المتدهور والسيئ الذي يعيشه العديد من هذه الأدوار في الدول العربية بصفة خاصة والشرق الأوسط بصفة عامة ، حتى أن المعهد الديني في القدس أصدر دراسة أخيرة أشارت إلى أن أكثر من ١٢٠ كنيسة و٢٢ معبداً يهودياً في الدول العربية لا يتلقون الخدمات الاجتماعية والإنسانية الواجبة بل ويُجبر اتباعها في بعض الأحيان علي عدم الذهاب إليها للعبادة ، الأمر الذي يدفع كبار الكهنة والقساوسة في تلك الأدوار إلى اللجوء للقوى الغربية حتى تساعدهم وتعينهم علي ما يتعرضون له من مشاكل واضطهادات دينية ، التي تهاجم بدورها تلك الدول العربية مهددة إياها بتوقيع عقوبات صارمة حال قمعها للحريات الدينية ومعاداة أصحاب الديانات التوحيدية الأخرى، بل وحتى الديانات غير التوحيدية . وقد انعكس ذلك علي العلاقات بين تلك الدول والقوي الغربية وعلي رأسها الولايات المتحدة ، التي تعتبر حامية الحريات في العالم .

وأبرز مثال علي ذلك وجود حساسية كبيرة بين مصر والولايات المتحدة في هذا الصدد ، حيث تواجه الأولي ضغوطاً قوية من الثانية من أجل حماية تلك الأدوار سواء الكنائس المسيحية أو المعابد اليهودية . والمسيحيون في مصر يعلمون ذلك، خاصة وأن الأمريكيين . من ذوي الأصول المصرية . يكرهون النظام الحاكم في القاهرة ويصفونه بالعنصرية لأنه يضطهد ويحتقر من شأن كل من هو غير مسلم ... إنها حقا مأساة.

إذن وكما قلت فالمشكلة هنا مشكلة دين لا حضارة وأبرز دليل علي صحة كلامي بجانب كل المعطيات السابقة هو الثقافة العربية المعروفة والتي تأثر بها العالم.

فلو فحصنا جميع الدراسات الخاصة والأدبيات المختلفة الخاصة بالعرب بداية من العصور القديمة حتى الآن سنكتشف، وللأسف الشديد، تميز تلك الدراسات . ويوجد العديد من المفكرين في تلك الدول مثل المصري نجيب محفوظ الفائز بجائزة نوبل للأدب والذي يوجد له العديد من الأعمال المترجمة في إسرائيل فضلا عن العديد من النماذج الأدبية الأخرى. ولو فحصنا تلك النماذج وأعمال الأدب العربي سنكتشف أنها تحمل العديد من النواحي الفنية الراقية الجميلة في ثناياها بشكل يعكس الطبيعة الفكرية للعرب، خاصة أن حضارتهم حضارة متطورة لا تصطدم في جوانبها المختلفة مع الحضارة الغربية .

ومن ثم فالحل هو "التصالح الديني " بين أتباع الديانات التوحيدية، وهو ما يجب أن يتم من خلال اللقاءات والمؤتمرات المختلفة التي تجمع كبار رجال الدين في تلك الديانات ، مثل "ملتقى الديانات " الذي يعقد حاليا في مدينة الإسكندرية الساحلية والذي أرجو أن يخرج بتوصيات تضع أسساً للتعاون والحب بين أتباع الديانات الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام وتخفف ولو قليلا من الكراهية الإسلامية للآخرين .

٤

حـــــــــــوارات

حديث خاص مع إيلي يشاى

معاريف ٢٠٠١/١٢/٢٨
بقلم /دان شيلون

=إيلي يشاى ، هل يمكن اعتبارك "فنجرى كلام "مثل مسدس الصوت ؟

- أنا لا أستخدم تلك الألفاظ على الإطلاق ؟

= ولكن هذا بالفعل ما تفعله ؟

- لقد بذلت الكثير من اجل إقامة تلك الحكومة ، وعملت بشكل شخصى حتى يصبح أريئيل شارون رئيساً للوزراء ، واليوم أحافظ على تلك الحكومة من اليمين ومن اليسار .

= تحافظ على وجودها ولكنك تهدد بقائها ؟

- لا أستطيع أن أكون شريكا فى حكومة لا تخدم الطبقات الدنيا من الشعب . إن مثل تلك الحكومة لا وجود لها بيننا .

= ولكنك تبدو كمن يستخدم مسدس أطفال دون أعيرة حقيقية ؟

- الجميع يقولون ذلك . وأيضا فى الحكومة السابقة قالوا لنا : لا تستقيلوا من الحكومة فلن تجرأوا على الانسحاب ولكننا انسحبنا على عكس كل التوقعات . وإذا كان هناك اختيار بين كرسى الوزارة فى حكومة شارون وبين مساعدة الفقراء فإننى سأختار المعارضة ، ولا يمكن اعتبار المعارضة معاقبة، فهى جزء من خدمة العمل الوطنى .

= هل خانك شارون ؟

- إذا استمر شارون فى السير خلف كلاين محافظ البنك القومى الإسرائيلي وخلف رجال وزارة المالية فإنه يريد الانتحار .

= يريد الانتحار ؟

- إذا سار خلفهم فإنه كمن يريد الانتحار .

= وعندئذ يكون قد خانك ؟

- أشعر بضرر بالغ عندما لا ينصت شارون للضعفاء . فهناك بدائل متعددة للأزمة الطاحنة التى تمر بها إسرائيل .

= هل ستصوت ضد الميزانية فى الكنيست ؟

- نعم .

= ألن تفكر قليلا وتمتنع عن التصويت ؟

- سأصوت ضد الميزانية !.

= هل سترفع يديك ضد الحكومة ؟

- كل وزراء شاس سيفعلون ذلك ، بكل ما يتضمن ذلك من مضامين سياسية ؟

= ولكن تلك المضامين تعنى استقالتكم من الحكومة؟

- لن نستطيع التصويت لصالح تلك الميزانية ، حتى وإن كان المعنى هو استقالتنا من الحكومة .

= ولكن لا وجود لك أو وزراء شاس أى مكان فى المعارضة ؟

- أنا أعيش الواقع ، ولقد نضجت وسط الجمهور وبين الطبقات الدنيا من الشعب .

= ولكنك ستبتعد بذلك عن حياة المناصب ؟

- المعارضة لا يمكن أن تكون عقاباً . ففي الثمانية عشر عاما الماضية كنتم تقولون أن أحزاب المعارضة هي للمغضوب عليهم، هذا ليس بسبب كراهيتنا للمعارضة ، ولكننى - كمندوب عن الجمهور - إذا وجدت أنه لا يوجد سبيل لخدمة الجمهور فإننى لن أصبح شريكا فى هذه المسرحية أو تلك اللعبة .

= ولكن الانتخابات الجديدة ستحطمك وتحطم حزب شاس ؟

- لقد قالوا لى هذا أثناء فترة ولاية باراك ، وكان هذا آخر شئ أرغب فيه ، ولكن إذا كنا فى وضع اللاخيار فإننا سنفعل ما يمليه علينا ضميرنا .

= وعندئذ سينخفض عدد مقاعد الحزب من ١٧ مقعداً إلى ٨-١٠ مقاعد !

– انظر ، لقد قدرنا البعض أننا سنحصل على عشرة مقاعد . وإذا أعطونا عشرة مقاعد قبل الانتخابات – وقبل أن تشتعل الأوضاع الانتخابية – فإنى سأكون هادئاً .

= وهل يعنى هذا أنك ستقوم بشراء عشرة مقاعد فى الكنيست ؟

– أنا لا أفعل هذا ، ولكن عندما يتم تغيير طريقة الانتخابات ويتم التصويت فى ورقة انتخابية واحدة فإننا نثق فى الحصول على ١٧ مقعد فى الكنيست .

= شاس لم تكن مثلما كانت عليه فى الماضى ؟

– يشاى يبتسم !

= لماذا تضحك ؟

– أضحك لأنه لا يوجد أى حزب اجتماعى فى إسرائيل سوى شاس وكل من ينشرون لافتات تشير إلى إصلاح البنية التحتية والتعليم وباقى النواحى الاجتماعية لا يفعلون شيئاً . ففى وقت الجد نصبح الحزب الوحيد الذى يواجه الصراع ويناضل بحزم ، والحزب الوحيد الذى يوفر مليارات الشواكل للطبقات الدنيا . إننى أتحدث عن حزب شاس ولذلك فأنا لست قلقاً .

= عند بداية خوض المعركة الانتخابية هل سترشح بنيامين نتانياهو؟

– ليست لدى أية مشكلة مع نتانياهو ، وسنخوض الانتخابات معه .

= هل يعتبر نتانياهو شخصا مفيداً لليهود ؟

– إذا رشح نتانياهو نفسه ضد حزب العمل ، فإننا سنخوض الانتخابات معه .

= هل تأسف اليوم على أنكم كبحتم عودة نتانياهو ، ولم تصوتوا على حل الكنيست ؟

– ما فعلناه كان خطوة صحيحة للغاية ، وهى إحدى أفضل الخطوات التى قامت بها حركة شاس .

= وحتى إن كان هذا من الناحية النفعية ؟

– كلا ، لقد كان هذا من الناحية المنطقية .

= وهل يعتبر المنطق – فى نظرك – هو المصلحة السياسية ؟

– لن يقوم أحد بإملاء قواعد اللعبة السياسية علينا . لقد قلت لبنيامين نتانياهو : لديك ما يسمى «قانون بيبى» . وكنت سأخوض الانتخابات معه . ولكن إذا كانت هناك انتخابات للكنيست ويحين موعدها بعد ثلاثة أشهر من الإعلان عن حل الكنيست فإن باراك كان سينهى اتفاقا ما وكان سيقود الدولة إلى كارثة محققة . ولذلك فقد عملنا على كبح تيار التنازلات البعيدة المدى ، واتجهنا إلى الحكومة اليمينية والتى تطمح لتحقيق أهداف لا بأس بها .

= عن أية أهداف تتحدث ؟ وهل ترى أن وضع الطبقات الدنيا فى إسرائيل هو الأسوأ فى تاريخ الدولة؟

– لقد زادت الفجوات حقاً ، ولكن فقراء إسرائيل لا يعيشون فقر مدقع ، وإذا لم يكن هناك حزب مثل شاس لكنا شاهدنا أرجنتين ثانية .

= هل يعتبر نجاحكم الكبير منذ إقامة الحزب هو الاهتمام بآلاف العمال الذين تعولوهم ؟

– الحمد لله ، أعمالنا لها صدى على أرض الواقع طوال فترة رئاستى للحزب .

= هل تستطيع تأكيد هذا ؟

– كلا ، اسمعنى جيداً ، لقد بدأنا أعمالنا من اليوم الاول بعد ظهور نتيجة الانتخابات . ونحن موجودون وسط الجمهور يوما بيوم فعندما تعمل وتسخر جهاز ضخم لخدمة الجمهور فإنك ستحصل على نتيجة إيجابية لذلك الجهد .

= آرييه درعى الورع ؟

– آرييه درعى شخص غال بالنسبة لى للغاية .

= هل هو رجل ورع ؟

– نعم ، هو رجل ورع ، وقد فعل الكثير من أجل حركة شاس .

ولكنه سرق أشياء كثيرة ، فقد تم اتهامه بارتكاب مخالفات فظيعة . إلا أننى مؤمن أنه برئ .

= ولا تثق فى حكم تلك المحاكم بمختلف درجاتها وفئاتها ؟

– أتمنى أن يكون لدرعى حكم استئناف يعلن فيه أنه برئ ، وإن كانت هناك محاكمة فى محكمة العدل العليا فإنه سيحصل على البراءة بشكل مؤكد .

= ولكن لماذا يبدو لى أنك لا تريد أن يخرج بريئا من تلك القضية ؟

– أتمنى بشدة أن يخرج بريئاً .

= أنت تقول هذا قولا وليس فعلا ، فأنت لا تريده برئياً فى الواقع .

– دان ، أنت يهودى غير مؤمن ، لماذا تقول هذا ؟

– أما أنت ، فرغم أنك يهودى مؤمن إلا أنك بشر من لحم ودم وآرييه درعى يعرض مكانتك داخل الحزب للخطر !

– آرييه درعى لا يعرض مكانتى داخل الحزب لأى خطر ، ليته يخرج بريئاً ويعود للحياة السياسية وسأوافق على كل ما يقوله ويحكم به الراب عوفديا يوسف ، فلن أتمسك بالسلطة أبداً .

= ولا تخاف من خروج درعى من السجن ؟

– "قلت لك ، كلا "

= هل ستتقاسم معه زعامة الحزب ؟

– ما يحكم به الراب يوسف على درعى سيقوم بتنفيذه ، وما سيحكمه على سأنفذه ، وما سيقوله لنا سنفعله سوياً . لم تكن هناك أبداً أية كراهية فى حركة شاس داخل المعسكران (معسكرك ومعسكر درعى) بالنسبة لى ، فإن أى فرد يدعى أنه موال لى ويقوم بترديد أقوال ضد درعى فإن مصيره هو الطرد من الحزب ، ومن دائرة معارفى . وعلى العكس من ذلك فإنه لشدة أسفى هناك العديد من الشخصيات المرافقين لدرعى يقومون بهذا ، رغم أن درعى نفسه يرفض ذلك . لذا فقد حان الوقت لعدم التطرق إليهم بشكل عام.

= ما هى آخر مرة تحدثت فيها إلى درعى ؟

– منذ حوالى ستة أشهر .

= ستة أشهر لم تتحدث فيها مع أفضل الصادقين ؟

– نعم ، لمدة ستة أشهر .

= ألم تشعر بالرغبة فى مكالمته هاتفياً وهو فى السجن ؟

- عندما تستوجب الضرورة ، وعندما أشعر بالرغبة فى التحدث مع درعى أو عندما يشعر هو بتلك الرغبة فإننا نعلم الوسيلة التى نتحدث بها . إنه يتحدث مع العالم بأكمله ، ولكن لماذا لا يحدثك أنت خصوصا .

كنت سأشعر بالسعادة الجمة لو كنت تحدثت إليه ، وأشعر بالأسف لأن هناك أشخاص يريدون إبعادنا عن بعض ، وفى نهاية الأمر فإن هؤلاء الأشخاص سيدركون لاحقاً أنهم ارتكبوا جرماً فظيعاً .

= لماذا تضطهد الهجرات الروسية ؟

- لقد كنا فى حركة شاس نصلى نهاراً وليلاً حتى يصل اليهود الروس إلى إسرائيل ، ولكننا صلينا من أجل مجئ اليهود المتدينين وليس من أجل اليهود المزيفين .

= ولذلك فأنت تضطهد تلك الهجرات ؟

- لن أسمح باستغلال الخروج عن القانون للسماح لهؤلاء المدعين بالمجئ إلى هنا . ولكنى سأبذل قصارى جهدى لمحاربة التصاريح المزيفة وجوازات السفر المزورة .

= وهل ستوافق على إعطاء اليهود حق الشذوذ الجنسى ؟

- كلا .

= لماذا؟

- إنها مشكلة طبية . وحتى اليوم يتم تسريح العديد من الجنود من الجيش بسبب تلك التصرفات .

= لقد كان هذا منذ زمن. ولكن إذا افترضنا أن هذا مرض ألا يتم إعطاء المرضى بعض الحقوق ؟

- إنها مشكلة طبية عويصة ، وإذا شجعناها فإن هناك خطورة على الأصحاء أن يسيروا فى ذلك الاتجاه .

= ولكن الشواذ لا يشعرون أنهم مرضى ، بل أنهم فخورون بما يفعلونه ؟

- لم أسألهم ، بل أشفق عليهم .

= ما تقوله يعتبر تطرف عنصرياً ؟

- لماذا ؟ أنا أشفق عليهم ، هل تعتبر الشفقة عنصرية .

= وإذا جاء أحد أطفالك إليك وقال لك: أبى ، لدى ميول للشذوذ الجنسى ، ماذا ستفعل ؟

- بعداً للشر ، والعياذ بالله. هذا لن يحدث .

= ولكنه قد يحدث. فليس لك سيطرة على هذا ؟

- هذا لن يحدث ، لأن أى إنسان يشعر بتلك الأعراض فإنه يدرك كيف يعالج نفسه ، وأن يتصرف كما يتوجب على إى إنسان فعله ، وبهذا سيخرج من تلك الدائرة .

= هل أنت واثق من هذا ؟

- أنا مقتنع بما قلته ، إننا نصلى ألا يخرج الأمر من أيدينا ، وأنت يا دان كشخص يهودى غير متدين كنت ستصاب بالاكتئاب إذا أصيبت ابنتك أو ابنك بتلك الأعراض. فإذا حدث لشخص متدين مثل تلك الأمور وشعر بتلك الانحرافات فإنه سيقوم بتقويم نفسه ولن ينجر خلف ما ينجر إليه الآخرون .

= وإذا قرر أحد أبناءك تكرار هذا السؤال ؟

- لقد ربيت أطفالى على التوراة واحترام وصايا الرب .

= وإذا حدث هذا ، هل ستطرده من المنزل ؟

- آمل أن يسير أولادى فى الطريق الذى رسمته لهم ، ولكن إذا والعياذ بالله تثقف أحد اليهود المتدنين بثقافة مريضة فيجب عندئذ الاقتراب منه بشدة وليس العكس.

= نعود من فضلك إلى السياسة. هل يمكن اعتبار أريئيل شارون شخصاً فاشلاً ؟

- كلا .

= الأمر الوحيد الذى كان شارون فيه واعداً وصادقاً هو لا سلام ولا أمن ولا اقتصاد ، هل هذا صحيح ؟

- صحيح إننى محبط من شارون فى المجال الاقتصادى ولكن بالنسبة للمجالين الأمنى والسياسي ، فهو يتصرف بحكمة شديدة .

= أى حكمة تتحدث عنها ، إن رئيس الوزراء يقول أن مشروع بيريز للسلام يمثل خطراً على وجود الدولة ، ثم يأتى بعد ذلك ويعطى الجباية والحماية له ، ويرعى ورقة بيريز - أبو علاء ؟

- لقد أخطأ رئيس الوزراء عندما تحدث عن الدولة الفلسطينية فى الوقت الذى كان فيه الإرهاب يقضى على الأخضر واليابس .

= أين حكمته التى تتحدث عنها إذن ؟

- لقد أخطأ شارون عندما تحدث على هذا فى ذلك الوقت ، ولكنه أيضا قال أنه إذا تم تحقيق السلام ستكون لهم دولة فلسطينية .

= هل تؤيد الاعتراف بالدولة الفلسطينية ؟

- أنا لست مستعد لإجراء مفاوضات أو مباحثات من خلف ظهورنا ولا أريد العودة لما فعلوه فى أوسلو ، لقد طلبت من رئيس الوزراء التعامل بمنتهى الشفافية ، فلن أصبح شريكاً فى شئ لا أعلمه .

= وفى هذا الخصوص ؟

- لست مستعداً للتحدث فى هذا الأمر فى الوقت الحالى، فمن المحظور علينا التحدث فيه طالما استمر الإرهاب .

= لقد حيد شارون وزير خارجيته بيريز عندما أعطاه الحماية لما يفعله ، وذلك لكى يفوز بتأييده وتأييد حزبه حول الميزانية ؟

- تأييد حزب العمل للميزانية أمر أصابنا بالأسف .

= هل هى مناورة سياسية ؟

- لا أعلم إن كانت هناك مناورة سياسية ، قبيحة أو عفنة.

= أنت تعلم أن هناك مناورة ؟

- إذا كانت هناك مناورة فإن هذا سيصبح أمراً خطيراً.

= إذن فقد كان الراب عوفديا يوسف عبقرياً .

- دان ، الذين لا يعرفون الراب ويلتقون به يخرجون بعد ذلك قائلين لى: إيلي ، كم تعرض الراب للظلم. إنهم يندهشون من قوته ، ومن عبقريته!

ومن السخف إعطاء عبقريته أى تقويم ، اقرأ الكتب التى كتبها ، إن كل عباقرة العصر يقولون أن تفاسير الراب لأحكام الديانة لم يكتب مثلها منذ مئات السنين .

= حكيم وعبقرى مثله يلقب يوسى ساريد بأنه فرعون أو أحد العمالقة الذين يجب تدميرهم وفى نفس الوقت يعد بالاحتفال على قبر شلوميت ألونى ؟

- الراب عوفديا لم يقصد الموت الجسدى لشلوميت

ألونى. إنما أراد القول أنه سيعقد احتفالا لخروجها من عالم السياسة. أما فى مسألة يوسى ساريد ، فقد أشار إلى أن ساريد يتصرف مثل العمالقة لأنه يريد إبادة وجود وجذور الشعب اليهودى.

= ولذلك فهل من المسموح إباحة دم ساريد ؟

- الراب عوفديا لم يستبح دمه ، ولم يريد التحريض، وانما قال ما يريده ، وقد انحاز الجمهور بأكمله لما قاله.

= الراب لا يحترم النساء !

- القليل من البشر الذين يقدمون هذا الكم الهائل من الاحترام للمرأة مثلما يفعل الراب عوفديا .

= لقد قال الراب أنه إذا مر رجل بين امرأتين فإنه كمن يمر بين حمارين فهل يعتبر هذا احترام ؟

- انا أجلس مع الراب واتحدث إليه ، والمشاعر التى يظهرها للنساء تدهش أى فرد .

= وهل يمكن القول أن العبور بين سيدتين مثل العبور بين حمارين ؟

- لقد قال الراب ما ذكرته الوصايا الصوفية (القبالا) ، من المحظور المرور بين سيدتين أو بين شجرتين معينتين. إذن ماذا فى هذا ؟

= وهل تعتبر النساء مثل الأشجار أو مثل الحمير ؟

- من المحظور أيضا العبور بين رجلين فى بعض الحالات المعينة ، إننا ندخل بذلك إلى علم الصوفية ، وانا لم أدرس الصوفية جيداً ، ولكن من يدرس ذلك العلم يستطيع تفسير ما تقوله بشكل آخر .

= هل تريد إقحام زوجتك "تسيفي" فى مسيرتك السياسية ؟

- كم اعتز بزوجتى ، وأنا أحافظ على منزلى بشدة ولن أدخل زوجتى أو أطفالى فى السياسة .

= ولكن ألا تستشيرها ؟

- زوجتى امرأة متواضعة جداً ، وبطبيعة الأمور فهى تستمع إلى أشياء كثيرة ، ولذلك فهى تمنحنى بعض النصائح .

= وهل تهتم بآرائها ؟

- لدى امرأة حكيمة ، وكل نصيحة تمنحها لى كانت مفيدة للغاية .

= هل ستؤيد إعطاء السيدات مكانة سياسية ؟

- كل فرد يفعل ما يؤمن به ، وكل رجل سياسي يعرف أين يضع زوجته ، فى المواجهة السياسية أو بعيداً عن تلك المعارك. وهناك زوجات لا تسأل أزواجها عن موافقتهم فى دخولهن عالم السياسة .

= مثل زوجة وزير المالية ؟

- لقد قال سيلبان بنفسه أنه لا يسأل زوجته عندما يقوم بإجراء أى حوار صحفى ، كما لا تسأله زوجته عندما تقوم بإجراء حديث صحفى ، كل زوجين ونمط حياتهما .

= هل سيخدم ابنك فى الجيش مثلما فعلت أنت ؟

- لقد خدمت فى الجيش ، وأغلب ناخبى حركة شاس وكل أعضاء الحركة خدموا أيضا فى الجيش ، ولكنك ستجد وزراء فى حزب العمل وميرتس لم يخدموا فى الجيش .

= وابنك وابنتك هل سيخدمان فى الجيش ؟

- سيفعل إبنى ما يرغب فيه ، وما يفهمه .

= ولن تتدخل فى قراراته ؟

- سأطمح أن يكون ابنى حاخاما متخصصاً فى التوراة .

= عملاقا فى التوراة وقزما فى الجيش ؟

- عندما يكبر ابنى ويصبح بالغاً بالقدر الكاف سيقرر ما سيفعله وسيقرر فى أى سن سيخدم فى الجيش ، فهذا شأنه .

= نعم ، هل أنت شخص حساس ؟

- أجل ، لدى مشاعر جياشة .

= هل تتفاخر بقوتك ؟

- أنا مندوب الجمهور ، وما أقوله دائما لأصدقائى هو: احذروا من التباهى بالقوة ، يجب أن تعلموا أنكم نواب عن الشعب ، فلا تسقطوا فى هوة القوة أو جرم التفاخر .

= أنت تشبه النجم اللامع المتدين ؟

- ماذا تعنى ؟

= زوجتى على سبيل المثال تقول أنك رجل جميل ، والوظيفة التى تناسبك هى عارض أزياء. هل فكرت قبل ذلك فيما قالته زوجتى ؟

- أشكر خالق الكون على كل ما أعطاه لى ، فهناك طفل يولد جميلا وهناك طفل آخر يولد أقل جمالا ، وهناك طفل له صوت عذب وهناك غير ذلك ، وهذا خلق الله.

= تهتم بملبسك بشدة !؟

- يشاي يبتسم !

= لماذا تضحك ؟

- أضحك ، لأن كل فرد يهتم بمأكله ومشربه وملبسه .

= ولكنك لست شخصاً كريزماتياً مثل درعى على سبيل المثال ؟

- أنا أتصرف بما أملك ، أما الكاريزما فهى هبة من الله .

= وهل يمكن أن يحدث هذا ؟

- أى فرد لم يولد قائد ، ولكنه بمرور الوقت يتعلم من الحياة.

= لقد اختارتك صحيفة معاريف أكثر رجال دولة إسرائيل إثارة من الناحية الجنسية هل تسبب لك هذا فى شئ ؟

- لم أفكر فى الأمر .

= لا أصدقك ؟

- لست مجبراً أن تصدقني .

= حاول أن تقنعنى !

- لقد كان من المثى على بشدة أن أقوم بالابتعاد عن العديد من الظروف القاسية التى يتعرض لها أى رجل .

= ولكنك فى النهاية بشر !

- نعم ، أنا بشر ، ولكنى لست عازباً ، أنا رجل متزوج ولدى زوجة ولدى أطفال ، ربما يكون من الجميل أن أسمع أنهم يصفوننى بالوسامة. ومثل أى شخص فى العالم عندما يقولون أنه وسيم فهذا يكون إطراء عليه ، ولذلك فأنا أقول للجميع شكراً لكم ، ولكن هذا الأمر ليس أساسياً فى حياتى

= إيلي يشاي ، شكراً لك.

- نعم أدرك ذلك

إنه يفسد لنا الصراع

هاآرتس ٢٠٠١/١٢/٢٧
بقلم :فيريد ليفي بيرزيلاى

فى شتاء عام ١٩٨٠ اندهش طلاب قسم الفلسفة بجامعة بير زيت متسائلين أين اختفى محاضرهم الدكتور سارى نسيبه . وعندما عاد قص عليهم أن أحد الزملاء الإنجليز أرسل إليه كتاباً فريداً من نوعه يحمل عنوان " الحفل "بقلم / كيت ويليامس وكان الكتاب فى مضمونه يمثل لغزا على طريقة "ابحث عن الكنز "وكان ذلك الكنز هو أرنب ذهبى صغير موضوع فى منطقة ما بانجلترا . وقد نسى الدكتور نسيبه القضية الفلسطينية والفلسفة الإسلامية (د. أستاذ الفلسفة الإسلامية) وغرق بكامل فكره فى محاولة لفك طلاسم ذلك اللغز وبعد عدد من الليالي لم يذق فيها طعم النوم سمعت زوجته صرخة سعادة مدوية انطلقت من حجرة عمله . لقد كان مقتنعاً أنه توصل إلى الحل . إن الأرنب مدفون فى نقطة محددة فى مقاطعة سساكس فى جنوب شرق انجلترا . وفى نفس اليوم اتصل بصديقه بسام العيسى وهو أحد المهندسين القاطنين بانجلترا وقال له "انتظرنى فى المطار هذا المساء ، ولتحضر معك فأساً " . وعندما هبط من الطائرة خرج الاثنان بسيارة العيسى دون أن يستريحا فى سساكس . لقد كان البرد هناك يجمد العظام ولكنهما خرجا فى منتصف الليل وعندما اقتربا من النقطة المنشودة اتضح لهما أنها تقع داخل ساحة كبيرة محاطة بالأسوار من كل جانب ، ثم اقترح العيسى عليه الذهاب فى الغد حتى يصبحا فى وضح النهار ولكن د. نسيبه بدأ فى تسلق الجدار وبعد فترة قصيرة هبطا على الأرض الخضراء ثم تحسسا طريقهما فى الظلام حتى قال نسيبه "هنا "ثم بدأ فى الحفر ، لقد حفرا وحفرا حتى الصباح ، ولكنهما لم يعثرا على أى أرنب . ثم عاد نسيبه إلى منزله بعد ثلاثة أيام خائب الرجاء ، واجداً صعوبة فى العودة إلى عمله التقليدي . ومر عامان وقرر ويليامس نشر حل اللغز وكشفه فى كتيب صغير ، وقد أسرع نسيبه إلى شراء ذلك الكتاب - بالمناسبة ذلك الكتاب موضوع فوق أحد أرفف مكتبته حتى الآن - وقال لماذا ؟ إن الحل الذى توصلت إليه أفضل بكثير . إنه قريحة تفكيرى ، وأنا لست مستعداً أن أهدم نظريتى فقط بسبب وجود حل فنى ابتدعه شخص غيرى.

إن ما حدث لم يكن المرة الأولى كما لم تكن الأخيرة ، فقد اكتظت حياة نسيبه بالعديد من الأحداث التى تصيبه بالإحباط بسبب فكره المتميز الذى يتحطم على أرض الواقع. لقد كان هذا فى بداية الثمانينيات عندما وجد صعوبة شديدة فى فهم رفض إخوته الفلسطينيين قبول اقتراحه العبقرى بالانضمام إلى إسرائيل كمواطنين لهم نفس الحقوق.

وفى عام ١٩٩١ وبعد أن أجرى اتصالاً هاتفياً عادياً مع أحد الأشخاص الذى عرض نفسه على أنه سفير العراق فى تونس وسأله أين وقعت الصواريخ العراقية فأجاب دون تفكير "فى مكان ما فى تل أبيب "وبعد ذلك تم القبض عليه بتهمة التجسس لمدة ثلاثة أشهر . وقد حدث أيضا شئ مماثل يوم الأحد الماضى عندما ارتدى أزهى ملابسه احتفالا بعيد الفطر وقام - بإسم منظمة التحرير الفلسطينية - بدعوة العديد من المثقفين، وبعد فترة قصيرة تم إبلاغه أن ذلك الاحتفال قد تم إلغاؤه بواسطة السلطات الإسرائيلية كما تم التحقيق فى الشرطة الإسرائيلية .

= وماذا حدث لك عندما قامت الشرطة بإلغاء الاحتفال بشكل مفاجئ فى فندق "إمبريال "وقامت بالتحقيق معك فى قسم الشرطة ؟

- "لقد كنت مندهشاً ، فعندما تم الاتصال بى وقفت أمام المرآة وقمت بحلق ذقنى ولم أفهم ما هى القصة بالتحديد . ولم أتخيل أن هناك مشكلة فى عقد احتفال مثل هذا بمناسبة عيد الفطر " .

= ولكن ما الأسلوب الذى تتخذه ، هل وداعة أم تظاهر بالسذاجة ؟

- "أعتقد أنها وداعة ، وأظن أن الناس يعتقدون ذلك بالنسبة لى ، إن أغلب أصدقائى يقولون هذا على " .

= ولكن هل تمت إهانتك أو إكسابك مثل هذا الشعور ؟

- "كلا . لقد عاملونى بلطف ، وبشكل طبيعي . لقد كانت الشرطة على أحسن ما يرام فى تعاملها معى . فمن الصعب أن يعاملنى أحد بذلك ، فمن يحترم نفسه يحترمه الآخرون " .

= وهل غضبت من هذا ؟

- "كلا ، لقد كنت مندهشاً ، وبعد فترة طويلة شعرت بالقليل من التسلية من ذلك الأمر . ولم يكن من الصعب توقع نتائج تلك الخطوة الغريبة فى إسرائيل وفى العالم أجمع . ولم أخمن أن رمز منظمة التحرير الفلسطينية عام ٢٠٠١ سيؤدى إلى ذلك الرد العنيف . ولكن منذ اللحظة التى أعلن فيها أن ذلك الحفل سيتم اعتباره وأنه يمثل تهديداً أو إعلاناً للمواجهة السافرة ضد الإسرائيليين حتى حدث ما حدث ، ومن الواضح أن هناك العديد من النقاط فى تلك الحادثة ستصبح فى صالحنا " .

= إذن فإن الحادث الذى كنت فى مركزه وتسبب فى خلق اضطرابات إعلامية فى إسرائيل وفى العالم أجمع مر عليك دون أن يترك أى رواسب شعورية ؟

- "هذا صحيح ، أنا إنسان بإمكانه كبح زمام أعصابه ، وأسعى دائما أن أكون رجلا عقلانياً ، ولكن هذا لا يعنى

أننى بلا مشاعر ولكنى لا أجعل المشاعر تتحكم فى تصرفاتى . وبشكل عام فإننى استخدم أساليب متعددة للتعامل مع تلك المواقف ومع المشاعر والأحاسيس السلبية حتى لا يجبروننى على فعل تصرف معين . ومن المحتمل أن أكون قد أخطأت . ولكنها وجهة نظرى الشخصية ، فأنا لست خبيراً فى التعامل مع الآخرين أو شئ من هذا القبيل ، ولكن يبدو لى أنه من الجدير للبشر أن يفكروا بعقولهم وليس ببطونهم " .

أصدقائى

هجمة على قرية ياسيف :

فى يوم الخميس الماضى ، الساعة الرابعة بعد الظهر ، بدأ الحوار مع نسيبه خلال سفره إلى قرية ياسيف فى الجليل ، حيث سيحضر حفل سيكون فيه ضيف الشرف . أما المحامى جواد بولس فقد قاد السيارة وكان فى السيارة المضيف والمستشار القضائى لسارى نسيبه - وهو المستشار القضائى واليد اليمنى لفيصل الحسينى - وفى منزله كان ينتظره رؤساء تحرير بعض الصحف مثل " الاتحاد "و "كل العرب "و "فصل المقال "و "السنارة " ، فضلا عن بعض أعضاء لجنة المحررين .

وبعد ذلك اتضح ان نسيبه يجذب النيران إليه من جميع الاتجاهات ، وما كان من المقرر أن يصبح حفل تبرعات إلى المدرسة الثانوية سرعان ما تحول إلى ساحة ترقب علنية . فالتصريحات التى كتبها ورددها نسيبه فى الماضى - فيما يتعلق بالتنازل الفلسطيني عن حق العودة ، وممارسة العنف بين الطرفين ، والتنازل عن مصطلح الانتفاضة كوصف لما يحدث فى المنطقة - جعلت كل الحاضرين يقفزون من فوق مقاعدهم فى القاعة . وبدءوا يتحدثون إلى نسيبه بلهجة ضمنية . حتى أن أحد الأشخاص توجه إليه بلهجة شديدة : «أنت تتحدث كمن يقف موقف المتفرج ويعطى بعض المقترحات لقادتنا ولكنك جزء من تلك القيادة، أليس كذلك ؟ إذن فأنا أطلب منك ان تكون حذراً فى أقوالك ؟ فهل ما قلته هو الموقف الرسمى لمنظمة التحرير؟ " .

ثم هاجمه أحد الأفراد : "لن نتنازل عن حق العودة أبداً . إنه الحق الذى اعترف به القانون الدولى ، فمن وضعك لإلغائه ؟ "وقام بعده أحد الصبية بتأنيب نسيبه : فى الفترة التى يواجه فيها الشعب الفلسطيني عنفاً لم يسبق له مثيل من قبل الدولة الإسرائيلية ، يتوجب علينا أن نعمل من أجل الوحدة الوطنية ولا نقدم آراء تقسم الشعب وتضعفه .

أما رؤساء تحرير الصحف الذين تصرفوا منذ فترة قليلة وهم فى منزل بولس بأدب شديد بدأوا فى تغيير جلدهم على الفور . أحمد سعد رئيس تحرير صحيفة " الاتحاد " وهى الجريدة اليومية للشيوعيين تحدث بغضب شديد ضد فكرة التنازل عن حق العودة . إبراهيم مالك رئيس تحرير "فصل المقال " وهى المجلة الأسبوعية للحركة الإسلامية انضم إلى موجة الاحتجاج : " كيف تقارن بشكل عام بين عنف الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني وبين الانتفاضة التى تأتى كرد فعل لها ؟ " .

ولكن هذا استمر واستمر ، فقد جلس نسيبه على قمة المجد . وعلى يساره جلس رئيس القرية عونى توما . أما بولس المضيف - على الجانب الآخر - فقد بدأ فى التحرك فى ساحته بعدم راحة . ولكن نسيبه لم يفزع من الهجمات المسلطة عليه . فقد بدا مفكراً يدون لنفسه العديد من الملاحظات . وقد ارتدى ملابس عادية للغاية ، وفوق ظهر المقعد كان ملقى عليه البالطو الذى يملكه .

الخلط يثير التعصب

إن نسيبه البالغ من العمر ٥٢ عاماً هو ابن لأسرة فلسطينية راقية . لقد تربى فى حي الشيخ جراح بالقدس وهو ابن أنور نسيبه وقد عمل وزيراً للدفاع في عهد الملك حسين كما عمل سفيراً للأردن فى انجلترا . أما المنزل الذى تسكن والدته فيه كان ولازال منزلاً فلسطينياً ارستقراطياً مبهراً به أثاث يدل على ثراء فاحش ، وفى طفولته كان ذلك المنزل تجمع لأغلب السفراء الأجانب . وقد كان المربين الأجانب يعتنون بأطفال ذلك المنزل لتعليمهم الإنجليزية . وقال أن هجاء إسمه الصحيح بالعبرية يكون باستخدام السين العادية (وليس سين سامخ) وأن خطأ استخدام السين السامخ يعود إلى سنين مضت . إن أصل إسمه يعود إلى إسم سارة ومعناه بالعربية هو السمو والارتقاء بالأمر ، وقد أعده والداه لكى يصبح كبيراً منذ طفولته . إن نسيبه هو خريج جامعة أوكسفورد وقد حصل على الدكتوراة من نفس الجامعة فى الفلسفة الإسلامية وعمل لفترة فى جامعة هارفارد . أما زوجته لوسى فهى إبنة الفيلسوف البريطانى جون أوستين ، ولديهما ثلاثة أبناء كبار جمال (٢٤ عاماً) وعبسال (٢٢عاماً) بوريك (١٩عاماً) وإبنة صغيرة تسمى نزهة تبلغ من العمر تسعة أعوام . والأسرة كلها تسكن فى منزل واحد فى منطقة بيت حنينا وينتظرون استصدار تصريح بناء على ساحة اشتراها نسيبه فى منطقة أبو طور الواقعة بجوار قصر المندوب السامى. كما أن لديهم كلبا من سلالة مشتركة اسمه روبر .

إن نسيبه هو ابن أسرة أحد قادة الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ والذى كان يعمل لسنين طويلة مع رؤساء حركة فتح فى الأراضى المحتلة، ثم اختفى منذ عام ١٩٩٢ من الساحة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية وبذل جهده فى الجانب الأكاديمي . والآن أصبح نسيبه فى أوج عودته السياسية ، وحتى الآن لا يزال فى جامعة القدس التى يرأسها ولكنه سيأخذ اجازة عما قريب وينقل كل حمله على الجانب الآخر من عمله وهو العمل السياسي المختلط فى المعترك السياسي لعرفات . لقد اشترك نسيبه فى العديد من المناقشات المهمة وأعرب عن آرائه فى كثير من المرات كما أنه التقى مع القائد عرفات أكثر من مرة ، وقد كانت تلك اللقاءات منفردة مع عرفات . ويقول نسيبه أنه

لا يملك أية تطلعات سياسية وإذا قال عرفات له أن يذهب بعيدا عن السياسة فإنه سيعود إلى الحرم الجامعي بكل سعادة .

إن هذا الخلط المثير للتعصب يسمح لنسيبه بالاشتراك في اللعبة وفقاً لقواعده الشخصية وبرغبته، أصبح بروفيسوراً لمادة الفلسفة وهو يتمتع بمكانة سياسية خاصة . وبرغبته أيضا أصبح أحد الأعضاء في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ويتمتع أيضا بمكانة المثقف . وبهذا فهو يسمح لنفسه بفعل ما يخشى أغلب من يحيط بعرفات فعله ، فهو يوجه سياسة انتقادية حادة له ويقوم بتقديم مقترحات لا تتماشى مع الخط الرسمي للسياسة الفلسطينية . وربما بسبب هذا فإن عدداً غير قليل من الناس - من الشارع الفلسطيني والإسرائيلي- لا يعرفون كيف يتغلبون عليه . وفي إسرائيل كان على علاقة برجال حزب ميرتس وحمائم حزب العمل ، أما حليفه الفلسطيني فهو جبريل الراجوب . والآن يعمل بصورة مكثفة من أجل دفع المصالح الفلسطينية قدماً في القدس ، منذ أن تم تعيينه بواسطة عرفات كممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية في القدس ، وفي أكتوبر الماضي طرأ تغيير فوري في مكانته الإعلامية . وفي لقاء منتدى "حقيقة القرن الحادي والعشرين "الذي عقده يوسي بيلين مع أعضاء حزب العمل ، وفي صباح يوم الجمعة في "بيت سوكولوف " أثار المندوبون الإعلاميون عاصفة حادة ضده وكأنما جاء للتوقيع مع بيلين على اتفاق سلام مع إسرائيل . وفي وزارة الدفاع كان هناك شخص رفيع المستوى يقول "يجب توخي الحذر من أشخاص مثل نسيبه بشكل كبير "وعندما استمع بيلين إلى مثل تلك الأقوال انفجر بالضحك . وقال "بلى ، بلا شك نسيبه خطر حقيقي ، على اليمين الإسرائيلي . فمن السهل عليهم التعامل مع الشيخ أحمد ياسين وأمثاله . ولكن ماذا سيفعلون مع قائد فلسطيني مستعد لإخلاء اللاجئين من دولة فلسطين بدلا من دولة إسرائيل ، ثم يعلن أن حلفاءه الحقيقيين هم نحن الإسرائيليون ؟. وهنا تكمن مشكلة معقدة وخطيرة ". وربما بسبب هذا لقبه الوزير عوزي لنداو "أنه الوجه الجميل للإرهاب "، وقد امتدح رئيس الوزراء لنداو على عمليته الجريئة التي شنها ضد مبادرته الأخيرة . ولكن وزير الدفاع بنيامين بن إليعازر قال عنه قبل بضعة أسابيع في محادثة داخلية : هذا الرجل له خط براجماتي ، وقادة مثل نسيبه غير متعنتين كما أنهم غير متعصبين في مطالبهم ، ولكن مع هؤلاء هناك فرصة لإقامة محادثة تؤدي إلى اتفاق واقعي . إن عرفات أسير تاريخه ، وشخص مثل نسيبه يطلب تقريبا نفس المطلب القومي ، ولكنه يدرك أن مطلب حق العودة الفلسطيني هو عبث دون أن توافق إسرائيل عليه ولذلك فهو مستعد للتنازل فيما يتعلق بهذا الشأن ".

وفي الشارع الفلسطيني يعد نسيبه شخصية محل خلاف ، فقد تم اعتباره كمن يجلس في البرج الأكاديمي العاجي رافضا تلطيخ يديه في وحل السياسة ، ولكن أفكاره ونسبه الرفيع - حيث أنه واحد من أهم وأبرز أربع أسر فلسطينية في القدس - تثير خوفاً شديداً ، فهو يجلب عداءً شديداً بسبب آرائه غير الرسمية وغير القابلة للهضم ولذلك يتم تقديره على خلفية مواقفه تجاه الحرية بأنه يسمح لنفسه أنه يتظاهر بتأييده لتلك الحرية . لقد ادعى معارضوه أنه رجل اجنبي وغير فلسطيني كما انه لا يشعر على الإطلاق بمأساة الشعب الفلسطيني ، حيث أنه رجل من الأثرياء البريطانيين أكثر من كونه لاجئ فلسطيني . إن جزءاً مما قيل بالقطع صحيح ، فهو رجل لا يشعر بالفقر الفلسطيني كما أن أبناءه ساروا في أعقابه للتعلم بانجلترا . ابنه جمال يبدو عليه أنه أحد النبلاء البريطانيين . ولكن هناك أيضاً آراء سابقة في كل الادعاءات ضده . فمن جانب والدته - رئيس منظمة النساء المسلمات الدولية والمرأة الشهيرة والمعروفة بأنها ذات شخصية صارمة - فإن نسيبه ابن لأسرة لاجئين من رام الله تعرضت للطرد وفقد المنزل والثروات . فالأسرة - مثل أسر أخرى عديدة - تشتت في أرجاء المعمورة . أفراد معدودون في أسرة نسيبه هي التي بقيت في منزلها بالأردن والبعض الآخر كان في إمارات الخليج . وبالإضافة إلى ما سبق فقد أصيب والده أنور إصابة بالغة وفقد إحدى أقدامه في حرب ١٩٤٨ عندما وطأ أحد الألغام . لقد تعرض نسيبه لألم ومعاناة لا تقل عن أي فلسطيني ، ولكن ما دعم آراءه هو أنه أحد القادة الفلسطينيين ، وأنه يملك العديد من الصفات مثل الحكمة والرقة والفطنة والتواضع وفضلا عن كل هذا فهو مهاجر من الدرجة الأولى .

لا يزال تحقيق المعجزة أمر ممكن:

في القاعة الثقافية بقرية ياسيف تلقى نسيبه موجة واسعة من الانتقادات بقوة وحزم . ولكنه لم ينغلق على نفسه أو يحتمي بذاته أو يستخدم لهجة غير واثقة ، وإنما كان يلقي نظرات غير مباشرة تجاه المتحدثين ضده ويرد على أسئلتهم وتعليقاتهم بهدوء وجدية من خلال اقتناع تام بفكره ولكن دون أي تعال أو كبرياء ، وعندما كان يتحدث كانت تعلو فوق فمه ابتسامة هادئة

قال نسيبه: "أشكركم من صميم قلبي على ما قلتموه هذا المساء ، إنها أمور مهمة وتشهد على رقي فكر وبُعد نظر واسع ، ومثلما قلت لكم فيما سبق فإنني لست خبيرا في تلك الشؤون ، وتقريبا ليس لدى معلومات أكثر من التي لديكم . ومن المحتمل أن أكون مخطئاً على الدوام. ولكن على أية حال فليس من المفروض أن تكون الحقيقة على طول الخط بجانبي ، ولكني أريد توضيح الأمر بشكل صريح حتى النهاية ، فإن أردت خداع نفسي بوجود شئ ما فإنني لن أستطيع النوم طيلة الليل . يجب أن أكون صريحا مع نفسي قبل أي شئ . وبنفس المقدار معكم جميعاً ومع أي فرد أرغب في أنقل له أفكاري وآرائي . أتمنى أن تصدقوا ما قلته ولا تصدقوا شيئاً سواه . ثم أضاف في

نهاية حديثه لا يوجد أى جديد فى مسألة التنازل عن حق العودة . فاللاجئون سيعودون إلى دولة فلسطين المستقبلية بدلا من إسرائيل . وقد أوضح المفاوضون الفلسطينيون ذلك الأمر فى كامب ديفيد الثانية للإسرائيليين . ويتوجب على الفلسطينيين إدراك أنه لا يحتمل وجود اتفاق بدون هذا التنازل ، مثلما يتوجب على الإسرائيليين إدراك أنه لن يتم التوقيع على اتفاق سلام بدون العودة إلى حدود ١٩٦٧ فضلا عن ضرورة تقسيم القدس . وحول هذا أضاف نسيبه بعض النقاط التالية : يتوجب على إسرائيل الاعتراف بمسؤوليتها الأخلاقية عن التسبب فى أزمة اللاجئين ووضعهم المتردى كما يتوجب عليها تقديم المعونات والتعويضات . إن الأحداث التى تمت منذ سبتمبر ٢٠٠٠ هى رد فعل فلسطينى للاستفزاز الإسرائيلي (زيارة أريئيل شارون للحرم الإبراهيمي) والذى أدى إلى حدوث رد فعل إسرائيل وهكذا دواليك . إن ما حدث لا يمكن تسميته انتفاضة ، إنما عنف مسلح ومتبادل مشبع بالدم والغضب وعلى كل طرف من الطرفين وقف العنف تجاه الآخر . فالعنف والاحتلال الإسرائيلي هو أمر سئ وفظيع لا أكثر ولا أقل من عنف إرهاب الانتحاريين ، والعكس صحيح . ويقول نسيبه أن هناك احتمالان لحل النزاع إما دولة واحدة ثنائية القومية أو دولتين لشعبين . والحل الثانى هو أفضل الحلول على الإطلاق ولكن بسبب أخطاء صغيرة لم يتفهم قادة الشعبين تقديم التنازلات التى سبق ذكرها من أجل التوقيع على اتفاق سلام كامل . كما يعتقد نسيبه أن الوقت الذى يضيع يسبب خسارة كبيرة للفلسطينيين ، وأن الوقت الحالى يعتبر بمثابة الدقيقة التسعين فى المباراة . وبعد حوالى عشرة أو خمسة عشر عاماً لن نجد من يتحدث عن قيام دولة فلسطينية مستقلة . والآن أيضا فإن الحقائق التى تستخدمها إسرائيل فيما يتعلق بأسلوب الأمر الواقع (المستوطنات) تجعل مسألة تقسيم الأرض أمر شبه مستحيل . ويضيف نسيبه أنه رغم هذا لا يمكن أن نفقد الأمل . وكلما زاد الأمر سوءا انفتحت أمامنا الفرصة لبذل جهد أكثر . وعلى كلا الطرفين أن يقولا بوضوح يجب ترك العواطف والاتجاه إلى قرارات الشجعان . وبهذا يمكن تحقيق تلك المعجزة .

ولكن كيف ؟

"يتوجب على كل طرف من الطرفين القيام بتقديم أصعب التنازلات من جانبه فهذه هى مسؤولية قيادتهما كلا الطرفين . وبالنسبة للشعبين فإن هناك استعداد ضخم لقبول تلك التنازلات . ولكن يتوجب على القادة بذل المزيد من الجهد لإقناع الفئة المعارضة ، ثم تقوم برسم الخطوط العريضة لمحو حلم الماضى القديم ، واستبداله بحلم واقعى جديد له صلة بالحاضر والمستقبل . ومن يتمسك بالماضى فإنه يريد إعادة سماع الشريط القديم مرة أخرى ، وبهذا يعلن عن عدم قدرته على تغيير الحاضر ، كما أنه لن ينطلق إلى آفاق جديدة " .

= ماذا يتوجب على السلطة الفلسطينية التى تعتبر اليوم أحد أفرادها ؟

- "الفلسطينيون يعيشون فى تلك الفترة حياة قاسية ، فهم يشعرون بالقهر والظلم ، وبصعوبة يحصلون على ما يسد رمقهم ، لقد أوشكوا تقريبا على نسيان معنى كلمة الحياة الطبيعية . والحلم الجديد سيوفر لهم حياة طبيعية . وما يتوجب علينا فى تلك الفترة هو زرع ذلك الحلم فى عقول الفلسطينيين ومحاولة تحقيقه لهم " .

= وهل سيكون هذا عوضاً عن حلم حور العين العذارى اللأتى ينتظرن الانتحاريين فى العالم الآخر ؟

«هذا أمر فظيع ، أى نوع من الأحلام هذا!! وهل من الممكن أن يضحى فرد بحياته وهو فى العشرين من عمره من أجل العنف والقتل ؟ ربما أكون مخطئاً ولكنى مؤمن أن المستقبل الذى سنحلم به هو ما يجب أن يكون ، ولهذا فأنا أناشد أخوتى الفلسطينيين أن يحلموا بالأحياء الراقية التى تنتظرهم ، والأجور المرتفعة والمنازل المرفهة وبالعلاقات المتميزة بالآخرين وبالأطفال الذين يرتدون أفضل الملابس ويدرسون فى مدارس تحسن تعليمهم وعندما نطلب من هؤلاء البشر أن يقدموا تنازلا ضخما يجب أن نعطيهم سبباً جيداً وحقيقياً لهذا التنازل " .

ذات مرة قمت بتعريف المجتمع الإسرائيلي بأنه مصاب بمرض الانفصام النفسى (الشيزوفرانيا) فى علاقته مع العرب . فما مشكلة الفلسطينيين بشأن تقديمهم التنازل الأكبر ؟ بمعنى آخر ما هو المرض الذى تعانون منه ؟

المهانة التى يشعر بها الفلسطينيون تجاه عدم الاعتراف الإسرائيلي بالمسئولية عما قامت به إسرائيل .

= وهل هذا هو مصدر الكراهية والغضب ؟

- "فى رأيى نعم ، أنا لست خبيرا فى تلك الشؤون ، ولكنى أعتقد أن هناك تشابهاً شديداً بين السلوك النفسى للفرد وللجماعة . فماذا يريد هؤلاء البشر؟ أنهم يريدون أن يحترم الآخرون مشاعرهم . وأن يداووهم إذا أصيبوا . فإذا تسببت فى ضرر لشخص ما ولم أطلب الصفح منه ولم أعلن مسؤوليتى عما حدث له فإن دائرة الغضب والكراهية ستظل مفتوحة"

= إذن ، هل إذا طلبت إسرائيل الصفح فإن السلام سيتحقق ؟

- "يبدو ما تقوله بسيطاً ، وسطحياً ولكن فى نظرى لا يبدو كذلك، إن كل ما حدث لدينا متشعب فى طبقات مختلفة من الثقافة والعادات والتقاليد ، فإذا دهس شخص ما صبيياً صغيراً فى السن وحتى إن قتله - وهذا أسوأ ما يمكن أن يحدث - فإنه ملزم بالذهاب إلى والديه والوقوف أمامهما واعلان مسؤوليته عن الحادث وطلب العفو والصفح منهما . ثم يعرض عليهما تعويضا عما حدث ، وهذا لا يغير بشكل عام إن كان - قضائياً - مذنباً أم غير مذنب . بتلك الوسيلة فقط يمكنهما التغلب على الألم والاستمرار فى حياتهما . أما إذا لم يذهب إليهما فإنهما لن ينسيا الأمر وسيظل الحساب بينهما مفتوحاً وسيظلا يريدان الانتقام إلى الأبد . وأعتقد أن الفلسطينيين

سيجدون صعوبة شديدة فى الاستمرار فى حياتهما لأن إسرائيل غير مستعدة للإعلان عن مسؤوليتها فيما حدث للفلسطينيين ولذلك فإن دائرة الانتقام ستظل تدور " .

= وماذا يعنى هذا بالنسبة للفلسطينيين ، أنه دائماً فى موقف الضحية ؟

- دائما آمل ألا يحدث هذا ، ولكنى أوافق أن هناك شيئاً ما يستحق هذا الوصف . وخاصة فيما يتعلق بالممارسات اللانهائية التى يقوم بها الجانب الإسرائيلي تجاهنا . وهذا الأمر يغذى نفسه بصورة سلبية داخل دائرة مغلقة .

= لقد دعوت الفلسطينيين أكثر من مرة الخروج من وصف الضحية ، وعدم الوقوف فى موقف المنتظر، إنما يتوجب البدء فى اللعبة ولكن من مكان جديد ومن موقف جديد . ثم اقترحت أن تقوم إسرائيل بضم الضفة الغربية وقطاع غزة وتعطى للفلسطينيين حقوقاً مثل عرب إسرائيل . ومرة أخرى يجب على الفلسطينيين الإعلان عن قيام دولة لها حدود واضحة لهم ، دون الاهتمام بالرأى العام الإسرائيلي أو العالمى. ثم اقترحت إقامة حكومة مؤقتة ، ما تعليقك حول هذا ؟

- "هذا صحيح . ولشدة أسفى فإن اقتراحاتى لم يتم قبولها وأنا مؤمن أن مسيرة الإصلاح القومى يجب أن تنفصل عن الماضى . ويجب أن يحدث تغيير فى جدول الأولويات، فضلا عن ضرورة اتخاذ مبادرة واضحة " .

دعنا ننتقل إلى مسألة المرض القومى الإسرائيلي .

بكل سرور

= ما هو موطن المشكلة الإسرائيلية فى رأيك ؟

- «مرة أخرى ، وربما أكون مخطئاً ، ولكن يبدو لى أن عدم القدرة على تقبل الإسرائيليين لفكرة أن دولة إسرائيل نشأت عن طريق الخطأ هو الخوف الفطرى من العرب .

= هل تقصد - عندما استخدمت كلمة خطأ - النكبة ؟

- نعم ، وما هو أن حدث خيراً للإسرائيليين كان وبالا على الفلسطينيين ، فما يرغبه الإسرائيليون فى الدولة لكى تكون جنة الله فى أرضه يستلزم منهم إدراك أن قيام دولتهم وجنتهم طوى بين جنباته كارثة لشعب آخر ، وهذا أمر لا يستطيع اليهود أنفسهم تحمله وهو التسبب فى ظلم الآخرين، الأمر الذى ألحق بإسرائيل وصمة عار لا يمكن محوها وقد سمعت هذا من العديد من المثقفين الإسرائيليين .

= وماذا عن الخوف الفطرى من العرب ؟

- "أعتقد أن أغلب الإسرائيليين عندما يسمعون عن " حق العودة "فإن الرعب يتملكهم . فهم يرون فى خيالهم ملايين العرب ينقضون على إسرائيل ويستولون عليها . ولا يفهمون أن هناك فارقاً جوهرياً بين حلم العودة الشخصى والجرح الدامى فى قلب كل لاجئ وبين حق العودة كمصطلح سياسي يتم النقاش العام حوله " .

= هل من الممكن أن توضح ذلك ؟

- "لن أذهب بعيدا ، لقد كانت والدتى إحدى اللاجئات ، وتم طردها من منزلها فى رام الله ورغم أنها قضت أغلب سنوات حياتها فى القدس إلا أنها لم تكف عن التحدث إزاء ذلك . إن شوقها وحنينها للعودة إلى بلدتها كانا بلا حدود ، وعندما كنت صغيراً سألت نفسى هل هذا حقا ما تريده أمى ؟ وهل تريد العودة حقا إلى رام الله ؟ حتى بعد أن أدركنا أن منزلنا تهدم واصلت الحديث فى ذلك الأمر . وعندئذ فهمت أنها تريد العودة ١٥ كم غرباً وأكثر من ستين عاماً للخلف . وهذا أمر مستحيل .

إن حلم عودة اللاجئين لا يمكن وصفه بالمصطلحات الجغرافية ، إنما بالمصطلحات الزمنية . وهذا الحلم يعبر عن أحاسيس عميقة من الألم والرغبة فى الحصول على تعويض . ولكن فى عالم الواقع يتم ترجمة تلك المشاعر إلى مصطلحات سياسية فنية، وعندما قلت هذا فى إحدى الندوات التى حضرها ياسر عرفات هاجمنى بعض الحاضرين . فقلت لهم : يجب علينا التحدث بصدق وأن نميز بين ما هو ممكن وبين ما هو مستحيل . إن أمى لا يمكنها العودة إلى منزلها القديم فى رام الله . ولكن حق العودة هو حق مقدس كما أن حقنا فى إقامة دولة مستقلة هو أمر لا يقل قدسية . وأيضا حق اللاجئين فى سوريا ولبنان للعودة فى بناء حياة جديدة داخل دولة فلسطين المستقبلية هو أيضا حق مقدس . وحقوق الطفل القاطن فى معسكر اللاجئين فى غزة ورغبته فى العيش حياة كريمة الآن وليس بعد ستين عاماً هى أيضا حقوقاً مقدسة . والإسرائيليون فى سعيهم للإصلاح القومى يحتاجون إلى الاعتراف بأن إسرائيل ليست بريئة أو خالية الوفاض مثلما يدعون، بل هى على العكس من ذلك .

= وعندئذ ماذا سيحدث ؟

- "وعندئذ سيتوجب على الفلسطينيين تقديم أكثر التنازلات إيلاماً وهو التنازل عن فلسطين الكبرى ، ومن ثم سيتنازل الإسرائيليون عن حلم إسرائيل الكبرى والقيام باتخاذ قرار شجاع يقضى بالتقسيم العادل للأرض بما فيها القدس .

عندما وافت فيصل الحسيني المنية بالسكتة القلبية فى الكويت فى مايو الماضى ، ترددت شائعات أن عرفات جعل شخصاً ما يضع له سماً فى قهوته . وهذه الشائعة بالطبع لا أساس لها من الصحة ، ولكنها تشير إلى الاتجاه العام الذى ساد الأجواء حول قصة وفاة الحسيني . والآن يتوخى العديد من المقربين من نسيبه الحذر حتى لا يجعلونه يتعدى الخط الأحمر الذى قد يثير الرئيس عرفات ، وهو الخط الذى لا يعرفه أى فرد . وقد قال نسيبه فى ذلك الأمر أنه غير خائف ، سواء من هذا الجانب أو من جانب الشارع الفلسطيني ، فالفارق بينه وبين الحسيني يوضح أن الأخير كان رجلا سياسياً وزعيماً له طموحاته السياسية أما هو فليس لديه أي من تلك الطموحات ولذلك فهو لا يشكل تهديداً على أى فرد .

الفراغ الذى تركه الحسيني خلفه بعد وفاته ابتلع نسيبه

بسهولة ، الذى قال أنه لولا وفاة الحسيني وإذا لم يكن هناك تدهور حاد فى الأوضاع بين كلا الشعبين لكانت ستصبح هناك شكوكاً كثيرة حول تحول وجهة نسيبه وعودته إلى السياسة مرة أخرى . وعندما كانت المسيرة السلمية قائمة شعر نسيبه أنه يستطيع السماح لنفسه بالدخول فى العالم الأكاديمي . ولكنه عندما رأى الأخطاء الفظيعة التى يرتكبها القادة، فضلا عن التصعيد الخطير فى الوضع الأمنى بين الطرفين وجد انه لا يستطيع الجلوس صامتاً أكثر من هذا .

= هل أخطأ عرفات عندما رفض عرض باراك فى كامب ديفيد ؟

– "نعم ، لقد أضاع فرصة ذهبية ، وقد أوضحت هذا فى مناسبات عديدة . فلو كنت مكانه لقلت فى البداية نعم ، وبعد ذلك كنت سأقترح على باراك برنامجاً معيناً : حسنا ، هيا نوقع على تلك الاتفاقية ، سنتنازل عن حق العودة وأنتم ستوافقون على الانسحاب لحدود ١٩٦٧، بالإضافة إلى تسليمنا نصف القدس ، وأنا أقولها لك اليوم أن باراك كان سيوافق وكنا سنصبح اليوم فى وضع مختلف تماما عما نحن فيه» .

= وهل كانت ستصبح هناك دولة للشعب الفلسطيني ؟

– "بالطبع ، نعم " .

= وكيف سيحتمل عرفات تلك الأقوال التى صرحت بها ؟

– "أنتم تنظرون لعرفات بشكل غير حقيقي وغير عادل بالمرة ، إن عرفات يتعامل بتسامح واحترام شديدين مع أى فرد . إنه إنسان يحترم كل الناس ، وهو يدرك وجهات نظرى الليبرالية ، كما أنه يهتم بسماعها والإنصات إليها "

= إلى أى حد تصل ليبراليتك على المستوى الشخصى ؟

– "لا أعلم "

= هل من الممكن أن تتزوج ابنتك نزهة – عندما تكبر– بشخص مسيحي أو يهودى ؟

– سأحترم قراراتها وعلى أية حال سأدعم فكرها بآرائى بالطبع .

= ما رأيك إزاء قتل النساء المسلمات تحت ما يسمى بـ " تطهير شرف العائلة "؟

– "ماذا يعنى هذا ؟ "هذا قتل ، جريمة ، عمل إجرامى فظيع لا إجابة عليه " .

= كيف ترى بن لادن ؟

– "شخص مهووس ، مجنون . وما قام به لا صلة له بدين الإسلام الذى أعتنقه " .

= وظاهرة الانتحاريين الذين يفجرون أنفسهم فى الشوارع الإسرائيلية؟

– "أنا ضد قتل المدنيين بأى شكل وأى صورة . ومن جانب آخر، فإن هؤلاء الانتحاريين يضرون بشدة الشعب الفلسطيني ، ويشكلون واقعاً نفسياً قاسياً يحتاج إلى الدراسة . ولكن مثل بن لادن ، فإن ربط ما يفعلونه بالدين هو أمر ضرورى بالنسبة لهم . أنا شخص غير متزمت بالجانب الديني ، وأى طموح أخروى لا يطرأ على ذهنى أبداً . فالقرآن – حسبما أفهمه – ملئ بالرأفة وحب الآخرين " .

= إذن من أين ولدت فكرة الشهداء والجهاد الداعى لقتل الشعوب ؟

– هذا أمر لا يقتصر على الدين الإسلامى فحسب ، ولشدة أسفى فإن التفاسير التى توضح الأديان تبعث برسالة تختلف عما يريد أصل المصدر إبلاغنا به . لقد تم تزييف روح النص وتم طمسه واستخدامه أسوأ استغلال تحت شعار عمل الخير وأداء ما هو مفروض . إن الجهاد الحقيقي أمر يختلف تماماً عما يحدث الآن ، وفهمى الشخصى للمعنى المراد هو عمل داخلى ينبع من داخل الفرد للارتقاء بذاته . ومجاهدة الإنسان لنزواته ورغباته الشريرة هى نضاله الحقيقي للوصول إلى درجات أخلاقية سامية" .

= وعندما ترى تلك الفجوة ، هل تصاب باليأس ؟

– "أحياناً ، نعم "

= ألا تسأل نفسك لماذا أفعل كل هذا ولمن ؟ إن لديك العديد من البدائل الأخرى ؟ تستطيع العمل فى جامعات كثيرة فى العالم ، وتأخذ أسرتك وتهرب من هنا !

"هذا صحيح . وهذه الفكرة تدور فى رأسى تقريبا يومياً . أنا أشتاق إلى المناظر الطبيعية فى أوروبا ، وأعشق التنزه فى الجبال وأن أكون فى حضن الطبيعة . أنا دائما أحلم بهذا فأنا أكره المدن وأتمنى أن أكون دائما فى المناطق الخضراء القروية ، فى مكان هادئ رومانتيكي " .

= هل ترى ذلك فى القدس الشرقية أو رام الله ؟

– نعم ، بالضبط ، وعندئذ سأفكر أننى لا يمكن البقاء فى ذلك المسكن ، وهذا أمر قد يحدث لى ولأسرتى .

= إذن لماذا لا يحدث هذا فى الوقت الحالى ؟ هل بسبب واجبات أخلاقية تشعر بها ؟

– "كلا ، فأنا لم أصل إلى تلك الدرجة المتطورة من الفكر ، ولكن من المعقول أن يكون هذا بسبب أننى خائف للغاية ، وليست لدى الشجاعة الآن للإقدام على مثل تلك الخطوة " .

= وهل ستتعامل مع هذا الأمر بجدية ؟

– "بالطبع ، وإذا أردت أن أكون صادقاً مع نفسى فإن الحقيقة هى أننى كسول للغاية " .

هوامش:

(✽) بيت سوكولوف هو أحد مراكز حزب العمل.

مقياس السلام لشهر ديسمبر ٢٠٠١

افرايم يعر وتمر هيرمان
إعداد : أكرم ألفي

أشرنا في استطلاع الشهر الماضي (نوفمبر ٢٠٠١)استئناف العملية السياسية إلى نقد الرأي العام للحكومة الإسرائيلية علي نطاق ترتيب الأولويات، وخاصة الحاجة إلي تحويل جزء كبير من الاهتمام إلي المشكلات الاجتماعية والاقتصادية .وهي الحاجة التى لم يتم التعاطي معها أو الاستجابة لها إلي الآن .هذا علي الرغم من تزايد الصعوبات الخاصة بالوضع الأمني .في هذا الإطار ، يختبر استطلاع شهر ديسمبر تقيم الرأي العام الإسرائيلي ومدي ثقته في الهيئات العامة والمؤسسات السياسية المختلفة، ودرجة ثقة الجمهور الإسرائيلي في أي من هذه المؤسسات او الهيئات .وهو ما كشف عن وجود مؤشرات ـ تثير الاهتمام ـ علي مشكلة حادة بصدد العلاقة بين السلطات والجمهور .

فتقيم المؤسستين الحاكمتين في الديمقراطية الإسرائيلية استئناف العملية السياسية، الحكومة والكنيست، ومعهم الأحزاب السياسية، وضعهم في اسفل القائمة بالنسبة لأدائها مقارنة بالحكومة السابقة وتزايد ثقة الرأي العام بهم في الماضي، فجاءت في مقدمتهم أشكال أو مؤسسات غير سياسية ، مثل قوات الأمن (جيش الدفاع الإسرائيلي والشرطةاستئناف العملية السياسية والمحكمة العليا. علي الرغم من تراجع ثقة الجمهور في هذه المؤسسات، ولكن ليس بنفس السوء مقارنة بتراجع الثقة في المؤسسات الحاكمة.

وكما هو متوقع، فقد وجدنا مؤشرات علي اختلاف بين كيفية تقيم كل من اليهود والعرب لأداء المؤسسات المختلفة .

إلا انه وفقا للصورة العامة التى أظهرها هذا الاستطلاع، وعلي عكس ما يقال ، فإن الجمهور العربي بشكل عام اكثر بشكل نادر وقليل اختلافا عن معظم المؤسسات الإسرائيلية الحاكمة (ماعدا جيش الدفاع الإسرائيلياستئناف العملية السياسية عن الجمهور اليهودي).

بالنسبة لمسألة عملية السلام، فإن الغالبية من الجمهور في البلاد تدعم الان خطة بيريز - ابو علاء، وتشعر الاغلبية أن الخطة تمت بالتنسيق مع رئيس الوزراء ، وقد ارتبط إلي حد كبير تأييدها لهذه الخطة أو رفضها لها بالاعتقاد بأنها تمت بالتنسيق مع رئيس الوزراء آرييل شارون ام لا.

كما ذكرنا من قبل، فإن هذا الاستطلاع يشير إلي انخفاض درجة الثقة في المؤسسات السياسية المختلفة وانخفاض حاد في اعتقاد الرأي العام بعم في السنوات الأخيرة .فقدر كبير من التوافق يمكن ملاحظته، ولكن ليس كليا، من درجة الثقة والمعيار العام للأداء والوحدة لكل من مجموعات في الأسئلة .

فعلي سبيل المثال اظهر ٣٧استئناف العملية السياسية

فقط من اليهود رضاهم و ثقتهم الكاملة في الحكومة؛ بينما عبر ٢٥ استئناف العملية السياسية فقط عن ثقتهم في الكنيست؛ بينما وضع ١٦استئناف العملية السياسية فقط من ثقتهم في الأحزاب السياسية .في استطلاع تم بواسطتنا في ١٩٩٦ ، وعلي الرغم من أن درجة الثقة ، بالمقارنة بباقي المؤسسات متدنية، ولكنها كانت أكثر ارتفاعا من اليوم، حيث عبر وقتها ٦٣استئناف العملية السياسية عن ثقتهم في الحكومة ؛ ٦٢استئناف العملية السياسية في الكنيست؛ ٣٦استئناف العملية السياسية في الأحزاب السياسية.بتعبير أخر ، فخلال الخمس سنوات الماضية فقدت المؤسسات السياسية الثلاثة المركزية في إسرائيل نحو ٥٠استئناف العملية السياسية او أكثر من ايمان الجمهور بها وثقتهم فيها .وبينما الرقم كان إلي حد ما منخفض، فإن جيش الدفاع الإسرائيلي يأتي في قمة المؤسسات التى اعرب المشتركين في الاستطلاع ثقتهم فيها بنسبة ٨٨استئناف العملية السياسية (مقارنة بـ ٩٦استئناف العملية السياسية) في الاستطلاع السابقاستئناف العملية السياسية، بينما حازت المحكمة العليا علي ثقة ٦٩استئناف العملية السياسية (مقارنة بـ ٨٥استئناف العملية السياسية) في الاستطلاع السابقاستئناف العملية السياسية، والشرطة ٦٦استئناف العملية السياسية (مقابل ٨٣استئناف العملية السياسية) في الاستطلاع السابقاستئناف العملية السياسية هذه المعدلات او النسب المرتفعة تستحق اهتماما خاصا، حيث كل من هذه المؤسسات الثلاثة كانت مركز للنقد في السنة الأخيرةاستئناف العملية السياسية جيش الدفاع لأدائه في مواجهة الفلسطينيين ؛ والشرطة في ضوء أحداث أكتوبر ٢٠٠٠ ؛ المحكمة العليا في إطار تزايد خلافاتها مع الارثوذكس والمتدينين.

هذا وقد جاءت مؤسسات الإعلام في المنتصف حيث حصلت علي ثقة ٤٦استئناف العملية السياسية (مقابل ٥٠استئناف العملية السياسية) في ١٩٩٦استئناف العملية السياسية ، وقد كانت فيدرالية العمال الجديدة هي المؤسسة الوحيدة التى حازت علي

زيادة في ثقة الرأي العام، حيث حصلت علي ٤١استئناف العملية السياسية
مقابل ٣٣استئناف العملية السياسية في الاستطلاع السابق.

ولأول مرة أظهر استطلاعنا ثقة الرأي العام اليهودي في عدد من مؤسسات الخدمة العامة، مثل الصحة والتعليم وخدمات الرفاهة، علي الرغم من استمرار الانتقادات الموجهة لاداءات أي منها. ن حيث عبر ٦٥استئناف العملية السياسية من اليهود عن ثقتهم في نظام الصحة، و٥٧استئناف العملية السياسية في النظام التعليمي و٤٨استئناف العملية السياسية
في نظام خدمات الرفاهة.

عكس الرأي العام العربي مواقف مختلفة نسبيا ، ولكن الفروق كانت اقل مما هو متوقع، علي الرغم من بعض التشابهات ، حيث جاءت المؤسسات السياسية الثلاث (الحكومة، الكنيست ، الأحزاب السياسيةاستئناف العملية السياسية) في زيل المؤسسات التي تحوز الثقة ، حيث حصلت الأحزاب السياسية علي ٢٤استئناف العملية السياسية من ثقة المستجيبين والكنيست ٢٥استئناف العملية السياسية والحكومة ٢٦استئناف العملية السياسية . وجاء جيش الدفاع الإسرائيلي اعلي بشكل قليل من المؤسسات السياسية حيث عبر ٣٥استئناف العملية السياسية فقط من العرب الإسرائيليين عن ثقتهم فيه، وفوق جيش الدفاع بنسبة قليلة جاءت الشرطة، وهو ما يشكل مصدر للتعجب، في ضوء الأحداث والنقاش حول لجنة التحقيقات، حيث حازت علي ٣٨استئناف العملية السياسية
من ثقة الرأي العام العربي .بينما كانت المحكمة العليا هي أكثر المؤسسات التي حصلت علي ثقة الرأي العام العربي بنسبة ٥٨استئناف العملية السياسية من المستجيبين وخلفها جاء الإعلام بنسبة ٤٤استئناف العملية السياسية.

بالنسبة لأنظمة الخدمات الحكومية، جاءت النتائج علي خلاف المتوقع بالنسبة للرأي العام العربي ، حيث برز أنه اكثر ثقة واعتقاداً بشكل واضح بهذه الأنظمة من الرأي العام اليهودي .حيث حصل النظام الصحي علي ٨٣استئناف العملية السياسية من ثقة القطاع العربي والنظام التعليمي ٧٧استئناف العملية السياسية ونظام خدمات الرفاهة ٦٢استئناف العملية السياسية ، وهو ما قد يعكس انخفاض نسبة التوقعات بالنسبة للعرب من هذه الخدمات وبالتالي فإن معدلات التحسين التى يطلبوها فيها منخفضة .

بعيدا عن الفروق بين اتجاهات الرأي العام اليهودي والعربي نحو الخدمات الحكومية، فإن الصورة العامة تظهر أن انخفاض ثقة المواطن في الخدمات والمؤسسات الحكومية بشكل عام، وهو ما يبرز تخوفات حول استقرار الديمقراطية الإسرائيلية، في حالة الاقدلم علي خطوات من شأنها اصلاح هذا الوضع في الأمد القريب.

بالنسبة لقضية السلام، فإن نسبة المؤيدين لخطة بيريز ـ أبو علاء (كما ذكرت تفاصيلها في وسائل الإعلاماستئناف العملية السياسية ، بلغت نحو نصف العينة، وبالتحديد ٥٣استئناف العملية السياسية ، بينما بلغت نسبة الرافضين لها نحو ٣٩استئناف العملية السياسية ، وعند سؤالهم إذا كانوا يعتقدون أن الخطة المذكورة تمت بالتنسيق مع رئيس الوزراء آرييل شارون ام لا، اجاب ٤٥استئناف العملية السياسية من العينة باعتقادهم بانها تمت بالتنسيق مع رئيس الوزراء، بينما اعتقد ٣٠استئناف العملية السياسية بأنها لم تتم عبر التنسيق .وعند الربط بين السؤالينااستئناف العملية السياسية الموقف من الخطة والتنسيق مع رئيس الوزراء، ظهر ارتباط واضحبين الأثنين، حيث أن ٦٥استئناف العملية السياسية ممن اعتقدوا انها تمت بالتنسيق مع رئيس الوزراء اظهروا تأييدهم للخطة .بينما رفض ٦٠استئناف العملية السياسية ممن اعتقدوا انها لم تتم عبر التنسيق مع شارون الخطة وايدها منهم ٣٧استئناف العملية السياسية) فقط (النسبة الباقي لم يدلي بإجابة علي هذا السؤالاستئناف العملية السياسية.

يمكن تفسير هذه الظاهرة بتفسيرين مختلفين، الأولاستئناف العملية السياسية أن تقويم الخطة في ضوء التنسيق مع رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون أعطاها المزيد من الشرعية، وقلل المخاوف وزاد من التأييد لها، أكثر منها لو كانت قائمة فقط علي مبادرة من بيريز من الجانب الإسرائيلي. الثانياستئناف العملية السياسية أن رفض الخطة لم يأتي من جوهر الخطة نفسها، ولكن لانخفاض الثقة في بيريز ، الشخص الذي لعب الدور الرئيسي بها. علي العموم فقد جاءت نسبة المعارضين للخطة مرتفعة جداً وسط المستجيبين الذين يعتقدون بأنه لم يحدث تنسيق مع شارون ، أو الذين ابدو اهتماما أكبر بالقضايا الأمنية.

تكون مقياس السلام العام الخاص بهذا الشهر من ٥٢.٥ نقطة(٥٢.٢ نقطة في العينة اليهوديةاستئناف العملية السياسية ، واشتمل مقياس أوسلو علي ٣٤.٤ نقطة ٣١.٥ نقطة) في العينة اليهوديةاستئناف العملية السياسية، ومقياس سوريا علي ٣٧.٤ نقطة (٣٣.٣ نقطة في العينة اليهوديةاستئناف العملية السياسية).

قام بمقياس السلام فريق بحث تابع لمؤسسة السلام بجامعة تل أبيب، بقيادة كل من افرايم يعر وتمر هيرمان، وتم خلال الفترة من ٣٠ ديسمبر ٢٠٠١ إلى ٢ يناير ٢٠٠٢ وضم ٥٧٨ مستجيب من البالغين

اليهود والعرب في إسرائيل (بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزة والكيبوتزاتاستئناف العملية السياسية .

هل تعتقد ام لا تعتقد في أن السنوات القادمة سوف تشهد سلام بين إسرائيل والعرب؟ (للعرب استئناف العملية السياسية) بين إسرائيل والدول العربيةاستئناف العملية السياسية .

السؤال
اليهود
اليهود + العرب
١
بالتاكيد سوف يكون هناك سلام
٤.٦
٦.٤
٢
ربما سيكون هناك سلام
١٥.٥
١٦.٥
٣
موقف وسطي
١٢.١
١٢.٨
٤
ربما لن يكون هناك سلام
٣٠.٤
٢٧.٤
٥
متأكد أنه لن يكون سلام
٣٤.٩
٣٥.٤
٦
لا اعرف (لا رأي استئناف العملية السياسية)
١.٦
١.٦

بشكل عام، هل تعتبر نفسك مؤيد ام رافض لعملية التسوية بين إسرائيل والعرب (للعرباستئناف العملية السياسية) بين إسرائيل والدول العربيةاستئناف العملية السياسية .

السؤال
اليهود
اليهود + العرب
١
رافض بشدة
٩.٣
٨.٥
٢
رافض
٨.٥
٧.٦
٣
موقف وسطي
٩.٧
٩.٠
٤
مؤيد
٢٧.٦
٣٤.١
٥
مؤيد بشدة
٢٣.١
٣٩.٣
٦
لا اعرف (لا رأياستئناف العملية السياسية)
١.٨
١.٨

مــا هو رأيك في الاتفــاق الذي وقع في أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية (اتفاق إعلان المبادئاستئناف العملية السياسية)

السؤال
اليهود
اليهود + العرب
١
مؤيد بشدة
٨.٠
١١.٦
٢
مؤيد
١٥.١
١٥.٥
٣
موقف وسطي
١٩.٣
١٨.٦
٤
رافض
١٤.٥
١٤.٢
٥
رافض بشدة
٣٢.٦
٢٩.٢
٦
لا اعرف
١٠.٥

١٠,٩

-هل تعتقد ام لا تعتقد أن اتفاقية أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية سوف تؤدي إلي سلام بين إسرائيل والفلسطينيين في الاعوام المقبلة ؟

السؤال
اليهود
اليهود + العرب
١
مؤيد بشدة
٣,٦
٤,٣
٢
مؤيد
١١,٩
١٢,٧
٣
موقف وسطي
١٤,٣
١٥,٢
٤
رافض
١٦,٤
١٥,٦
٥
رافض بشدة
٤٦,٩
٤٣,٨
٦
لا اعرف
٦,٩
٧,٤

هل تعتقد ام لا تعتقد انه في السنوات المقبلة سوف يكون هناك سلام بين إسرائيل وسوريا؟

السؤال
اليهود
اليهود + العرب
١
بالتاكيد سوف يكون هناك سلام
٣,٦
٥,٢
٢
ريما سيكون هناك سلام
٢٠,٤
٢٠,٨
٣
موقف وسطي
١٨,٤
١٧,٠
٤
ريما لن يكون هناك سلام
٣٠,٣
٢٨,٧
٥
بالتأكيد لن يكون سلام
٢٢,٨
٢٣,٩
٦
لا اعرف (لا رأياستئناف العملية السياسية)
٤,٦
٤,٥

ما هو موقفك بالنسبة تأييد اتفاقية سلام كاملة بين إسرائيل وسوريا علي أساس الأنسحاب من مرتفعات الجولان؟

السؤال
اليهود
اليهود + العرب
١
مؤيد بشدة
٩,٥
١٧,٦
٢
مؤيد
١٠,٥
١٠,٧
٣
موقف وسطي
١٤,٧
١٣,٧
٤
رافض
١٤,٧
١٣,٣
٥
رافض بشدة
٤٧,٩
٤٢,٢
٦
لا اعرف
٢,٨
٢,٤

◆ رؤيـــــة ◆

١ «سفينة الأسلحة» والكفاح الفلسطينى المشروع

هانى عياد

يبدو المشهد الدولى الراهن، وفى القلب منه الشرق الاوسط، مشحونًا بالكثير من الخيوط والخطوط المتناقضة احيانًا والمتداخلة فى احيان اخرى، معظمها يثير الشجن والبعض منها يستفز سخرية اقرب ما تكون إلى الكوميديا السوداء. هناك بعض العالم مشغول بمطاردة فلول الارهاب فى أفغانستان، والبحث فى نفس الوقت عن مصادر تمويل اعادة اعمارها التى قدرت تكاليفها بحوالى ٤٥ مليار دولار، على مدى خمس عشرة سنة منها ١٥ مليار مطلوبة فورًا خلال العامين القادمين، والبعض الاخر مشغول باعادة النظر فى قوائم الدول والمنظمات الأرهابية، حسب التوصيف والتصنيف الأمريكى، والممتدة مساحاتها من الصومال واليمن والعراق إلى حزب الله وحماس والجهاد والجبهة الشعبية، بينما البعض الثالث من العالم، وعلى وجه الخصوص فى عالمنا الممتد من المحيط إلى الخليج، مشغول فى معركة وهمية ينفى عن نفسه فيها تهمة الارهاب. وهكذا لم يبق لقضية الصراع العربى الإسرائيلى، ووصم المقاومة الفلسطينية المشروعة بالأرهاب واعتقال رئيس السلطة الوطنية بين جدران مكتبه فى رام الله، سوى ركن صغير وبعيد فى احد زوايا المشهد، وكأن القضية والمقاومة والاعتقال، مسائل لم تعد تعنى احدًا بمن فيهم هؤلاء الممتدين او المتمددين فى المساحة المحصورة بين مياه المحيط ومياه الخليج.

الأدهى من ذلك أنه عندما فجرت إسرائيل «قنبلة» سفينة الاسلحة، كان أن جاءت شظاياها برئيس السلطة الوطنية (معتقلاً ايضًا)، لكنه جاء معتقلاً ومتهمًا يدافع عن نفسه من شبهة الحصول على سلاح، ويدرء عن الذات «تهمة» وجود علاقة من أى نوع وعلى أى مستوى مع إيران! (ليس من الضرورى أن نشير هنا إلى أننا لسنا معنيين هنا بتحديد موقف من إيران أو من العلاقة معها لكننا معنيون فقط بالمبدأ الذى يعطى السلطة الحق فى اقامة علاقاتها وفق مصالحها وحسب ماتراه، وخاصة أن التبرؤ من العلاقة مع إيران جاء على خلفية قضية سفينة الاسلحة وفي ظلال الاتهام الإسرائيلى لإيران بأنها مصدر هذه الاسلحة).

مقدمات مباشرة:

يحلو للكثيرين التوقف امام احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التى هزت الولايات المتحدة باعتبارها خطًا فاصلاً فى التاريخ المعاصر، بمعنى أن العالم بعدها لن يعود مثلما عرفناه قبلها. لسنا فى حاجة إلى الدخول فى جدل (لايتسع له المكان، ولا يسمح به زمان تفاقم الاوضاع فى منطقتنا) حول ما إذا كان العالم قد تغير. او هو فى الطريق إلى ذلك. بالفعل بعد ١١ سبتمبر، ام لا، بقدر ما يبدو ضروريًا أن نشير إلى «المقدمات المباشرة» التى أدت إلى رسم المشهد الدولى وتحديد معالمه على النحو السابق الاشارة إليه.

لم تزل وقائع تداعيات احداث سبتمبر الماضى فى الولايات المتحدة طرية فى الاذهان بحيث يمكننا أن نكتفى هنا دون اخلال أو تسطيح بالاشارة إلى أن موقف النظام العربى الرسمى من جانب، وإسرائيل من الجانب الاخر من الجهود الأمريكية التى تلت تلك الاحداث واستهدفت تشكيل تحالف دولى مناهض للأرهاب، أو للدقة مؤيد لها فى حملتها على أفغانستان تحت عنوان «محاربة الأرهاب». لقد ربطت إسرائيل بين ضحايا مركز التجارة العالمى ومقر البنتاجون وبين ضحاياها الذين سقطوا فى حيفا وتل أبيب وغيرهما من المدن

الإسرائيلية فى خضم عمليات المقاومة الفلسطينية المشروعة بكل المقاييس والمعايير، وكان أن الموقف الإسرائيلى بدا مناصراً للحملة الأمريكية على أرهاب بن لادن بقدر ما يعزز من مقاومته «الأرهاب الفلسطينى»، فى حين قدم الموقف العربى الرسمى كل الدعم للولايات المتحدة الأمريكية فى حرب كان من المعروف سلفاً أنها تخدم المصالح الأمريكية وحدها دون غيرها، بدءاً من حصر الأرهاب فى تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن، فيما هو اقرب ما يكون إلى الانتقام منه إلى مقاومة الأرهاب، ثم توسيع رقعته - إن اقتضت الضرورة ذلك - ليشمل دولاً ومنظمات عربية فيما كان واضحاً أنه لايصب إلا فى طاحونة أرئيل شارون واستكمال مخططه بابادة الشعب الفلسطينى وتصفية الصراع العربى الإسرائيلى ومن ثم فرض «السلام» فى طبعته الإسرائيلية ووفق الشروط والمواصفات الأمريكية. هكذا يمكن القول دون اية مبالغة أو تجاوز أن النظام العربى الرسمى، من حيث كونه دخل شريكاً (بصورة مباشرة أو غير مباشرة) مع واشنطن فى حربها الخاصة ضد «الأرهاب»، فإنه - بوعى أو بدونه - قدم ما يلزم من تسهيلات ضروية لرئيس الوزراء الإسرائيلى فى حربه من اجل ابادة الشعب الفلسطينى، لذا لم يكن من قبيل المصادفة أن تتزامن مطاردة بن لادن وتنظيمه فى أفغانستان مع توسيع دائرة حرب شارون لتشمل تدمير مؤسسات السلطة الفلسطينية و«اعتقال» رئيسها فى رام الله، ثم يتفق العالم اجمع، أو يكاد، على شجب (أو على الاقل ابداء عدم الارتياح) للعنف الفلسطينى، ووصمه فى احيان ليست قليلة بأنه أرهاب، وفى احسن الاحوال اعتبار حرب الابادة التى يمارسها الاحتلال الإسرائيلى بأنها نوع من الدفاع عن النفس.

والاعتقاد بأن بعض العمليات التى نفذتها المقاومة الفلسطينية (أو الانتفاضة) ضد «مدنيين» إسرائيليين قد ساهمت فى رسم الصورة على هذا النحو، بقدر ما يبدو - لوهلة - اعتقاداً وجيهاً، بقدر ما يتيح لنا فرصة التوقف امامه والتأمل فى مدى جديته اكتشاف ابعاد اخرى ربما تكون اكثر وجاهة. هناك - اولاً - الجدل الموضوعى حول مفهوم المدنيين، وما إذا كان يمكن اعتبار المستوطنون الإسرائيليون، المسلحون غالباً - مدنيين ام لا، حتى الذين تعرضوا لعمليات الانتفاضة فى الديسكوهات، يصعب الجزم أنهم مدنيون (لمجرد أنهم كانوا فى حالة سكر ورقص) لأنه يصعب الجزم ما إذا كان بينهم مسلحون أم لا (من سكان المستوطنات مثلاً)، وما إذا كان بينهم من سبق له أن شارك فى اغتيال طفل أو أمرأه فلسطينية من قبل. ثم هناك - ثانياً - وهذا هو الاهم، حرب الابادة التى يشنها جيش «الدفاع» الإسرائيلى ضد الشعب الفلسطينى، وهى حرب ضد أناس مدنيون بكل المقاييس. إن هدم المنازل ومحاصرة القرى والمدن وحتى اغتيال من تقول عنهم إسرائيل أنهم من ناشطى الانتفاضة، هى اعمال عدوانية عسكرية ضد شعب اعزل، أى ضد مدنيين. ويبدو من الغريب أن تتبجح إسرائيل فى اثارة العالم لسقوط بضع عشرات من «المدنيين» الإسرائيليين فى خضم اعمال مقاومة الاحتلال بينما هى تخوض حرباً ضد شعب لا يستطيع احد أن يدعى أنه شعب من العسكريين المقاتلين؟.

من ضباب إلى ضباب:

«المقدمات المباشرة» التى تلت احداث سبتمبر الماضى، وقادت إلى الوضع الراهن، كانت بدورها نتائج لما سبقها من احداث أو مقدمات، ولعله يكون مفيداً هنا أن نعود إلى الوراء قليلا■

فى انعكاساتها على الصراع العربى الإسرائيلى، تستدعى الحرب الأمريكية ضد أرهاب بن لادن فى أفغانستان إلى الذاكرة وقائع ما جرى فى العالم قبل ثلاثين عاماً بالضبط، عندما اندلعت، أواخر عام ١٩٧١، نيران الحرب الهندية الباكستانية. فى ذلك الوقت - منذ ثلاثين عاماً - أدى «الضباب» - المعني الرمزي لصعوبة تعامل القوي الكبرى مع صراعين في وقت واحد - الذى قيل إن تلك الحرب تسببت فى نشره، إلى تأجيل عام الحسم الشهير. وكان أن الحسم تحول بمرور الأيام وتتابع الاحداث إلى حالة من السيولة (رغم الانتصار العسكرى عام ١٩٧٣، أو ربما فى ظلال ذلك الانتصار) لعلنا لم نزل نعانى من اثارها حتى الان.

ورغم أن مياهاً كثيرة جرت فى الانهار وتحت الجسور خلال العقود الثلاثة الماضية، إلا أن احداثا مشابهة تعاودنا، بحيث يبدو لوهلة وكأن التاريخ يعيد نفسه، رغم انف مقولة ماركس الشهيرة.

والذى حدث أنه فى اواخر عام ٢٠٠١ (٧ أكتوبر على وجه الدقة) وعلى تخوم شبه القارة الهندية، التى شهدت قبل ثلاثين عاماً انبعاث «الضباب» الشهير، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية حربها ضد الأرهاب، بعدما اختزلت مساحاته التى تكاد تغطى العالم فى حدود الأراضى الأفغانية، واختصرت شخوصه وتنظيماته وأنظمته فى شخص أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة ونظام طالبان.

لكن لأن التاريخ لا يعيد نفسه بالفعل إلا فى صورة هزلية، فكان أنه بينما ادى «ضباب» عام ١٩٧١ إلى «انقاذ» إسرائيل من حسم الرئيس السادات، فإن «ضباب» عام ٢٠٠١ اسفر عن حبس الرئيس عرفات فى رام الله. والفارق أن النظام العربى الرسمى - فى مواجهة «ضباب» عام ١٩٧١ - اختار أن يضع اجندته جانباً ويقف فى مواقع المتفرجين يراقب مايجرى هناك، فى اشارة لا ينقصها الوضوح إلى أن ذلك النظام ببنيته الاجتماعية - الاقتصادية لم يعد قادراً على تجاوز عجزه الذى بلغ ذروته المأساوية فى صيف عام ١٩٦٧، بل لعله كان يقترب بسرعة ملفتة من حافة الانهيار، الذى تجسد لاحقاً إبان غزو بيروت (صيف ١٩٨٢) ثم خلال حرب الخليج الثانية

(خـريف وشـتـاء ١٩٩١/٩٠)، ولم تعـد لديه (النظام الرسمي العربي) منذ ذلك الحين اجندة. اللهم إلا ردود الفعل، التي كان من الطبيعي والمنطقي أن تنحسر مساحاتها وتضيق حدودها يومًا بعد يوم. على الجانب الاخر، كان أن إسرائيل التي «افلتت!» من حسم ١٩٧١، وجدت في ضباب عام ٢٠٠١ فرصتها الذهبية لوضع اجندتها موضع التطبيق، أو بالاحرى مواصلة فرضها على الارض، والعالم مشغول بالتصدي للأرهاب الذي اطاح بالهيبة الأمريكية مع ابراج مركز التجارة العالمي ومقر البنتاجون. وكان من الطبيعي أن نجد النظام الرسمي العربي وقد ادمن مواقعه على مقاعد المتفرجين، بعدما فقد خلال ثلاثين عامًا من التنازلات المتواصلة كل الاوراق، ولم يعد لديه سوى طلب الحماية من العالم المشغول بما يجري هناك في افغانستان. (وإن كان من غير الطبيعي أن يكون هذا العجز مدعاة للتباهي في الخطاب الاعلامي الرسمي وشبه الرسمي، فضلاً عن الخطاب الدبلوماسي).

والحاصل أن عجز النظام العربي الرسمي الذي تجلى في صيف ١٩٦٧، سرعان ما تأكد في التعامل مع «ضباب عام ١٩٧١» ثم راح ينهار خطوة بعد اخرى، مرورًا بوقائع ما جرى خلال غزو لبنان ثم في التعاطي مع احداث غزو الكويت ومجريات حرب الخليج الثانية، وصولاً إلى المشهد الراهن بكل خطوطه وخيوطه المتناقضة والمتشابكة. والشاهد أن دائرة رد الفعل التي انحصرت داخلها حركة ذلك النظام راح قطرها يتناقص ويتآكل من الادانة والشجب والاستنكار إلى أنه نظام محايد لايميل إلى أي من طرفي الصراع (الفلسطيني ـ الإسرائيلي) إلى وصف ما يجري في الاراضي المحتلة بالعنف في موقف لايفتقر إلى الوضوح يساوي بين مقاومة شعب يرزح تحت الاحتلال وبين أرهاب قوات الاحتلال، حتى بلغ واحدة من ذراه المأساوية في الموقف من وقوع ياسر عرفات في الاسر، ثم في التنصل الجماعي من سفينة الاسلحة ودرء «شبهة» العلاقة مع إيران.

تأملات في المشهد الراهن:

الارجح أننا لن نجد من ينكر حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي بكل السبل والوسائل، بما فيها استخدام السلاح. ربما يطفو على السطح قدر من الخلاف حول توقيت وكيفية وحدود اللجوء إلى السلاح، لكن دون أن يمس الخلاف بالمبدأ ذاته. وبنفس القدر يبدو من المرجح أن احدًا لا يستطيع أن ينكر حجم ترسانة السلاح الإسرائيلية والمتخمة باحدث انواع الاسلحة الأمريكية، والمفتوحة ابوابها على مصرعيها للاستخدام في مواجهة الشعب الفلسطيني، ثم ضد السلطة الوطنية ومؤسساتها وحتى بعض رموزها وممثليها. فإن هذا يعني بالضرورة أنه من حق الشعب الفلسطيني أن يكون لديه سلاحه، بصرف النظر الان عن كيفية وحدود وتوقيت استخدامه.

وإذا كانت إسرائيل «الدولة» بكل مؤسساتها العسكرية ومصانعها الحربية، لاتخجل من الاعلان عما تستورده من اسلحة أمريكية، فلماذا لايكون من حق الفلسطينيين، حتى من باب لايعوزه الظلم والإجحاف، وهو باب المعاملة بالمثل بين المغتصب والمغتصب (بالكسر ثم الفتح على التوالي)، أن يحصلوا من مصادرهم على ما يحتاجونه أو ما قد يحتاجونه، من اسلحة؟.

ثم أنه إذا كان من المفهوم أن ينكر الفلسطينيون علاقتهم بسفينة الاسلحة اياها، فإن هذا قد يكون بهدف عدم الاعلان عن مصادر تسليحهم أو عدم كشف وسائل نقل السلاح..إلخ... وحتى لو اتفقنا على أن السلطة الفلسطينية ليس لها علاقة بالفعل بتلك السفينة، فقد كان من المفهوم أن يقتصر النفي على هذه الواقعة تحديدًا وحصرًا دون أن يمتد ليشمل مبدأ الحصول على السلاح. ومن هنا فقد كان من المتوقع أن يبدأ الرد على «قنبلة» شارون باعتقال سفينة اسلحة في عرض البحر الاحمر بفضح القرصنة البحرية الإسرائيلية التي اسفرت عن التعرض لسفينة تسير في المياه الدولية، والهجوم عليها وتفتيشها واعتقالها، ثم التمسك بحق شعب يعاني من وطأة احتلال استيطاني نازي في الحصول على السلاح لمواجهة جيشًا استباح لنفسه مواجهة المدنيين بالدبابات وقصف المنازل بالطائرات. إن «دولة» تغتصب اراضي وحقوق الغير، وتمارس مثل هذه القرصنة لا يحق لها أن تتهم «الغير» بممارسة الكفاح المسلح ضدها.

في المحصلة ورغم أن مواقف السلطة الفلسطينية امست منذ امد ليس قصيرًا جزءًا عضويًا من مواقف النظام الرسمي العربي العاجز إلى حد الانهيار، إلا أنه يمكن القول إن التطورات الاخيرة وخاصة الاعتداءات على مؤسساتها واعتقال رئيسها، ثم تجاوب الفصائل الفلسطينية مع قرار وقف الاعمال المسلحة (حتى وإن ارتبط هذا الموقف بزمن، وحتى لو بدا أن هناك نزوعًا نحو التحلل منه)، أقول إن هذه التطورات تفتح الباب من جديد امام السلطة الفلسطينية التي لم تصبح بعد دولة، للعودة إلى مواقع الثورة التي غادرتها، على الاقل كي تصبح في حل من «الالتزامات الدولية» التي يقال إنها تلقي بظلالها على سياسات الدول وتكبل حركتها. وإذا كان التزام الفصائل الفلسطينية بقرار وقف الاعمال الفدائية حفاظًا على الوحدة الوطنية. فإن الكيفية التي تعاطت بها إسرائيل مع هذه الفترة تحمل من المبررات الموضوعية ما يفترض أن يكون كافيًا لدفع السلطة إلى مغادرة موقع «الدولة» الذي لم تصل إليه بعد، والعودة إلى مواقع الثورة التي غادرتها. إن الوحدة الوطنية تصبح بلا مضمون أو معنى إن هي افتقدت جوهرها واساسها الكفاحي على طريق انتزاع، وليس استرداد!، الحقوق من غاصبيها.



الصراع الديني - العلماني في إسرائيل وإيران ملامح التماثل والتباين

تميم هاني خلاف

من المفارقات التي يلحظها المراقبون للتطورات السياسية والاجتماعية الحديثة في كل من إيران وإسرائيل أن مجتمعي الدولتين علي ما بينهما من خلافات واختلافات ظاهرة ، يمران الآن بمرحلة دقيقة من مراحل الصراع بين الاتجاهات الدينية المتشددة والاتجاهات العلمانية الليبرالية. وتكاد تتماثل ديناميات الصراع بين هذين الاتجاهين في كلا البلدين بطريقة يمكن أن تدفع البعض علي الأقل في مستوي التحليل النظري - إلى تصنيفهما بالمنظور السوسيوبوليتكي في خانة واحدة.

وسوف نتناول أهم ملامح التماثل والتباين في ديناميات الصراع الديني/العلماني في كل من إسرائيل وإيران، وانعكاسات هذا الصراع علي السياسات الخارجية لكل من الدولتين وعلي أوضاعهما الإقليمية والدولية. ونخلص إلى السيناريوهات المتوقعة لهذا الصراع في كلا البلدين علي المدى المتوسط.

وقد يلزم قبل الدخول إلى هذه الدراسة المقارنة البدء بتحديد بعض المعايير الأساسية التي اصطلح علماء السياسة والاجتماع عليها في تعريف «العلمانية» وتعريف «الحكم الديني».

مفهوم العلمانية ومفهوم الدولة الدينية:

يتضمن جوهر « العلمانية» الفصل بين الدين والدولة وهو ما يعني أن تقوم الدولة بتأسيس سياساتها وتوجهاتها ونظمها العامة معتمدة علي المصالح العامة والمواءمات العملية ويشير أحد التعاريف التي قدمها جورج جاكوب هولايوك «أن العلمانية هي مجموعة من القيم الاجتماعية النفعية، وهي البحث عن التطور الإنساني عبر العقل والعلم والتنظيم الاجتماعي، يعتقد هولايوك بأن الدولة في المفهوم العلماني ينبغي أن تكون محايدة في المسائل الدينية وأن جميع العقائد الفلسفية والدينية ينبغي أن تجمد أو أن تحظى بقدر متساو من الاعتراف والتسامح» (١).

ويوضح أحد العلماء الآخرين - هو برايان ويلسون أن العلمنة Secularization هي «عملية تخفيض في الأنشطة والارتباطات وطرق التفكير الدينية، وتخفيض في المؤسسات التي تنشأ مرتبطة بـ- أو ناتجة عن - عمليات أخري متصلة بتغير الهيكل الاجتماعي». (٢)

وقد استخدم علماء الاجتماع تعبير العلمانية في وصف العمليات التي تفقد خلالها السلطات الدينية قدرة التحكم في الساحة الاجتماعية سواء من حيث الموارد أو الأشخاص. وعلي النقيض من ذلك فأن الدولة الدينية Theocratic تقوم علي أساس ما يسمي «التفويض الإلهي» وتعتمد في تسيير حركة الناس والمؤسسات وصياغة النظم والقرارات علي شرعية مستمدة من هذا التفويض ولاتكون معظم معايير الحكم والقياس في هذه الدولة الدينية مستمدة من الإرادة الجماهيرية وإنما من النصوص اللاهوتية وتفاسيرها الموكولة الي علماء الدين.

وبالنسبة لحالتي إسرائيل وإيران فسوف نتناول بالمقارنة أولا : أبرز ميادين الصراع بين القوي العلمانية والقوي الدينية في كل منهما وثانيا : أهم آليات وأدوات الصراع وثالثا : رؤية الأطراف الخارجية ومعالجاتها المختلفة لهذا الصراع.

أولا : أبرز ميادين الصراع:

يمكن لمراقبي التطورات السياسية والاجتماعية في كل من إيران وإسرائيل ملاحظة اشتراك المجتمعين في عدد من المجالات التي تحتدم عندها عملية الصراع بين القوي الدينية والقوي العلمانية. وفيما يلي أبرز تلك المجالات:

(١) النظام السياسي وفلسفة الحكم:

يواجه المجتمع الإيراني المعاصر صراعا حادا بين الاتجاه الذي يمثله الرئيس خاتمي الذي تولي السلطة في ١٩٩٧/٥/٢٣ م وبين اتجاهات المحافظين الموالين لفكر الزعيم الروحي خوميني مؤسس الدولة الإسلامية الإيرانية والتي يمثلها الآن مرشد الثورة آية الله خامنئي.

فبينما يدعو الرئيس خاتمي إلى إقامة دولة المؤسسات وسيادة القانون وتشجيع قوي المجتمع المدني ، يري المحافظون من اتباع مرشد الثورة خامنئي أن أساس الحكم ينبغي أن يظل وفقا لمبدأ ولاية الفقيه والا يحدث أي استمداد للسلطة من غير مصادر هذه الولاية الفقهية التي يلزم استمرارها طالما استمر غياب الأمام المعصوم.

وفي إطار هذا الصراع يتبين أن مصدر السلطات في الدولة مختلف عليه فهو في رأي التيار الانفتاحي «الشعب» الذي يحق له اختيار القائد والحكومة وهو في رأي التيار المحافظ "الله" وقانونه الإلهي.

ورغم أن تيار الرئيس خاتمي لم يذهب أبدا فيما طرحه حتى الآن من أفكار سياسية إلى الدعوة القاطعة إلى تحجيم عمل المؤسسة الدينية إلا أن تحركاته السياسية وقراراته تؤدي بالحتمية إلى التحجيم لسلطات المؤسسة الدينية وحصر دائرة عملها في حدود أقل مما يراه أصحاب اتجاه الدولة الدينية

ويظهر نفس هذا الصراع في إسرائيل بين الأحزاب الدينية من ناحية والأحزاب اليسارية من ناحية أخري. بل ويزيد علي ذلك أن هناك داخل الفئات الدينية الأكثر تشددا من لا يعترف أساسا بالدولة الإسرائيلية كجماعة «حراس المدينة (Natore Karta) التي تري أن إنشاء الدولة في عام ١٩٤٨ لم يكن عملا ربانيا وإنما هو عمل سياسي يستبق الإرادة الإلهية حيث أن الدولة الإسرائيلية المنصوص عليها في التوراة لم تتوافر الشروط الربانية لإقامتها بعد»(٣).

وبصرف النظر عن هذا الخط الأرثوذكسي المغالي في التطرف الديني ، فالملاحظ أن قوة الأحزاب الدينية التقليدية قد زادت في إسرائيل مع بدايات التسعينات. «فبعد أن استقرت القاعدة الانتخابية للأحزاب الدينية طوال الفترة من ١٩٤٩ - ١٩٩٢ علي مل يتراوح بين ١١٪ : ١٦٪ من جملة الأصوات الصحيحة، شهدت انتخابات ١٩٩٦ تحولا كبيرا لصالح الأحزاب الدينية إلي وضع يمكن معه وصف ما حدث علي أنه بداية مرحلة جديدة في حياة الأحزاب الدينية في إسرائيل حيث قفزت نسبة الأصوات التي حصلت عليها هذه الأحزاب مجتمعة إلى ١٩٪ من جملة الأصوات الصحيحة."(٤) ويعتبر دخول الأحزاب الدينية فى حكومة باراك عقب انتخابة رئيسا للوزراء فى مايو ١٩٩٩ نقطة تحول تاريخية أخرى فى الحياة السياسية الاسرائيلية حيث قفز عدد مقاعد حزب شاس الدينى فى الكينيست الاسرائيلي من ١٠ مقاعد الى ١٧ مقعدا مما يؤكد على تنامى قوة الأحزاب الدينية التقليدية فى اسرائيل.

(٢) الصراع الديني/العلماني حول مفهوم القضاء:

تشترك القوي العلمانية في إسرائيل مع القوي الليبرالية في إيران في موقف مشترك إزاء النظام القضائي حيث يتفق أصحاب هذا الاتجاه في كلا البلدين تقريبا علي ضرورة استقلال السلطة القضائية عن نفوذ السلطة الدينية أو السلطة التنفيذية. ويعارض أصحاب هذه الاتجاهات في إيران أي توسع في صلاحيات محاكم رجال الدين التي أنشئت عام ١٩٨٦ بأمر من الإمام الخميني وكرد علي استمرار وجود تلك المحاكم أنشئ تحت قيادة الرئيس خاتمي محاكم متخصصة للصحفيين في جميع المحافظات الإيرانية حتى لا يحاكموا أمام المحاكم الشرعية أو العادية. وفي إسرائيل تسعي الكثير من فصائل حزب العمل الإسرائيلي وحزب راكاح وأحزاب الأقلية العربية والأقلية الدرزية في إسرائيل إلى تعديل النظام القائم علي نحو يقلل من الاعتبارات الدينية والتوارتية فيه.

ويحاول التيار المتشدد في إسرائيل تكريس هذا الطابع الديني للمحاكم وسلطة القضاء الإسرائيلي. وقد تظاهر ٢٥٠ ألفا من غلاة المتشددين اليهود بشوارع القدس في عام ١٩٩٩ للهجوم علي المحكمة العليا الإسرائيلية احتجاجا علي تدخلها في أمور دينية ليست من اختصاصها، في الوقت الذي قامت فيه مجموعة من العلمانيين بمظاهرات عكسية في نفس اليوم للتغطية علي الترويج الإعلامي الذي حظيت به المظاهرة الكبيرة للقوي الدينية.

حدود المشاركة والتعبير السياسي والحريات

يشهد المجتمع الإيراني في الآونة الأخيرة تصاعد التيار الداعي إلى تعددية الآراء وإتاحة الفرصة أمام التعبير السياسي الحر طالما ظلت هذه التعددية وهذا التعبير الحر في إطار احترام القيم والشريعة الإسلامية. بينما يذهب أنصار الفكر الديني الجامد في إيران إلى ضرورة التشدد مع كل من يجرؤ علي طرح معالجات ومفاهيم جديدة. وهم يعتبرون أن السياسة الانفتاحية التعددية التي يحاول الرئيس خاتمي إرساءها تتيح الفرصة للكثيرين من غير المؤهلين للتعدي علي قيم أساسية في المجتمع. وقد وصل الأمر بهذا التيار المتشدد إلى توجيه اتهامات خطيرة بالزندقة إلى الزعيم الإصلاحي عبد الله نوري - وزير الداخلية السابق حيث تم إحالته للتحقيق أمام محكمة خاصة من رجال الدين بتهما بلغت ٤١ تهمة من بينها التشكيك في مبادئ الإسلام، والانشقاق الديني والسياسي، وإهانة الإمام الراحل آية الله الخميني، والدعوة لإقامة علاقات بين إيران وعدوها الأول الولايات المتحدة.

أما في إسرائيل فيبدو أن الأمر أقل حدة وعنفا فيما يتعلق بالحجم المتاح من حرية التعبير والانتقاد، حيث يحظى أصحاب كل من التيارين العلماني والديني بنفس القدر من

حرية التعبير والنشاط السياسي إلا أن الأمر تحكمه أيضا في النهاية خطوط حمراء لا يمكن تجاوزها ومن أهمها قدسية الروح الإسرائيلية، وأرض الميعاد وأسبقية الاعتبارات الأمنية وأساطير الهولوكوست - ومركزية القدس في التاريخ اليهودي.

(٤) السياسة الخارجية والصراع الديني - العلماني:

انعكست الصراعات بين العلمانيين والقوي الدينية في مجال السياسة الخارجية. ففي إيران يركز التيار الإصلاحي الليبرالي علي توسيع قاعدة المنافع الاقتصادية والسياسية للدولة الإيرانية في الخارج، وتنشيط وتجميل وجهها الدبلوماسي، والعمل علي تعزيز قواتها وإمكاناتها العسكرية والاقتصادية والاستراتيجية. بينما يركز أصحاب التيار الديني علي مبدأ تصدير النموذج الإيراني في الحكم الإسلامي إلى غيره من دول وشعوب، والتركيز علي دعم حركة الدعوة الإسلامية في الخارج، وتطوير العلاقات الخارجية للدولة الإيرانية بمقارنة ما يجري من تطوير مقابل في فهم الأطراف الخارجية للحضارة الإسلامية والقيم الإسلامية.

وفي إسرائيل يوجد أيضا نفس الاتجاهين فالأحزاب الدينية تركز في برامج سياستها الخارجية وفي منهج عملها علي ضرورة تجميع يهود العالم في أرض الميعاد، الأمر الذي يترجم في محيط السياسة الخارجية بتشجيع الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، والتوسع في المستوطنات اليهودية، واستبعاد التفاوض أو حتى الحديث عن أي طابع غير يهودي لمدينة القدس، بينما يري أصحاب التيارات العلمانية في إسرائيل أن خدمة المصالح الإسرائيلية والشعب الإسرائيلي تتحقق أساسا من خلال سياسة خارجية واقعية تتفاعل مع المحيط الإقليمي لإسرائيل أولا بمنطق التصالح والتوفيق، وتركز علي أهمية توسيع المصالح الاقتصادية والتجارية لإسرائيل كأولوية متقدمة ويري بعض أنصار هذا التيار أن أهم أدوات السياسة الخارجية الإسرائيلية الناجحة هي السياحة والتعاون الفني، ونقل التكنولوجيا، والتصدير والاستيراد.

ثانيا آليات وأدوات الصراع بين القوي الدينية والقوي العلمانية:

ونعني بها القنوات والأدوات التي تعمل في إطارها مختلف القوي العلمانية وأصحاب التيارات الدينية والتي يظهر من خلالها أيضا مظاهر الاحتكاك بين تلك القوي. ومن بين تلك القنوات سوف نركز علي النشاط الحزبي والنقابي، وعمليات الانتخابات، ومنابر الإعلام والصحافة، والمناهج التعليمية.

(١) التنظيمات السياسية والنقابية

برغم أن القوي الدينية التقليدية في إيران ظلت وما تزال تحمل في أدبياتها السياسية النظرية عددا من المقولات الرافضة لفكرة التعددية الحزبية، والديموقراطية بالمفهوم المتعارف عليه في التجارب الغربية، لوحظ أن هذه القوي الدينية المحافظة أخذت تستخدم في ممارساتها السياسية نفس الآليات التي تستخدمها القوي الليبرالية المناوئة وهي الانضواء الحزبي، والانتخابات، والتحالفات السياسية والتظاهر، وأساليب الاعتصام، والحملات الدعائية وغير ذلك.

وتوجد داخل التيار الديني المحافظ في إيران، عدة تنظيمات منها جمعية العلماء المناضلين (روحانيات) - (رابطة علماء الدين) - (جمعية الائتلاف الإسلامي) - (جمعية حراس مبادئ الثورة) وأخيرا (حزب الله)، بينما يوجد في مقابل هذا عدد من التنظيمات القوية التي تجمع أنصار التيار الإصلاحي وأهمها: (حركة كوادر البناء) - (رابطة العلماء المجاهدين) - (منظمة مجاهدي انقلاب إسلامي) - (منظمة الحجتية) - (حركة تحرير إيران) - (منظمات الطليعة الطلابية). (٥) وهذه المنظمات الأخيرة تعمل علي تعديل الدستور الإيراني، والسعي من أجل حماية حقوق المواطنين، وإزالة الإجراءات التمييزية ضد المرأة واستقلال القضاء واستعادة هيبته. وفي إسرائيل تمارس القوي العلمانية والقوي الدينية صراعاتها من خلال عدة أحزاب ومنظمات سياسية. ومن بين أهم الأحزاب الدينية حزب شاس، وحزب المفدال، وحزب يهودت هاتوراه. ويلاحظ مع ذلك عدم وجود حزب سياسي رسمي علماني يستهدف بوضوح فصل الدين عن الدولة. حيث كانت مطالب العلمانيين تقدم من خلال الأحزاب اليسارية التقليدية كحزب العمل وحزب كتلة ميريتس وحركة السلام الآن. أو من خلال نقابة عمال إسرائيل «الهستدروت».

وتعمل هذه القوي السياسية الإسرائيلية - سواء العلمانية أو الدينية - علي اكتساب الشعبية من خلال العمليات الانتخابية والتحالفات السياسية. ويعتبر دخول الأحزاب الدينية إلى الائتلاف الحكومي مع انتخابات الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٩٦ ودخول الاحزاب الدينية فى حكومة باراك فى انتخابات مايو ١٩٩٩ نقطة تحول تاريخية هامة في الحياة السياسية لإسرائيل، وقد أدت - علي مستوي النتائج إلى شلل شبه تام في آليات السياسة الخارجية الإسرائيلية بل وحتى في آليات الاقتصاد الإسرائيلي وبرامج التنمية الداخلية.

(٢) الأداة الإعلامية في الصراع

استخدمت الصحف والمطبوعات كوسيلة من وسائل الصراع بين القوي الدينية والقوي الإصلاحية الليبرالية في كل من إيران وإسرائيل. ففي إيران شن المحافظون حملات عنيفة علي أنصار خاتمي حيث تم إغلاق عدد من الصحف الناطقة باسمهم كما تم تعديل قانون المطبوعات، بالإضافة إلى محاولة إقالة وزير الثقافة عطاء الله مهاجراني. في حين راحت الدبلوماسية الإيرانية في عهد خاتمي تمارس أدوارا إعلامية وثقافية في العالم الخارجي استخدمت فيها العروض الفنية والموسيقية، والألعاب الرياضية وغير ذلك من وسائل الدعاية الحديثة لصورة إيران الجديدة.

وفي إسرائيل ، لوحظ أن الأداة الإعلامية قد استخدمت أيضا في الصراعات الفكرية بين قوي اليمين الديني المتشدد والقوي العلمانية حيث ظهرت صحف ومجلات وبرامج إذاعية متخصصة في نشر الفكر الديني وشرح الجوانب المعيشية والقانونية ذات الصلة بالدين كموقع المرأة، والخدمة العسكرية، والمساواة بين المهاجرين ، ومجلات ذات طابع علماني خالص تتناول تساؤلات خطيرة حول صلاحية بعض المفاهيم الدينية في الحياة المعاصرة، كما طرحت بعض الدوريات صورا سلبية لبعض رجال الدين وأعضاء الأحزاب الدينية تتضمن فضائح سلوكية وتناقضات مستمرة.

(٣) الأداة التعليمية والمناهج الدراسية:

شهدت إسرائيل العديد من الخلافات بين القوي العلمانية والقوي الدينية حول مسائل التعليم، "ففي أول تشكيل حكومي لإسرائيل عام ١٩٤٩ لم يعين وزيراً للتعليم والثقافة بسبب الخلاف حول فلسفة التربية والتعليم. وفي عام ١٩٥٠ اندلعت أزمة حادة بين العلمانيين والمتدينين حول "قص سوالف" الطلاب وضفائر البنات بالقوة. وفي نفس الوقت تقريبا اتهمت القوي العلمانية ، القوي الدينية بمحاولة فرض تفاسير وفقرات دينية معينة علي أبناء المهاجرين اليهود في معسكراتهم. وقد شكلت لجنة للتحقيق في هذه الاتهامات انتهت إلى أن النزاع بين المتدينين والعلمانيين ليس صراعا نزيها (٦).

وحتى اللحظة الراهنة هناك صراع دائم بين نفس هذه القوي حول نظام التعليم في إسرائيل حيث يتهم حزب المفدال الحكومة بالعمل علي إضعاف التعليم الديني الرسمي، وتتهم الأحزاب الدينية الأخري الحكومات المتعاقبة بأنها تهمل التعليم الديني المستقل وتقلص ميزانيته. وتشهد ايران صراعا مشابها بين الأصوليين من جهه والمعتدلين من جهه أخرى فيما يتعلق بالفلسفة التعليمية والمناهج الدراسية ، فبينما يرى الأصوليين أن تكريس التعليم الدينى والمناهج الاسلامية بالمدارس والجامعات (٣٧ جامعة بإيران ١٥ منهم بطهران) (٧) و أساس التعليم ، الا أن المعتدلين يرون أن الانفتاح على العالم والتعرض لأساليب التعليم الحديثة والثقافات المختلفة هو أمر ضروري .

ثالثا : رؤية الأطراف الخارجية للصراع القائم في إيران وإسرائيل

يمكن للمراقب ملاحظة اختلاف النظرة الأجنبية Foreign Percep tion إلى الطابع الديني والطابع العلماني في كل من إسرائيل وإيران بحسب المصالح السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي تربط بين هذه الأطراف الخارجية وكل من الدولتين ، فالدول الغربية ذات الأصول الحضارية القائمة علي التراث المسيحي لا يهمها كما يبدو متابعة الصراع القائم في إسرائيل بين المتدينين المحافظين والعلمانيين الليبراليين ولكنها تهتم اهتماما شديدا بمتابعة ورصد تطورات الصراع الديني العلماني في إيران بل وتقوم الدول الغربية في بعض الأحيان بأنشطة وتحركات تدعم قوي التيار الإصلاحي والليبرالي في إيران.

خلاصة:

من مجمل العرض السابق يمكن استخلاص عدد من الملاحظات التي يتصل بعضها بمستقبل "وضعية الدين" في خريطة الحياة السياسية والاجتماعية لكل من إسرائيل وإيران.

والملاحظة الأولي: أن إيران لا تشهد في الواقع صراعا بين القوي الدينية والقوي العلمانية بالمعني المحدد لمفهوم العلمانية. وإنما ما يحدث في إيران هو صراع بين الدينيين والأصوليين من جهة والقوي الانفتاحية والليبرالية من جهة أخري. فكلتا المجموعتين تؤمن بالدين الإسلامي كأساس للحياة البشرية ولكن تختلف درجات التحرر بحسب الموقف من السلطة والقوة في القيادة. في حين تتبلور بوضوح الطبيعة العلمانية في المجتمع الإسرائيلي.

والملاحظة الثانية: أن التطورات التي تشهدها كل من إيران وإسرائيل لها انعكاسات مباشرة علي التوجهات العامة السياسية والإستراتيجية لبعض الدول المجاورة ، نظرا للوضع الإقليمي الذي تتمتع بهما الدولتان ونفوذهما علي مجريات الأمور بالشرق الأوسط.

والملاحظة الثالثة: إن المتطرفين من كلا الفئتين العلمانية والدينية لا يملكون رصيداً طويلا في الحياة السياسية حيث يميل أغلب أفراد الشعب في البلدين إلى الاعتدال والتوازن بين التأكيد علي الهوية الدينية واحترامها من جهة ومواكبة التوجهات العالمية من جهة أخري.

المراجع

عبد الفتاح محمد ماضي. الدين والسياسة في إسرائيل ، مكتبة مدبولي - القاهرة ، ١٩٩٩.

د. إيمان حمدي (ترجمة صالح عزب) معسكر السلام الصهيوني. دار الأمين للطباعة والنشر - القاهرة ، ١٩٩٧.

عبد الوهاب المسيري. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية. مطابع الأهرام التجارية - القاهرة ، ١٩٧٥.

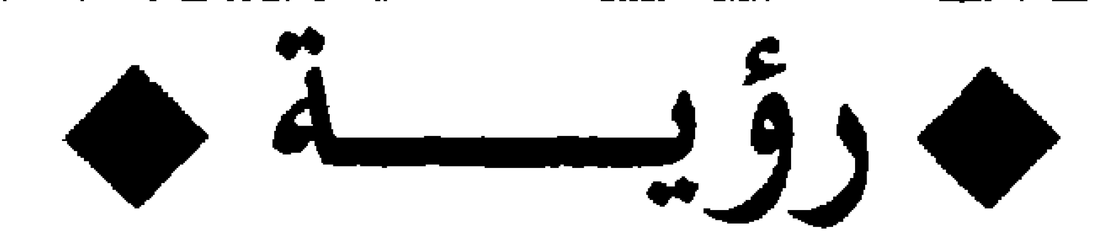
هاني خلاف و أحمد نافع. الوطن العربي - قضايا مستقبلية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام - القاهرة ، ١٩٩٩.

فرحات حسان الدين . "إطلاق الحريات ودولة المؤسسات والتنمية - قضايا الخلاف الحاد بين المعتدلين والمتشددين". الأهرام١٩٩٩/١٠/٢٠ .

باهر شوقي. "معارك الإصلاحيين الجدد في إيران" ملف الأهرام الإستراتيجي. السنة الرابعة العدد ٤٥ - ديسمبر ١٩٩٨.

مصطفي نبيل. "إيران داخل الثورة." المصور ٢٩ أكتوبر ١٩٩٩ - ص ٢٤٠

محمد الحسيني. "المحافظون في سباق خاسر مع الزمن". الأهرام العربي١٩٩٩/١٠/٩ .



٣

الموســـاد وبن لادن

محمد البحيري

"هذه أمـيـركـا أصـابـهـا الله سـبـحـانـه وتعـالى في مقتل من مقـاتلهـا، فـدمـر أعظم مبـانيهـا .. أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد لن تحلم أمـريكا ولا من يـعـيش في أمـريكا بالأمن قـبل أن نعيشه واقعا في فلسطين وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد ".. جاءت هذه الكلمات علي لسان أسامة بن لادن، في بيانه الذي أذاعه في السابع من شهر أكتوبر الماضي، لتسلط الأضواء من جديد علي العلاقة التي تربط بين ما يدور في أفـغـانسـتـان من جـانب، ومـا يدور في منطقتنا العربية من جانب آخر، وفي القلب منها القضية الفلسطينية.

ويـبـدو أن هذه الكلمـات قـد جـاءت في وقـتـهـا المناسب لتؤدى دورا ما، كـان إيجابيـا في معظمه للقضية الفلسطينية بشكل خاص، فالرعب يسيطر على الأمـريكيين من جـراء صـدمـة أحـداث"١١ سبـتـمـبـر"، التي لم تنته حتى الآن ولن تنته على المدى المنظور، ومـا صـاحب ذلك من مـوجـة من التسـاؤلات الأمـريكيـة عن سـبب كـراهيـة العـالم للولايات وخاصة العرب والمسلمين، وهو مـا تجلى في مظاهر الفرح والغبطة الشامتة)على المستوى الشعبي على الأقل!!)، وسـارعت قـوات الاحتـلال الصهيوني لتصعيد عمليات القمع والإبادة ضد الشعب الفلسطيني الأعزل مستغلة انشغال العالم بالنظام العـالمي الجديد الذي نشـأ بعـد أحـداث الحادي عشر من سبتمبر. في هذا الجو المشحون بالفوضى"المنظمة"، جاءت كلمات بن لادن لتجيب على أسئلة الأمـريكيين وتزيل اندهاشهم، فـيقـول لهم أن سبب ما حدث في واشنطن ونيويورك، بكل فظاعـتــه، هو الموقف الأمـريكي من القـضـايا العربية، وغلى رأسها القضية الفلسطينية. فهو يشـيـر بكلمـاته إلى مـا يحـدث في الأراضي الفلسطينيـة المحتلة ليلفت انتبـاه الرأي العـام العالمي إلى ما يمارسه الكيان الصهيوني من مذابح وتدمير هناك، الأمر الذي أحرج أولئك الجالسين في البيت الأبيض، وأثار حفيظتهم على حلفائهم في تل أبيب، لدرجـة أن الرئيس الأمـريكي بوش الابن قال في جلسة مغلقة عن السفاح الإسرائيلي آريئيل شارون وزمـرته في الحكومة الإسرائيلية، فليذهبوا إلى الجحيم، بل وغبر عن غضبه عليهم بعبارته المفضلة "Fuck them"، حسبمـا ذكرت صحيفة معا ريف الإسرائيلية!!.

وقـد سارعت الإدارة الأمـريكيـة إلى الخـروج من هـذا المأزق، عـبـر عـدة إجـراءات، لعل أبرزهـا اصطناع حملة إعلاميـة ضد شارون وحكومته، وليس ضد "إسرائيل"، واصطناع حملة إعلامية أخرى مـوازية لترويج الخطاب الأمـريكي المؤيد لإقـامة دولة فلسطينيـة مـستقلة، دون جـديد في الشكل أو المضمون، بهدف ضمان استمرار الدول العـربيـة والإسـلامـيـة تحت عـبـاءة مـا يسـمـى "التحالف الدولي ضد الإرهاب"، والإيحاء لشعوب هذه الدول بأن الولايات المتـحـدة قـررت فـجـأة الوقـوف إلى جـانب الفلسطينيين حتى يحصلوا على حقوقهم المسلوبة من الكيان الصهيوني.

لا شك أن كل ذلك يدفعنا إلى تناول العلاقة التي تربط بين أسامة بن لادن والقضية الفلسطينية، وكل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية من قريب أو من بعيد، يمس الأمن الإسرائيلي وأجهزته المختلفة، وأولها "الموساد".

لقد كان أسامة بن لادن وجهاز الموساد الإسرائيلي هما الجهتان اللتين حظيتا بأكبر قدر من الاتهامات بالمسئولية عن أحداث "١١ سبتمبر" في واشنطن ونيويورك، وكان لدى صاحب كل اتهام ما يكفي من الشواهد للتدليل على صحة اتهامه، وأن كان اتهام بن لادن قد حظي بأكبر قدر من الاهتمام، لكونه جاء ملائما مع النغمة التي تم فرضها على آذان الرأي العام العالمي عنوة، عبر الصراخ المستمر والمدوي من أول لحظة في وسائل الإعلام- التي يسيطر اليهود على معظمها- بمسؤوليته عن الحادث، دون أن يكون هناك دليل واحد يؤكد هذا الاتهام.

بل أن مسؤولا في حزب العمال البريطاني قال في إحدى اجتماعات الحزب أن الأدلة التي قدمتها واشنطن لإقناع لندن للذهاب معها في الحرب ضد "الإرهاب" في أفغانستان، لا تكفى لإحالة أسامة بن لادن إلى المحاكمة، وليس لإدانته!!.

الفريق الذي يتبنى اتهام بن لادن بارتكاب أحداث "١١ سبتمبر"، يستندون إلى عدة أمور، لعل أهمها صحيفة سوابقه، في كينيا وتنزانيا واليمن، وأن طبيعة العمليات نفسها تطلب تنفيذها مجموعة من "الانتحاريين" الذين يتوافرون فقط لدى الحركات والتنظيمات "الإسلامية" وعلى رأسها تنظيم "القاعدة" الذي يرأسه بن لادن، وما إلى ذلك مما يتكرر الحديث عنه ليل نهار.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك، أن رجل الأعمال المليونير محمد عوض بن لادن، والد أسامة، لقي مصرعه عام ١٩٦٨ عندما اصطدمت طائرته المروحية بجبل الطائف في المملكة العربية السعودية، وكان أسامة يبلغ من العمر تسع سنوات، وبعد ذلك تولى الشقيق الأكبر لأسامة مسئولية إدارة أعمال الوالد التي كانت تقدر بمئات الملايين من الدولارات حسبما ذكرت صحيفة واشنطن بوست الأمريكية، وقد لقي سالم هو الآخر مصرعه عندما تحطمت طائرته الخاصة عام ١٩٨٨ في تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية. وهنا يمكن الادعاء بأن الفكرة الجهنمية في استخدام الطائرات المدنية كقنابل متنقلة، واستخدامها في عمليات فدائية أو "انتحارية"، قد طرأت في ذهن أسامة بفعل فقده لأبيه وشقيقه الأكبر في حادثتي طيران، نتيجة اصطدام طائرتيهما بجسم صلب أدى إلى تحطمهما!!.

أسامة بن لادن تصفه المخابرات المركزية الأمريكية "CIA" بأنه أبو الإرهاب، وتصفه المباحث الفيدرالية الأمريكية "FBI" بأنه العدو رقم واحد للعالم، وتصفه المخابرات المصرية بأنه "أخطر متطرف"، وتقول عنه المخابرات الإسرائيلية "الموساد" "أنه مطلوب بأي ثمن!!.

لكن ما هي علاقة هذا الرجل الموضوع على رأس قائمة المطلوبين لدى أجهزة الأمن والمخابرات في أكثر من خمس وعشرين دولة، بالقضية الفلسطينية؟ وهل حقا لجأ لاستغلالها فقط حتى يحظى بتعاطف الشارع العربي والإسلامي، على غرار ما فعل الرئيس العراقي صدام حسين في حرب الخليج الثانية ؟.. خاصة بعد أن وصل التعاطف الشعبي معه إلى الحد الذي دفع العديد من وسائل الإعلام والحركات الشعبية، لاسيما الإسلامية منها، إلى أن تصفه بأنه صلاح الدين الجديد الذي جاء في العصر الحديث لرفع الراية الإسلامية من جديد!!!.

ميخائيل بولي، باحث ألماني متخصص فى علم الإغراق والاثنيات، ويعمل بالجامعة الحرة أو المفتوحة فى برلين بألمانيا، وقد تابع الحرب الأفغانية ضد الاتحاد السوفيتى طوال عشر سنوات، وزار أفغانستان١٢ مرة خلال الحرب، وقد ألف كتابا عن أسامة بن لادن، بالمشاركة مع باحث آخر يدعى "خالد دوران". وقد حمل هذا الكتاب عنوان "أسامة بن لادن والإرهاب الدولي"، وكان أكثر الكتب مبيعا في معرض فرانكفورت للكتاب في العام الماضي، فبعد يومين فقط من بدء المعرض نفذت كل نسخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب!!.

وقد أوضح ميخائيل بولي فى حديث لصحيفة معاريف الإسرائيلية اجرى مؤخرا، علاقة أسامة بالقضية الفلسطينية، لقد كانت والدة أسامة فلسطينية، ولاشك أنها أشبعته بالكراهية ضد "إسرائيل" وأرضعته هموم النكبة الفلسطينية، الأمر الذي جعل أسامة يضع القضية الفلسطينية نصب عينيه، كما أنه نشأ لفترة عند أخواله في سوريا وتزوج من إحدى بناتهم هناك. ويقول "بولي": لاشك أن القضية الفلسطينية يرتبط بأمه، ولكنه يرتبط أيضا بمراكز القوى الكثيرة التي كان يشغلها الفلسطينيون في المملكة العربية

السعودية خلال السبعينات والثمانينات، فكل قيادات الجيش والشرطة، وكذلك الكثير من المهندسين والمدرسين في السعودية، كانوا من الفلسطينيين، وقد تم الإطاحة بمعظمهم بعد أن أعلن الفلسطينيون تأييدهم لصدام حسين في حرب الخليج الثانية، وقد حل محلهم الآن باكستانيون. ويتابع "بولي "حديثه قائلا: لقد أثيرت القضية الفلسطينية لدى بن لادن عقب غزو لبنان. لقد مر بن لادن بنقطة تحول كبيرة عام١٩٧٩، ففي هذا العام قامت مصر بالتوقيع على اتفاق سلام مع "إسرائيل"، واندلعت الثورة الإسلامية فى إيران لتطيح بالشاه، وقام الاتحاد السوفيتي بغزو أفغانستان. بعد ذلك خرج المليونير الشاب إلى العاصمة الأفغانية كابول فى مهمة كلفه بها الأمير تركي الفيصل رئيس المخابرات السعودية، الذى أقيل مؤخرا من منصبه بسبب هذه العلاقة التى تربطه بين لادن، وبدأ أسامة وقتها فى جمع وتوزيع الأموال والتبرعات على المجاهدين الذين كانوا يحاربون الجيش الأحمر. نقطة التحول الثانية التى مر بها بن لادن فى حياته كانت عام١٩٩١، عندما تمركزت القوات الأمريكية فى السعودية خلال حرب الخليج الثانية، وبعدها طبعا، حيث دعا بن لادن إلى إسقاط حكام بلاده الذين "يدنسون الأماكن المقدسة بالأمريكيين". بعد ذلك اضطر أسامة لترك السعودية، ووجد ملاذا له لدى صديقه حاكم السودان فى ذلك الوقت حسن الترابي. وبعد الحادث الأول فى أبراج مركز التجارة العالمي عام١٩٩٣ أسقطت السعودية جنسيتها عنه، ونحن الضغوط الأمريكية خرج أسامة بن لادن من السودان مع أسرته ومجموعة من الأفغان العرب فى مايو ١٩٩٦ من السودان إلى قندهار في أفغانستان وبنى هناك فيلا فاخرة، وانفق ملايين الدولارات على الطرق "والأنفاق "هناك.

ويقول "بولي "أن أكثر الناس تأثيرا على أسامة بن لادن شخصان، هما الشيخ عبد الله عزام والطبيب المصري أيمن الظواهري.

عبد الله عزام من مؤسسي حركة حماس الفلسطينية، وهو فلسطينيي من الأردن، احضر بن لادن إلى باكستان وساعده فى إقامة شبكة من الإسلاميين، وهو منظم ممتاز، وخطيب بليغ، ذكى جدا، وله سلطات كبيرة فى حركة حماس الفلسطينية، وقد تعاون الاثنان طوال سنوات حتى دب الخلاف والصراع بينهما. فقد كان عزام يريد تحرير أفغانستان أولا كي تكون قاعدة للصراع والنضال ضد إسرائيل، فى حين كان بن لادن يريد العمل على كل الجبهات فى وقت واحد. وحتى اليوم لم يتضح من هو المسئول عن تصفية عزام بسيارة ملغومة عام١٩٨٩ بعد وقت قصير من بدء الخلاف بين الاثنين.

نخرج من ذلك إلى أن أسامة بن لادن يرتبط بشكل ما بالقضية الفلسطينية، أكثر مما كان معلوما للكثيرين، الأمر الذى يفسر انزعاج إسرائيل وأجهزتها من أى شيء يتعلق أو يرتبط باسم هذا الرجل.

لذلك لجأت المخابرات الإسرائيلية "الموساد" إلى القيام بعدة محاولات لاختراق التنظيم الذى يرأسه بن لادن، بل وحاولوا قاله كثر من مرة، فيقول الباحث الألماني "ميخائيل بولي "فى حديثه لصحيفة معاريف الإسرائيلية أن كل المحاولات التى بذلت لزرع عملاء أو جواسيس فى تنظيم القاعدة باءت بالفشل، لأن بن لادن يحسن اختيار رجاله جيدا بشكل يصبح من المستحيل معه تجنيد أيا منهم. وفي عام ١٩٩٨ قصف الأمريكيين معسكرات التدريب للطالبان، لأنهم علموا أن بن لادن فى طريقه إلى أحد هذه المعسكرات، قامت الولايات المتحدة بإبلاغ باكستان قبل الهجوم بساعتين، وقد اكتشف بن لادن خطة الهجوم الأمريكي قبل تنفيذه بنصف ساعة، فعادت القافلة التى سافر فيها إلي حيثما أتت.

بل ويقول "بولي "فى كتابه "أسامة بن لادن والإرهاب الدولي "أن المخابرات الإسرائيلية "الموساد "حاولت اغتيال بن لادن فى عام ١٩٩٦ أثناء وجوده فى السودان، ولكنها فشلت، وأن أسامة قد أصيب فى هذه المحاولة بإصابات بالغة فى كتفه وظهره. وحسب المصدر نفسه فإن بن لادن سافر من الخرطوم إلى لندن للعلاج من الإصابة باعتبار أن لندن إحدى القواعد التى ينطلق منها تنظيم "القاعدة "إلى أوروبا. والمثير للدهشة أن بن لادن أجرى علاجه فى أحد مستشفيات لندن بعلم وموافقة الحكومة البريطانية.

و ينتهي الباحث الألماني إلى أن الموساد تضع بن لادن نصب عينيها، وبالمناسبة فإن إسرائيل أرسلت مراسلا تليفزيونيا- كان يعمل فى البداية فى باكستان- إلى مناطق التحالف الشمالي المعارض لطالبان، وهو يبث رسالة يومية من هناك عبر الأقمار الصناعية على الهواء مباشرة والمؤكد على حد قول الصحيفة الإسرائيلية ان الموساد تستعين به. وكانت مجلة دير شبيجل قد نشرت مؤخرا أن

عملاء الموساد يتدربون فى صحراء النقب على عملية كوماندوز لاختطاف بن لادن أو تصفيته جسديا.

ولإدراك مدى القلق الأمني الإسرائيلي من بن لادن ومدى قدرته على تنفيذ عمليات داخل "إسرائيل "نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية (٢٠٠١/١٠/١٢) مقالة للكاتب الإسرائيلي "بن كسفيت "قال فيها: لقد نجح أسامة بن لادن فيما فشل فيه الكثيرون من قبله، فالشاباك والموساد يعملان منذ العملية المقلقة فى الولايات المتحدة، وبتعاون كامل فى هيئة قيادية مشتركة، كتفا لكتف، ورأسا لرأس من أجل كشف النقاب عن خلايا إرهابية مماثلة فى منطقتنا، وفى محاولة منهما لمساعدة الأمريكيين. فى هذه المرحلة مازالت قدرات أسامة بن لادن للتحرك هنا(فى إسرائيل) غير واضحة بعد، وليس واضحا اذا كان لديه عملاء واتباع فى إسرائيل. الأمر المعروف هو ان تنظيمه هو التنظيم الأكثر خطورة وتطورا على مدى التاريخ. كل عضو فيه تقريبا يمكن ان يعتبر قنبلة موقوتة، الجميع يعرفون المهمة ومشبعون بالعقيدة. مجرى العملية مخطط سلفا وبشكل متقن. كل الخطط والمؤامرات أعدت منذ مدة وهى تخرج إلى حيز التنفيذ بشكل أتوماتيكي. وكل هذا يحول الملاحقة الحالية لتحركات التنظيم إلى مسألة لا داعي لها، ولا حاجة لإرسال التعليمات أو إعداد الخطط حتى تحدث عمليات أخرى هنا أو هناك. كل شئ معد ومخطط ومحفوظ عن ظهر قلب، الجميع أذكياء مدربون فى طور السكون بانتظار اللحظة الملائمة القادمة. ثم يتابع بن كسفيت قائلا: وهذا لا يعنى انه لا توجد استجابة، وأن الوقت يضيع سدي. بالإمكان اكتشاف حركة الأموال (الأذرع الأمنية تعكف على ذلك الآن)، وبالأمان الإمساك بالعملاء الساكنين الرابضين، بالإمكان تشديد الإجراءات المعمول بها والتقليل من الحرية الفردية المطلقة والسيادة الشاملة لسلطة القانون خصوصا فى أمريكا من أجل الحفاظ على حياة الناس. قد يكون ذلك متأخرا جدا، فبن لادن وزع اتباعه فى عشرات الدول، والمنظمة التى شكلها غير قابلة للاختراق تقريبا وهى منيعة تقريبا على المتابعة والتصنت، هذه المنظمة شكلت وزرعت فى الميدان وأعدت ودربت خلال سنوات طويلة من العمى والحماقة والسذاجة، خصوصا من جانب الولايات المتحدة وأوروبا!!.

هكذا يبدو الهلع الإسرائيلي من بن لادن خاصة مع نشر أنباء عن سعيه لامتلاك أسلحة متطورة ونووية وجرثومية، مثلما فعلت صحيفة معا ريف الإسرائيلية حين ذكرت أن بن لادن قام العام الماضي بمحاولة فاشلة لتهريب غواصة حديثة من الولايات المتحدة.

وكتب "إسحاق بن حورين "فى معا ريف (٢٠٠١/١٠/١١) أن الحكومة الإسرائيلية تبحث ما أثارته المباحث الفيدرالية الأمريكية من ضرورة عدم بث أحاديث تليفزيونية لاسامة بن لادن أو أعضاء حركة طالبان، لأنها قد تحتوى على إشارات معينة تكون فى حقيقتها تعليمات صادرة لأعضاء تنظيم القاعدة فى كل أنحاء العالم لتنفيذ عملية ما فى توقيت محدد. بل أن أعضاء الحكومة الإسرائيلية من اليمنيين أكدوا على ضرورة التعلم من الأمريكيين وإلزام وسائل الإعلام الإسرائيلية بعدم بث أحاديث أو إجراء لقاءات تليفزيونية مع متحدثين فلسطينيين، خوفا من قيامهم بنقل رسائل سرية إلى "الانتحاريين" عبر أحاديثهم هذه.

ويبدو أن السلطة الفلسطينية أرادت اللعب على هذا الوتر لصالحها، حيث كتب الإسرائيلي "عكيفا الدار "فى صحيفة هاآرتس الإسرائيلية (٢٠٠١/١٠/٣٠) أن قادة السلطة الفلسطينية قالوا للأمريكيين انهم قلقون من التنامي السريع لخلايا "القاعدة "التى لا يوجد لعرفات أى تأثير أو سلطة عليها فى الضفة الغربية، وأن المقربين من عرفات يحذرون من أن اتباع بن لادن سيجعلون إسرائيل تشتاق إلى حماس!!.

البعض يرى أن الموساد عندما فشل فى تصفية بن لادن، لجأ إلى ترتيب عمل معين لضرب أكثر من عصفور بحجر واحد، وكان هذا الحجر هو ضرب واشنطن ونيويورك فى أحداث "١١سبتمبر!!. وعليك ان تسأل من هو المستفيد مما حدث حتى تصل إلى الفاعل، والهدف هو إفساد العلاقات الأمريكية العربية، وحث الولايات المتحدة على التدخل المباشر وبقوة وعلى الملأ للقضاء على أسامة بن لادن وتنظيمه "القاعدة".

وأصحاب هذه النظرية يستشهدون على ذلك بما فعله الموساد من قبل من ضرب المصالح الأمريكية في المنطقة منذ الخمسينيات (ما يعرف بفضيحة لافور) ، فضلا عن وجود شواهد ووقائع عديدة تشير-إن لن تؤكد- على وجود أصابع الموساد الإسرائيلي، إلا أن هذه الشواهد تم طمسها عمدا لصالح الحملة الموجهة بانتظام ضد العرب والمسلمين عموما، وبن لادن و"القاعدة "خصوصا.

كشف مصدر في المخابرات العسكرية الأمريكية - حسبما ذكرت صحيفة الأهرام ويكلي (٩/٢٧-٢٠٠١/١٠/٣) عن وجود مذكرة داخلية في الجهاز تشير إلى وجود علاقة لجهاز المخابرات الإسرائيلية الموساد بهجمات مركز التجارة العالمي والبنتاجون.

وقد اتخذت هذه النظرية أبعادا جديدة بعد أن ذكرت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية أن الموساد حذر الـ CIA الأمريكي من عمل إرهابي وشيك سينفذه بن لادن في الأراضي الأمريكية، وأن وفدا من كبار الضباط في الموساد الإسرائيلي سافروا إلى واشنطن في شهر أغسطس لتحذير المخابرات الأمريكية والمباحث الفيدرالية من وجود خلية إرهابية مكونة من مائتي شخص تخطط لتنفيذ عمل إرهابي كبير في الولايات المتحدة، إلا أن مسؤولين أمريكيين نفوا هذه التقارير.

رسالة إليكترونية وصلت عبر شبكة الإنترنت إلى المباحث الفيدرالية الأمريكية ذكرت أن الموساد نبه على كل الإسرائيليين العاملين في مركز التجارة العالمي وعددهم ٤٠٠٠ إسرائيلي بضرورة عدم الذهاب إلى العمل في يوم الحادث (١١سبتمبر)، إلا أن إسرائيل ردت علي ذلك بأن ١٤٠ إسرائيليا لقوا حتفهم تحت أنقاض مركز التجارة.

صحيفة يديعوت احرونوت الإسرائيلية ذكرت أن رئيس المخابرات الإسرائيلية، قبل أسبوع من الحادث، منع رئيس الوزراء الإسرائيلي اريئيل شارون من السفر لالقاء كلمة في حفل يهودي لجمع التبرعات لصالح إسرائيل كان من المفترض إقامته في نيويورك يوم ١١ سبتمبر، ولم يبد رئيس المخابرات أي أسباب لقراره هذا، وبالفعل لم يسافر شارون.

صحيفة هاآرتس الإسرائيلية ذكرت أن الشرطة الفيدرالية الأمريكية FBI اعتقلت خمسة إسرائيليين كانوا يعملون في شركة نقل يمتلكها إسرائيلي في مدينة نيوجرسي القريبة من نيويورك للاشتباه بعلاقتهم بالتفجير الذى وقع في مركز التجارة العالمي في نيويورك. حيث كانوا يقومون بتصوير انهيار برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك بكاميرا فيديو، وكانوا يصرخون في بهجة وسعادة غامرة. وكشفت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية النقاب عن أن الـ FBI حققت مع الإسرائيليين الخمسة بشكل مطول استمر ثلاثة أيام لاشتباههم في انهم عملاء للموساد الإسرائيلي، وتم اعتقالهم بعد أربعة ساعات من وقوع التفجير في نيويورك أثناء قيامهم بالتصوير من علي سطح مبني الشركة. ونقلت الصحيفة عن أحد المعتقلين الذى تمكن من الاتصال بوالدته بعد السماح له بذلك قوله : أنه جري تعذيبه في دهاليز الـ FBI وتم التحقيق معه لمدة ١٤ ساعة متواصلة، خصوصا للاشتباه بانتمائه لجهاز الموساد الإسرائيلي بعد ان تبين أن لديه جنسية دولة أوروبية أخري إلى جانب جنسيته الإسرائيلية.

صحيفة معاريف الإسرائيلية (٢٠٠١/١١/١) نشرت خبرا مفاده أن المباحث الفيدرالية الأمريكية تطارد الآن ستة أشخاص يحملون جوازات سفر إسرائيلية، لاتهامهم بحيازة صور لمفاعلات نووية في الولايات المتحدة الأمريكية. ووفقا لما أوردته عدد من وسائل الإعلام الأمريكية تم ا لقاء القبض علي الأشخاص الستة، وجري تفتيشهم من قبل الشرطة، ورغم حيازتهم لهذه الصور تم إطلاق سراحهم، وعندما علم وزير العدل الأمريكي جون أشكروفت بذلك مؤخرا، انفجر غاضبا وأصدر تعليمات عاجلة بضرورة سرعة القبض علي هؤلاء الإسرائيليين الستة. وهذا ما دفع الإدارة الأمريكية إلى إعلان حالة الطوارئ القصوى تحسبا لوقوع عملية إرهابية ضخمة خلال الأيام القريبة، وفقا لما أوردته وكالة الأنباء الأمريكية "نايت رايدر".

بعد كل ذلك ألا ينبغي التفكير في دور الموساد الإسرائيلي في أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي يؤكد الجميع علي أنها تسببت في وضع نظام عالمي جديد، واصبح التاريخ العالمي ينقسم إلى فترتين تاريخيتين ن ما قبل ١١ سبتمبر، وما بعده !؟

تجدر الإشارة في النهاية إلى وجود الكثير من المعلومات والأنباء والتي لا يبدو واضحا ما هو المقصود من ورائها في حالة صحتها، فعلى سبيل المثال، ذكرت صحيفة لوفيجارو الفرنسية ومحطة راديو فرانس انترناسيونال الإذاعية أن أسامة بن لادن التقي في شهر يوليو الماضي بضابط من جهاز المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي إيه). وذكر التقرير أن بن لادن وصل إلي دولة الإمارات العربية المتحدة كي يتلقى العلاج من مرض الكلى الذى يعاني منه. وفور وصوله إلى دبي في الرابع من يوليو، تم إدخاله إلى المستشفي الأمريكي الموجود في دبي. وقد تم علاجه في قسم الدكتور "تاري كالفاي"، وخرج من المستشفي بعد عشرة أيام، في الرابع عشر من يوليو. وخلال علاجه زعم التقرير الفرنسي أن بن لادن التقي مع ضابط من الـ سي آى إيه الأمريكي. وقد نسبت هذه المعلومة إلى مصادر موثوق بها. وقد ذكرت هذه المصادر أن رجل المخابرات الأمريكية غادر دولة الإمارات العربية بعد يوم من مغادرة بن لادن. وذكر أيضاً أنه قد سبق إرسال جهاز متنقل لغسيل الكلي الى مقر إقامة بن لادن في أفغانستان، وذلك لعلاج بن لادن من التهاب الكلى المزمن الذى يعاني منه.

الدكتور كالفاي رفض الرد أو التعليق علي هذه التقارير. وفي ٣١ أكتوبر الماضي أصدر المسؤولون بالمستشفي الأمريكي في دبي بيانا رسميا نفوا فيه ما ورد في ذلك التقرير. وأكد البيان علي أن هذا الكلام خاطئ ولا أساس له من الصحة.

هل يمكن الخروج من هذا الخبر باحتمال وجود علاقة للمخابرات الأمريكية بما جري في الحادي عشر من سبتمبر من أجل تنفيذ مخطط عالمي يكون هدفه سيطرة الولايات المتحدة علي منطقة وسط آسيا، بما تمثله من ثروات طبيعية أهمها البترول، وموقع استراتيجي خطير، يجعلها علي أبواب روسيا والصين. وقريبة تماما من باكستان التي يسعى الأمريكيون لخلع أنيابها النووية التي وصفت ذات يومية بأنها قنبلة نووية إسلامية؟

أيضا فقد ذكرت صحيفة "معاريف "الإسرائيلية خبرا حول وجود علاقات صداقة قوية بين إسرائيليين وأشقاء أسامه بن لادن فتقول الصحيفة أن عبد الله بن لادن، ٣٥ سنة، شقيق أسامة، حصل علي درجة الدكتوراه في القانون من جامعة بوسطن منذ عدة سنوات، وأنه خلال دراسته أقام علاقة صداقة مع عدد من الإسرائيليين، كان منهم الدكتور "إيلي بوكشان" الذي يقوم اليوم بتدريس القانون في جامعة تل أبيب وكلية ريخمان، والدكتور "ايل جاروس "الذي يقوم هو الآخر بالتدريس في جامعة تل أبيب.

٤ مستقبل الهجرة إلى إسرائيل وخطة المليون مهاجر الجديدة !

أحمد السمان

قامت إسرائيل على موجات متتالية من الهجرة وكما يقول جون لافين في كتاب "العقلية الإسرائيلية "أن إسرائيل تحتاج دائما لمهاجرين من أي مكان يمكن أن يوجد فيه يهود الشتات"، فمنذ إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ حتى الآن هاجر إلى إسرائيل قرابة الثلاث ملايين يهودي منهم مليون خلال الفترة من عام ١٩٩٠ حتي عام ٢٠٠٠ فقط.

ويوجد سببان رئيسيان للهجرة كما توضح الدراسات الاسرائيلية:

١ - أسباب اقتصادية: هروبا من أوضاع اقتصادية سيئة ورغبة في تأمين مستقبل أفضل للأطفال.

٢ - الرغبة في جمع شمل العائلات المتفرقة نتيجة هجرة بعض أبنائها

ولا تعد الدوافع الدينية سببا جوهريا في الهجرة فبمقتضى قانون حق العودة الذي تم تعديله عام ١٩٧٠ بحيث تمنح الجنسية الإسرائيلية لغير اليهودي إذا كان أحد أجداده يهوديا، وهو ما سمح لمئات الآلاف بالهجرة إلى إسرائيل الحصول على الجنسية الإسرائيلية ببساطة لأن أحد أجدادهم كان يهوديا، وهو الأمر الذي ترتب عليه أن معظم المهاجرين إلى إسرائيل في الموجه الأخيرة (١٩٨٩ - ١٩٩٩) من غير اليهود، فقد ذكر المتحدث الرسمي الأسبق باسم الكنيست عام ١٩٩٥ أن من ٤٠ إلى ٥٠٪ من المهاجرين من الاتحاد السوفيتي الأسبق ليسوا يهودا وهو عدد يتراوح بين ١٥٠ الي ٢٠٠ألف، وفي عام ١٩٩٧ صرح وزير المالية الإسرائيلي ياكوف نومات أن ٢٠٠ألف من المهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي ليسوا يهودا، وفي هذا السياق نشرت صحيفة هاآرتس في أغسطس ١٩٩٧ أن ٣٥٪ فقط من المهاجرين الروس هم من يعتنق الديانة اليهودية.

وذكر لان لوستيل أستاذ العلوم السياسية بجامعة بنسلفانيا في مجلة "ميدل ايست جورنال "في عددها الصادر عام ١٩٩٩ أن السبب الرئيسي لقبول مهاجرين غير يهود إلى إسرائيل هو الحيلولة دون اعادة الضفة والقطاع إلى الفلسطينيين من خلال النشاط الاستيطاني المكثف، وعدم تحقيق تسوية سلمية مع الفلسطينيين تتضمن إعادة الأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث أكد آريئيل شارون في حديث لصحيفة الجيروزاليم بوست بتاريخ ٢٧ أبريل ٢٠٠١ أن جلب هؤلاء المهاجرين الجدد يجب أن يكون على قمة الأولويات لكل إسرائيلي مشيرا إلى أن حكومته ستسعى لجلبهم من الجاليات اليهودية الكبيرة الموجودة في فرنسا والأرجنتين وأوكرانيا والبرازيل والمكسيك وبعض دول أمريكا اللاتينية.

ويأتي هذا الإعلان في الوقت الذي تتصاعد فيه الانتقادات الدولية للنشاط الاستيطاني الإسرائيلي الذي زاد في الفترة الأخيرة، كما جاء الإعلان عن هذه الخطة الجديدة ليؤكد نوايا إسرائيل في عدم التخلي عن مستوطناتها في الضفة والقدس عن طريق توطين المهاجرين الجدد بأراضي الشعب الفلسطيني مما يجعل الأمر أكثر صعوبة لأي حكومة إسرائيلية أن تتخلى عن أي من هذه الأراضي لدولة فلسطينية، خاصة أن المليون مهاجر الذين استقبلتهم

إسرائيل خلال العقد الماضي واغلبهم من دول الاتحاد السوفيتي تم توطينهم بشكل أساسي في الضفة الغربية والقدس الشرقية وفي هذا الصدد يقول "جون كويجلي "في كتابه الهجرة السوفيتية إلى إسرائيل وسلام الشرق الأوسط "الصادر عام ١٩٩٧": أن عددا كبيرا من اليهود الروس الذين وصلوا إلى إسرائيل تيقنوا أنهم كانوا بمثابة أداة للحكومة الإسرائيلية التي أرادت إحداث توازن ديموغرافي في الضفة والقدس لليهود على حساب الفلسطينيين". كما تشير الاحصاءات الإسرائيلية إلى وجود ٢٣١ مستوطنة في الضفة الغربية و٢٩ في القدس الشرقية حسب تقديرات أغسطس ١٩٩٩.

ونظرا لخطورة ما أعلنه شارون فإننا نستهدف في هذه الرؤية الإجابة عن السؤال التالي: هل يمكن أن يهاجر من الدول التي أشار اليها شارون في حديثه مليون يهودي إلى إسرائيل ؟ وللإجابة على هذا التساؤل سنقوم بدراسة أوضاع اليهود في تلك الدول واحتمالات الهجرة منها.

فرنسا:

يبلغ عدد اليهود الفرنسيين ٦٠٠ ألف يعيش ٣٥٠ألف منهم في العاصمة باريس، بينما يتواجد في مارسيليا ٧٠ ألف وفي ليون ٢٥ ألف، ووجود اليهود في فرنسا يعود إلى القرن الرابع الميلادي، وبعد طردهم من المملكة الفرنسية في أواخر القرن الرابع عشر لم تتمكن الجالية اليهودية من لم شملها الا بعد الثورة الفرنسية بأفكارها التحررية حيث أصبح اليهود مواطنين بموجبها كما ساعدت الحرب العالمية إلى حد ما علي تطبيع وضع اليهود في فرنسا.

وللطائفة اليهودية تأثير سياسي كبير في فرنسا حيث ظلت تثير قضايا الهولوكوست ودور المسئولين الفرنسيين فيها طوال الثمانينات، وفي التسعينات ظهرت نتائج حركتهم حيث اعتذر الرئيس الفرنسي جاك شيراك لأول مرة علنا بالنيابة عن الشعب الفرنسي عن مذابح الهولوكوست، واعترف بخطأ الأمة عن الأحداث التي وقعت ما بين عامي ١٩٤٠ و١٩٤٤ حيث أرسل ٧٥ألف يهودي فرنسي إلى معسكرات الموت ، بل وأجرت السلطات الرسمية تحقيقات مع بعض المسئولين الفرنسيين عن دورهم في ارسال اليهود إلى معسكرات الموت حيث تم الحكم على بعضهم بالسجن، وفي إطار سعي اليهود للحصول على تعويضات عن ممتلكات هؤلاء اليهود وأرصدتهم المالية أنشأت الحكومة الفرنسية عام ١٩٩٦ لجانا خاصة للتحقيق في مصادرة ممتلكات اليهود وتقدير التعويضات اللازمة.

وتنتشر المدارس ودور الحضانة اليهودية في مراكز تجمعاتهم حيث يتلقى ٤٠٪ من الطلاب اليهود في فرنسا تعليمهم في مدارس يهودية، وتوفر معظم الجامعات الفرنسية أقساما خاصة للدراسات اليهودية، ونظرا لانشغال اليهود في الحياة الاقتصادية الفرنسية لا تضم التجمعات والجمعيات اليهودية سوى ٤٠٪ فقط من اليهود الفرنسيين كأعضاء فيها. يقول "جان شارل زريبب "المسئول عن قطاع الشباب التابع للصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد أن نصف اليهود الفرنسيين لم تعد تربطهم أية صلة بالطائفة اليهودية، والربع الثالث يتصلون بها للرسميات (حالات الانجاب والوفيات) والربع الأخير يكمن داخله التشدد الموجود في الطائفة والناتج عن وجود أغلبية من السفارديين القادمين من المغرب العربي حيث يمثل السفارديين ٩٠٪ من تلاميذ المدارس اليهودية الموجودة في فرنسا.

ونظرا للأوضاع الاقتصادية المتميزة التي يعيش في ظلها اليهود في فرنسا فإن عدد اليهود الذين هاجروا من فرنسا إلى إسرائيل منذ ١٩٤٨لا يتجاوز ٣٤ ألف يهودي بينما استقبلت فرنسا أضعاف هذا العدد من اليهود المصريين والمغاربة حيث استقبلت من مصر فقط عشرة آلاف يهودي عام ١٩٥٥، وتلتزم الطائفة اليهودية باتفاق يصفه عمانويل هيمان في كتابه "في عقر ديار التطرف اليهودي "بأنه اتفاق ضمني رضائي بمساندة الحكومة الإسرائيلية المنتخبة ديمقراطيا ومؤازرتها في جهود بناء هذه الدولة وانجازاتها.

أوكرانيا:

يتراوح عدد اليهود في أوكرانيا حاليا ما بين ٢٥٠ و٣٢٥ ألف وهي بذلك تحتل المرتبة الخامسة عالميا في عدد اليهود المقيمين بها والثالثة على مستوى أوروبا، وان كان من المتوقع أن تتأخر هذه المرتبة كثيرا نظرا لضخامة حجم الهجرة من أوكرانيا إلى إسرائيل، موزعين كالآتي: ١١٠ ألف يهودي في كييف العاصمة و٦٠ ألف في دنيروبتروفيش و٤٥ ألف في خاركوف.

كان عدد اليهود عام ١٩٩٠ في أوكرانيا ٤٥٤ ألف هاجر منهم إلى إسرائيل قرابة ٢٠٠ ألف، ويتناقص سنويا عددهم بمعدل ١٠٪ حيث يهاجر سنويا ما بين ٢٥ إلى ٣٥ ألف يهودي يتوجه منهم إلى إسرائيل ٢٥ ألف والباقي يهاجر إلى ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

تنظر إسرائيل إلى أوكرانيا باعتبارها مركزا هاما لجذب المهاجرين الجدد، ولديها تواجد قوى ومكثف فبالاضافة إلى سفارتها هناك أربع مكاتب قنصلية

في المدن الهامة و٧٥ مكتبا في مراكز تواجد اليهود وفي المطارات، وهدف هذه المكاتب الأساسي هو تسهيل هجرة اليهود إلى إسرائيل، كما يوجد في أوكرانيا العديد من المنظمات الرئيسية ولكنها تعمل بشكل أساسي تحت مظلة منظمتان يهوديتان رئيسيتان وهما اتحاد المنظمات والهيئات اليهودية في أوكرانيا (AJOCU) والمجلس اليهودي لأوكرانيا (JCU)، وهدفهما الأساسي هو تسهيل الهجرة، وفي ظل هذا النشاط المحموم يتوقع أن يستنفد عدد اليهود في أوكرانيا خلال عقد واحد من الزمان.

ولا يعد النشاط الإسرائيلي في أوكرانيا هو السبب الرئيسي للهجرة فهناك الأوضاع الاقتصادية السيئة حيث دخل الفرد أقل من ٦٠٠ دولار كما وصل معدل التضخم إلى ٢٥٪ عام ٢٠٠٠ بالإضافة إلى استشراء الفساد وتدهور الخدمات، كما يعد تصاعد نشاط التيارات اليمينية والاحزاب القومية والحركات النازية أحد أهم عوامل الضغط لتنشيط هجرة اليهود حيث تطالب هذه الحركات اليمينية وعلى رأسها الحزب القومي الاشتراكي النازي بطرد اليهود وكذلك الروس البالغ نسبتهم ٢٣٪ من عدد السكان حتى تصبح أوكرانيا دولة قومية خالصة.

ونظرا للعوامل السابق الاشارة اليها فمن المتوقع أن يهاجر من أوكرانيا وحدها نحو ٢٠٠ ألف يهودي حيث يرفض كبار السن الذين يبلغ عددهم ما بين ٥٠ إلى ٧٥ ألف مغادرة البلد التي أمضوا فيها حياتهم.

ويتعرض المهاجرون من أوكرانيا لاختبارات صحية خاصة في (بير سبع) بمجرد وصولهم إلى إسرائيل حيث وجد أن ١٤٠ ألف من المهاجرين إلى إسرائيل من روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا قد تعرضوا للاشعاع من حادث تشيرنوبل وما زالوا يعانون من بعض أعراضه.

الأرجنتين:

يبلغ عدد اليهود في الأرجنتين ٢٣٠ الف وهي بذلك الجالية الأكبر في كل أمريكا اللاتينية يوجد منهم في العاصمة بيونس ايرس وحدها١٨٠ ألف وأغلبيتهم من اليهود الاشكناز، كما يوجد في العاصمة ٥٠ معبدا يهوديا كما أقاموا متحفا يهوديا ولديهم عدد كبير من المدارس الدينية اليهودية والمستشفيات الخاصة والمطاعم التي تقدم الطعام اليهودي "الكوشير"، كما يصدرون عددا من الصحف الشهرية، وللأرجنتين علاقات دبلوماسية مع إسرائيل منذ عام ١٩٤٩، كما هاجر منها إلى إسرائيل منذ ١٩٤٨ إلى ١٩٩٨ حوالي ٧٥ ألف يهودي.

يلعب يهود الأرجنتين دورا مؤثرا في الحياة الاقتصادية والسياسية ولديهم العديد من التنظيمات المؤثرة في الحياة السياسية في البلاد وأكبر هذه التنظيمات منظمة (داجا) Delegation of Argentine Jewish Associations وهي الجناح السياسي لكافة التنظيمات اليهودية وتضم أغلبية السياسيين اليهود الذين بلغ تأثيرهم الكبير في الحياة السياسية حد تعيين عدد منهم في الوزارات الحساسة كما تعهد لهم الرئيس الأرجنتيني الأسبق كارلوس منعم بمساندة اليهود ومكافحة العداء للسامية كما أصدر البرلمان الأرجنتيني قانونا عام ١٩٨٨يجرم العداء للسامية، أما الرئيس فرناندو ديلارا الذي تولى السلطة في ديسمبر ١٩٩٩ فقد أعلن فور توليه السلطة التزامه بمحاربة كافة مظاهر العداء للسامية وتكثيف التحقيقات في حادث تفجير السفارة الإسرائيلية عام ١٩٩٢ والمركز اليهودي ١٩٩٤ وهما الحادثان اللذان اعتبرهما اليهود نموذجا لتصاعد العداء للسامية في الارجنتين الذي اتخذ اشكالا عدة بدءا من مقاطعة المراكز التجارية اليهودية وصولا إلى الاعتداء على اليهود ومقابرهم ومراكز تجمعاتهم وكتابة الشعارات المعادية مثل (الهولوكوست اختراع يهودي)، كما ينظر اليهم المجتمع الارجنتيني بريبة حيث ذكرت صحيفة لا ناسيون في يناير ١٩٨٦ أن مئات من اليهود قد أقاموا معسكرات في جنوب الأرجنتين لدراسة المناخ والموارد المتاحة استعدادا لإقامة مستوطنات اسرائيلية خلال ١٠ سنوات، ومما ساعد على تصاعد العداء لليهود في الارجنتين الأوضاع الاقتصادية السيئة والتضخم وانتشار البطالة في ظل سيطرة اليهود على النواحي الاقتصادية المؤثرة وخاصة النشاط التجاري الذي تعرض لهزة كبيرة نتيجة انتشار سلاسل المحلات التجارية العالمية الكبيرة في الأرجنتين حيث تقول مجلة (جويش بوليتين) أن ٥٠ ألفا من أصحاب المتاجر الصغيرة من اليهود قد أغلقوا متاجرهم بعد انتشار هذه المحلات في البلاد.

الدول الأخرى :

تأتي البرازيل في مقدمة الدول المستهدف استقبال مهاجرين جدد منها حيث يبلغ عدد اليهود ١٢٠ ألف يعيش فى ساوبالو ٦٠٥٠٠ وفي ريو دي جانيرو ٤٠ ألفا ويندرج اليهود تحت تنظيم رئيسي هو (CONIB) الذي يضم في عضويته ٢٠٠ منظمة ومؤسسة يهودية ويدير عددا كبيرا من المستشفيات والمدارس اليهودية، كما يمتلك اليهود عددا من الصحف والمجلات، ويتمتع اليهود في البرازيل بأوضاع اقتصادية متميزة ولا توجد مظاهر واضحة للعداء للسامية وهما الأمران اللذان تمثلا في قلة

عدد المهاجرين إلى إسرائيل فمنذ عام ١٩٤٨ لم يتجاوز عددهم ٨١٠٣ يهودي.

أما في جنوب أفريقيا فيبلغ عدد اليهود٩٢ ألف ينتمون إلى أصول اشكنازية يتمركز ٥٥ ألف منهم في جوهانسرج و١٥ الف في كيب تاون، والمنظمة الرئيسية لليهود في جنوب أفريقيا تسمى (SAJBD) وما زالت المراكز الصهيونية قوية وتقوم بأنشطة مؤيدة لإسرائيل ورغم نزوح ٥٠ألف يهودي من جنوب أفريقيا منذ عام ١٩٧٠ الا أنه لم ينتقل إلى إسرائيل سوى ١٦٣٠٠فقط

ويوجد في المكسيك ٤٠٧٠٠ يهودي يتركز في العاصمة مكسيكو سيتي وحدها ٣٧٥٠٠ التي يوجد بها ٢٣ معبدا، واليهود منقسمون بالتساوي بين السفارديم والاشكيناز ويندرج اليهود تحت أربع لواءات منظمات يهودية أهمها الاتحاد الصهيوني (WIZO) وهذه المنظمات تنسق الأنشطة السياسية وتمارس عملية مراقبة العداء للسامية، كما يوجد في المكسيك ١٦ حركة شبابية تنظم رحلات سنوية لإسرائيل حيث يزورها سنويا ٢٠٠٠ من أعضاء هذه المنظمات، كما تعد لجنة التعليم المظلة التي تجمع الأنشطة التعليمية والثقافية لليهود حيث يتلقى٨٠٪ من يهود المكسيك تعليمهم بها ولا يوجد عنف موجه ضد اليهود أو عداء للسامية، كما أن أوضاعهم الاقتصادية متميزة وهو ما انعكس في قلة الهجرة منها إلى إسرائيل فمنذ عام ١٩٤٨ لم يهاجر من المكسيك إلى إسرائيل سوى ٢٢٠٠ يهودي فقط.

وفي أورجواي، يعيش ٣٢ ألف يهودي أغلبهم في العاصمة مونتفيديو. وكانت أورجواي محطة انتقال لليهود إلى البرازيل والأرجنتين ويوجد بها ٦٠ منظمة يهوديه أهمها منظمة "المجتمع اليهودي "ويمارسون عباداتهم من خلال ١٥ معبدا منتشرين في العاصمة التي يوجد بها ٤ مدارس يهودية، ولم يهاجر إلى إسرائيل منذ ١٩٤٨ سوى ٦٨٥٠ فقط.

وفي بنما يوجد ٧٠٠٠ يهودي تتميز أوضاعهم الاقتصادية بالاستقرار ولم يهاجر منها منذ ٤٨ سوى ١٨٠ شخص، وهو النموذج المتكرر في كل دول أمريكا اللاتينية، بل ان دولة مثل كوستاريكا التي يوجد بها ٢٥٠٠ يهودي لم تحدث حالة هجرة لأي يهودي منها إلى إسرائيل منذ عام ١٩٤٨.

الخاتمة:

إن دراسة الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي يتمتع بها اليهود في الدول التي ذكرها شارون تجعلنا نخرج بعدد من المؤشرات التالية:

١ - لم تكن فرنسا -التي يوجد بها اكبر عدد من اليهود- بلدا طاردة بل هي دولة جاذبة للمهاجرين وبالنسبة للهجرة منها إلى إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ لم يهاجر سوى ٣٤ ألف يهودي بمتوسط ٦٨٠ مهاجر سنويا وهو متوسط من غير المتوقع تجاوزه سنويا.

٢- دول أمريكا اللاتينية وخاصة البرازيل والمكسيك وفنزويلا وأورجواي بالإضافة إلى جنوب أفريقيا ينعم فيها اليهود بأوضاع اقتصادية متميزة ويحتكرون قطاعات تجارية معينة ولا يواجهون بحركات معادية للسامية ومعدلات الهجرة منها إلى إسرائيل متدنية جدا ولا يتوقع أن ترتفع هذه المعدلات.

٣- الأرجنتين بشكل عام لم تكن طاردة لليهود ولكن مع تدهور انشطة بعض اليهود التجارية وسوء أوضاعهم الاقتصادية من المتوقع أن يهاجر إلى إسرائيل من الأرجنتين خلال الأعوام العشر القادمة من ٥٠-١٠٠ ألف يهودي.

٤- لا شك أن أوكرانيا سوف تكون منجم الذهب بالنسبة للهجرة إلى إسرائيل حيث يهاجر اليها سنويا ٢٥ألف يهودي وهو الأمر المتوقع استمراره في ضوء تصاعد الشعور القومي وتدهور الاوضاع الاقتصادية والنشاط الإسرائيلي المكثف لاستقبال اليهود منها.

من استعراض مؤشرات أوضاع اليهود في الدول محل الدراسة والجهود الإسرائيلية المبذولة لجذبهم فمن المتوقع ألا يهاجر إلى إسرائيل أكثر من ٣٥٠ ألف يهودي من هذه الدول خلال الأعوام القادمة، وهو أمر تعلمه القيادات الإسرائيلية جيدا وبالتالي يبقى السؤال الهام: علي أي أساس يتحدث شارون عن تخطيط إسرائيل لاستقدام مليون مهاجر يهودي في العشرة أعوام المقبلة؟ هل ستسمح إسرائيل بهجرة كل من يدعي أنه يهودي إلي فلسطين؟

وهل سيكون هذا التساهل في تعريف اليهودي من أجل ضمان السيطرة علي الأراضي الفلسطينية ومنع الخروج منها مستقبلا؟

سؤال نترك الإجابة عليه للمستقبل.

مطابع الأهرام بكورنيش النيل



مختارات اسرائيلية

النشاط والأهداف

أنشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والاقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

الدوريات والمطبوعات:

- التقرير الاستراتيجى العربى: تقرير سنوى بدأ فى الصدور عام ١٩٨٦، وصدرت أولى طبعاته بالانجليزية اعتباراً من عام ١٩٩٢، ويشترك فى اصداره جميع أعضاء الهيئة العلمية فى المركز، وينقسم التقرير الى ثلاثة أقسام رئيسية: النظام الدولى والاقليمى، النظام الاقليمى العربى، جمهورية مصر العربية، الى جانب مقدمة تحليلية وعدد من الدراسات الاستراتيجية.
- كراسات استراتيجية: سلسلة صدرت اعتباراً من يناير ١٩٩١ وتصدر شهرياً باللغتين العربية والانجليزية اعتباراً من يناير ١٩٩٥، وتتوجه الكراسات الى صانعى القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بتقديم قراءة متعمقة للتحديات الاستراتيجية التى تواجه مصر والوطن العربى، وطرح الخيارات والتصورات والسياسات البديلة لمجابهتها.
- الكتب والكتيبات: أصدر المركز منذ إنشائه عام ١٩٦٨ العديد من الكتب والكتيبات التى شملت موضوعات متعددة تتعرض لمجالات عمل المركز الرئيسية.
- «ملف الاهرام الاستراتيجى» شهرياً باللغة العربية.اعتبارا من يناير١٩٩٥
- «مختارات إسرائيلية» شهرياً باللغة العربية.اعتبارا من يناير ١٩٩٥

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة الاف جنيه للهيئة وخمسة الاف جنيه للأفراد).

مطابع الأهرام بكورنيش النيل